قال الذهبي في السبكي:
ليهن المنبر الاموى لما
علاه الحاكم البحر التقى



شيوخ العصر احفظهم جميعا
وأخطبهم وأقضاهم
على

السيف الصقيل

في الرد على ابن زفيل

للامام الحجة أبى الحسن تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى الكبير

المتوفى سنة ٧٥٦

يرد به على نونية ابن القيم

ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم

بقلم

محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

عفى عنهما

الطبعة الاولى

على نفقة ناشره ومصححه الشيخ عبد الحفيظ سعد عطيه
من علماء الأزهر
١٣٥٦ — ١٩٣٧

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر



في الرد على ابن زفيل

للامام الحجة أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الكبير
المتوفى سنة ٧٥٦

يرد به على نونية ابن القيم

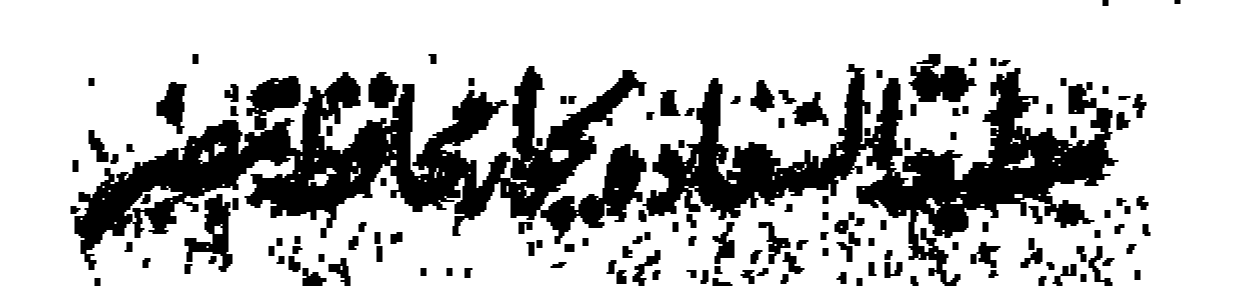
ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم

بقلم

محمد زاهد بن الحسن الكوثري
عفي عنهما

﴿ الطبعة الأولى ﴾

على نفقة ناشره ومصححه الشيخ عبد الحفيظ سعد عطيه
من علماء الأزهر
١٣٥٦ — ١٩٣٧



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعلق

الحمد لله القدوس المتعال، المنزه عن النظير والمثال، جلت ذاته وعلت صفاته عن أن يحوم حول اكتناهها وهم أو خيال، والعقول عن ادراك تلك المطالب في عقال والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لتتميم مكارم الخلال، منقذاً لهذه الأمة من مخالب الوثنية وصنوف الضلال، وهاديا إلى مراضي مولاه ذي الجلال والجمال، وعلى آله خير الآل وأصحابه أصحاب كرائم الخصال.

وبعد فلا يخفى على من درس تاريخ الدين الاسلامي أن الله سبحانه بعث خاتم رسله في بيئة عريقة في الوثنية وقد أحدقت بتلك البيئة أمم يدينون بالاشراك والتشبيه وأنواع من التخريف والتمويه، فبمبعثه صلى الله عليه وآله وسلم انقشعت تلك الظلمات الجاهلية، واستنارت بصائر الذين آمنوا به بأنوار التعاليم الاسلامية، حتى داسوا تحت أرجلهم تقاليد الوثنية ونبذوا تلك الأساطير الهمجية وخمدت عزائم أعداء الدين، وفترت مواصلتهم العداء إلى حين، لكنهم كانوا يتحينون الفرص لتفريق كلمة المسلمين، وتشويه تعاليم هذا الدين في الاخلاق والعمل والاعتقاد، حتى تذرعوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بشتى الوسائل إلى بذر بذور الفساد كلما ظنوا أن الفرصة سانحة، يلبسون في كل عصر مايرونه أنجع في مخادعة الجمهور، وأغشى على بصائر الخاصة والدهماء وأشد فتكا بهم في صميم دينهم. إلى أن تمكنوا من إضلال طوائف في الأطراف

ورغم هذا بقيت بيضة الاسلام ـ بحمد الله جل شأنه ـ مصونة الجانب تحت كلاءة الله سبحانه ورعايته ، حيث لم يمكنهم من إبادة خضراء الملة ، ولا من إحداث أحداث جوهرية فى صميم الدين الاسلامى تشتت شمل الجماعة ، بل بقى الاسلام فى جوهره ـ بفضل الله جل جلاله ـ وضاء المنار واضح المنهاج ، نير الطريقة ، بادي المعالم لمن ألقى إلى تعاليمه السمع وهو شهيد .

وغاية ماتخيل الأعداء أن يتمكنوا منه أن يوقفوا نموه العظيم الذي كان ظهر في الصدر الأول ، ويعرقلوا رقى معتنقيه السريع بعد أن بهر أبصار أولى الأبصار فى أوائل انتشاره ، لكن أبى الله إلا أن يتم نوره .

وكان أخطر هؤلاء الاعداء على الدهماء وأبعدهم غوراً فى الاغواء أناساً ظهروا بأزياء الصالحين بعيون دامعة كحيلة ، ولحي مسرحة طويلة ، وعمائم كالأبراج ، وأكام كالأخراج ، يحملون سبحات كبيرة الحبات ، ويتظاهرون بمظهر الدعوة إلى سنة سيد السادات مع انطوائهم على مخاز ورثوها عن الأديان الباطلة ، والنحل الآفلة ، وكان من مكرهم الماكر أن خلطوا الكذب المباشر بالتزيد فى تفسير مأثور أو فى حديث صح أصله عند الجمهور ، باعتبارهم ذلك أنجع فى إفساد دلالة كتاب الله وسنة رسوله علي أفهام أناس قرب عهدهم من الجاهلية ولم تتكامل بعد عقولهم ولا نضجت أفكارهم

وكم أضل رواة من هذا القبيل طوائف من سذج المسلمين منذ عهد التابعين حيث اندسوا بين الصالحين من رواة الأعراب وموا اليهم لادخال مااختلقوه من الأخبار بين مرويات هؤلاء الأخيار ، حتى يتم إفساد دين المسلمين عليهم ، ولكن أبى الله إلا أن يرد كيدهم فى نحرهم حيث أقام جهابذة يسعون فى إبعاد مختلقاتهم عن مرتبة الاعتداد فى جميع الطبقات ، على أن فى عقول الذين أسلموا إسلاماً صحيحاً من النور مايشق لهم الطريق إلى تعرف دخائل المرويات من نفس تلك الروايات ، وإن لم تخل طبقة من طبقات الرواة من أغرار انخدعوا بها وتعصبوا لها لأن الفاتنين كانوا راعوا فى رواياتهم

عقول هؤلاء ومداركهم فى جاهليتهم تيسيراً لزلل أقدامهم وتدهورهم فى هاوية إغوائهم .

فالرواة السذج إذا انخدعوا بمثل هذا التمويه يكون عندهم بعض عذر، ومن الذي لاينخلع قلبه ؟ إذا سمع السنة والدعوة إلى السنة من متقشف متظاهر بالورع الكاذب على تقدير جهل السامع بما وراء الأكمة ؟ فيجب أخذ هؤلاء بالرفق لتدريجهم إلى الحق من باطل تورطوا فيه باسم السنة .

ومن محققى أهل السنة من يشير الى أن العامى إذا بدر منه مايوهم ظاهره التشبيه يرجى من فضل الله أن يسامحه حيث يعلو التنزيه من الجهة ونحوها عن مداركه . وأما من جمع بين الرواية والدراية على زعمه وألف فى ذات الله وصفاته ، وصدر منه مثل هذا فلا يوجد بين علماء أهل السنة من يعذر مثله بل أطبقت كلماتهم على إلزامه مقتضى كلامه ، وليس لعالم عذر فى الميل إلى شئ من التشبيه والقرمطة لظهور سقوطهما لكل ناظر . قال القاضى أبو بكر بن العربى فى القواصم والعواصم : « مالقيت طائفة إلا وكانت لى معهم وقفة عصمنى الله منها بالنظر — بتوفيقه — إلا الباطنية والمشبهة فانهما زعنفة تحققت أنه ليس وراءهما معرفة فقذفت نفسى كلامهما من أول مرة » اهـ . بل لايتصور أن يميل الى أحدهما عاقل إلا إذا كان له غاية إلحادية ، وأى يستعجم على عالم باللسان العربى المبين مافى كتاب الله وسنة رسوله من الدلالة على تنزيه الله جل شأنه من الجسمية والجسمانيات والمادة والماديات ، بخلاف العامى الذى هو قريب العهد من الجاهلية .

جزى الله علماء أصول الدين عن الاسلام خيراً فان لهم فضلا جسيماً فى صيانة عقائد المسلمين بأدلة ناهضة مدى القرون أمام كل فرقة زائغة ، وإنما يكون التعويل فى كل علم على أئمته دون من سواهم ، لأن من يكون إماما فى علم كثيراً مايكون بمنزلة العامى فى علم آخر ، فاذاً لايعول فى العقائد إلا على أئمة أصول الدين لا على الرواة البعيدين عن النظر، وكم بينهم من يرقى لمداركه

حيث يقل عقله عن عقول الأطفال وإن بلغ فى السن مبلغ الرجال. ومن طالع ماألفه بعض الرواة على طول القرون من كتب فى التوحيد والصفات والسنة والردود على أهل النظر يشكر الله سبحانه على النور الذى أفاضه على عقله حتى نبذ مثل تلك الطامات بأول نظرة .

وقد استمرت فتن المخدوعين من الرواة على طول القرون مجلبة لسخط الله تعالى ولاستسخاف العقلاء من غير أن يخطر ببال عاقل أن يناضل عن سخافات هؤلاء، إلى أن نبغ فى أواخر القرن السابع بدمشق حرانى تجرد للدعوة إلى مذهب هؤلاء الحشوية السخفاء متظاهراً بالجمع بين العقل والنقل على حسب فهمه من الكتب بدون أستاذ يرشده فى مواطن الزلل، وحاشا العقل الناهض والنقل الصحيح أن يتضافرا فى الدفاع عن تخريف السخفاء إلا إذا كان العقل عقل صابئ والنقل نقل صبى ، وكم انخدع بخزعبلاته أناس ليسوا من التأهل للجمع بين الرواية والدراية فى شىء وله مع خلطائه هؤلاء موقف فى يوم القيامة لايغبط عليه . ومن درس حياته يجدها كلها فتناً لايثيرها حافظ بعقله غير مصاب فى دينه، وأنى يوجد نص صريح منقول أو برهان صحيح معقول يثبت الجهة والحركة والثقل والمكان ونحوها لله سبحانه؟ وسيمر بك سرد بعض مخازيه مع نقضها إن شاء الله تعالى .

وكل مافى الرجل أنه كان له لسان طلق، وقلم سيال، وحافظة جيدة ، قلب — بنفسه بدون أستاذ رشيد — صفحات كتب كثيرة جداً من كتب النحل التى كانت دمشق امتلأت بها بواسطة الجوافل من استيلاء المغول على بلاد الشرق، فاغتر بما فهمه من تلك الكتب من الوساوس والهواجس ، حتى طمحت نفسه إلى أن تكون قدوة فى المعتقد والأحكام العملية ففاه فى القبيلين بما لم يفه به أحد من العالمين مما هو وصمة عار وأمارة مروق فى نظر الناظرين فانفض من حوله أناس كانوا تعجلوا فى إطرائه بادئ بدء قبل تجربته وتخلوا

عنه واحداً إثر واحد على تعاقب فتنه المدونة فى كتب التاريخ ولم يبق (١) معه إلا أهل مذهبه فى الحشو من جهلة المقلدة، ومن ظن أن علماء عصره صاروا كلهم إلبا واحداً ضده حسداً من عند أنفسهم فليتهم عقله وإدراكه قبل اتهام الآخرين، بعد أن درس مبلغ بشاعة شواذه فى الاعتقاد والعمل وهو لم يزل يستتاب استتابة إثر استتابة، وينقل من سجن إلى سجن إلى أن أفضى إلى ما عمل وهو مسجون فقبر هو وأهواؤه فى البايين بموته وبردود العلماء عليه وماهى ببعيدة عن متناول رواد الحقائق.

وكان ابن زفيل الزرعى المعروف بابن القيم يسايره فى شواذه كلها حيا وميتا، ويقلده فيها تقليداً أعمى فى الحق والباطل، وإن كان يتظاهر بمظهر الاستدلال لكن لم يكن استدلاله المصطنع سوى ترديد منه لتشغيب قدوته دائباً على إذاعة شواذ شيخه، متوخيا فى غالب مؤلفاته تلطيف لهجة أستاذه فى تلك الشواذ، لتنطلى وتنفق على الضعفاء. وعمله كله التلبيس والمخادعة والنضال عن تلك الأهواء المخزية حتى أفنى عمره بالدندنة حول مفردات الشيخ الحرانى. تراه يثرثر فى كل واد، ويخطب بكل ناد بكلام لا محصل له عند أهل التحصيل، ولم يكن له حظ من المعقول، وإن كان كثير السرد لآراء هل النظر. ويظهر مبلغ تهافته واضطرابه لمن طالع (شفاء العليل) له بتبصر، ونونيته وغزوه من الدلائل على أنه لم يكن ممن له علم بالرجال ولا بنقد الحديث حيث أثنى فيهما على أناس هلكى، واستدل فيهما بأخبار غير صحيحة على صفات الله سبحانه. وقد ذكره الذهبى فى المعجم المختص بما فيه عبرة، ولم يترجم له الحسينى ولا ابن فهد ولا السيوطى فى عداد الحفاظ فى ذيولهم على طبقات الحفاظ، ومايقع من القارئ بموقع الاعجاب من أبحاثه الحديثية فى زاد المعاد

(١) وثناء بعض المتأخرين عليه لم يكن إلا عن جهل بمعضلات الفتن فى كلامه ووجوه الزيغ فى مؤلفاته ومنهم من ظن أنه دام على توبته بعدما استتيب فدام على الثناء ولا حجة فى مثل تلك الأثنية، وأقواله الماثلة أمامنا فى كتبه لا يؤيدها إلا غاوغوى نسأل الله السلامة.

وغيره فمختزل مأخوذ مما عنده من كتب قيمة لأهل العلم بالحديث ، «كالمورد الهنى شرح سير عبد الغنى للقطب الحلبى» ونحوه ولولا محلى ابن حزم وإحكامه ومصنف ابن أبى شيبة وتمهيد ابن عبد البر لما تمكن من مغالطاته وتهويلاته فى إعلام الموقعين. وكم استتيب وعزر مع شيخه وبعده على مخاز فى الاعتقاد والعمل تستبين منها ماينطوى عليه من المضى على صنوف الزيغ تقليداً لشيخه الزائغ وسيلقى جزاء عمله هذا فى الآخرة — إن لم يكن ختم له بالتوبة والانابة — كما لقى بعض ذلك فى الدنيا .

قال الذهبى فى المعجم المختص عن ابن القيم هذا : عنى بالحديث بمتونه وبعض رجاله وكان يشتغل فى الفقه ويجيد تقريره ، وفى النحو ويدريه ، وفى الاصلين . وقد حبس مدة لانكاره على شد الرحل لزيارة قبر الخليل (إبراهيم عليه السلام) ثم تصدر للاشتغال ونشر العلم لكنه معجب برأيه جرىء على الامور اهـ قال ابن حجر فى الدرر الكامنة : غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لايخرج عن شىء من أقواله بل ينتصر له فى جميع ذلك ، وهو الذى هذب كتبه ونشر علمه ..واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة ، فلما مات أفرج عنه وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية وكان ينال من علماء عصره وينالون منه اهـ . قال ابن كثير كان يقصد للافتاء بمسألة الطلاق حتى جرت له بسببها أمور يطول بسطها مع ابن السبكى وغيره . . وكان جماعا للكتب فحصل منها مالا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلا سوى مااصطفوه منها لأنفسهم . . وهو طويل النفس فى مصنفاته يتعانى الايضاح جهده ، فيسهب جدا ، ومعظمها من كلام شيخه يتصرف فى ذلك ، وله فى ذلك ملكة قوية ، ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها . . وجرت له محن مع القضاة منها فى ربيع الاول طلبه السبكى بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلل فأنكر عليه وآل الأمر إلى أنه رجع عما كان يفتى به من ذلك اهـ وقال التقى الحصنى : كان ابن

تيمية ممن يعتقد ويفتي بأن شد الرحال الى قبور الانبياء حرام لاتقصر فيه الصلاة ، ويصرح بقبر الخليل وقبر النبي صلى الله عليهما وسلم . وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعي واسماعيل بن كثير الشركويني، فاتفق أن ابن قيم الجوزية سافر الى القدس الشريف ورقى على منبر فى الحرم ووعظ وقال فى أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة : وها أنا راجع ولا أزور الخليل . ثم جاء إلى نابلس وعمل له مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى قال فلا يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام اليه الناس وأرادوا قتله فحماه منهم والى نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صورة ماوقع منه فطلبه القاضي المالكي فتردد وصعد الى الصالحية الى القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي وأسلم على يديه فقبل توبته وحكم باسلامه وحقن دمه ولم يعزره لأجل ابن تيمية ... ثم أحضر ابن قيم الجوزية وادعي عليه بما قاله فى القدس الشريف وفى نابلس فأنكر ، فقامت عليه البينة بما قاله فأدب وحمل على جمل ثم أعيد فى السجن ثم أحضر إلى مجلس شمس الدين المالكي وأرادوا ضرب عنقه فما كان جوابه الا أن قال إن القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وباسلامي وقبول توبتي، فأعيد الى الحبس الى أن أحضر الحنبلي فأخبر بما قاله فاحضر وعزر وضرب بالدرة وأركب حماراً وطيف به فى البلد والصالحية وردوه الى الحبس ـ وجرسوا ابن القيم وابن كثير وطيف بهما فى البلد وعلى باب الجوزية لفتواهم فى مسألة الطلاق اهـ . قال ابن رجب : قد امتحن وأوذي مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين فى المدة الاخيرة بالقلعة منفردا ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ اهـ . وقد سقت هنا نماذج من كلمات أصحابه وأضداده والمتحايدين فى حقه ليعتبر بها المغرورون به . على أن الخبر اليقين فيما يجده القارىء الكريم فى حقه فى هذا الكتاب ، وأرجو أن الحق لايتعدى مادللت عليه فى حقه فيما كتبناه .

وأحق الناس بالرثاء وأجدرهم بالترحم من أفنى عمره فى سبيل العلم منصاعا

لمبتدع يرديه من غير أن يتخير أستاذاً رشيداً يهديه ، ومثله إذا دون أسفارا لا يزداد بها إلا بعداً عن الله وأوزاراً ، وهو الذى يصبح متفانيا فى شيخه الزائغ بحيث لا يسمع إلا بسمعه ولا يبصر إلا ببصره فى جميع شئونه ، ويبقى فى أحط دركات الجهل من التقليد الأعمى ، ولو فكر قليلا لكان أدرك أن من السخف بمكان وضعه لشيخه فى إحدى كفتى الميزان ليوازن به جميع العلماء والفقهاء من هذه الأمة فى كفته الأخرى فيزنهم ويغالبهم به فيغلبهم فى علومهم !!! وهذا مالا يصدر من حاظ بعقله ، ولاسيما بعد التفكير فى تلك المخازى من شواذه . نعم يمكن أن يكون عنده أو عند شيخه بعض تفوق فى بعض العلوم على بعض مشايخ حارته أو أهل خطه أو قريته أو مضرب خيام عشيرته، لكن لا يوجب هذا أن يصدق فى ظنه فى حق نفسه أن جو هذه الأرض يضيق عن واسع فهومه ، وعرض هذه البحار لا يتسع لزاخر علومه .

ومن الآفات المردية التى تعترى الانسان وتقذف به إلى هاوية الخسران طغيانه حينما يرى نفسه على شئ من الاستغناء بمال أو جاه أو علم، لكن المال عرض زائل، والجاه الدنيوى قلما يدوم على حال ،وعلم الانسان مهما اتسع فما أوتى من العلم إلا قليلا وتلك الخلال لو روعيت حدودها لكانت أكبر عون للمرء على إحراز مرضاة الله سبحانه ، وأما إذا اتخذها أداة طغيان فاذ ذاك تنقلب تلك النعم مجلبة لسخط الله عز وجل ومقت الخلق، فيصبح ذلك الطاغى من الأخسرين أعمالا فى الدارين ، وليعلم أن ضرر العلم -إذا زاغ صاحبه- دونه كل ضرر ، فان الطاغى بالمال يزول ضرره بزوال ماله، كصاحب الجاه الذى لا يدوم جاهه، وأما صاحب العلم الذى لعب به الشيطان وخلد كتبا فيما طغى به فهمه وطاش قلمه، فيدوم ضرره ويتضاعف وزره مادامت آثاره دارجة يضل بها أناس ، فاذاً هى أخطر تلك الآفات. ولا يخفف عن مؤلفها العذاب الا باعراض الناس عن كتبه المغوية بتنبيه أهل العلم المهتدين على ماحوته من صنوف الزيغ والضلال ، فيكون فى الكشف عن مواطن الغواية من أمثال تلك الكتب .

تخفيف لعذاب مؤلفيها ، وصون للأمة عن الوقوع فى مهاويها . وقد عنى الموفقون من علماء هذه الامة بنقض أمثال تلك الكتب لتلك الغاية النبيلة قديماً وحديثاً ومن هلك بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

وللحافظ التقى السبكى فضل مشكور وعمل مبرور في الرد علي ابن زفيل وشيخه فى شواذهما المردية، ومن جملة مؤلفاته فى هذا الصدد « رده على نونية ابن القيم » وقد نقل السيد محمد المرتضى الزبيدى فى شرح الاحياء عند الكلام على إمامى أهل السنة عن هذا الرد المسمى « السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل » جملة نافعة من مقـدمته . والتقى السبكى أوجز فى رده مكتفياً بلفت النظر إلى كلمات الناظم الخطرة فى الغالب بدون أن يناقشه فيها كثيراً، باعتبار أن الاطلاع عليها يكفى بمجرده في نبذها وتضليل قائلها ، ولو كان السبكى يرى ابن القيم يستأهل المناقشة لأوسع فى الرد عليه ، لأنه كان أنظر أهل عصره ـ كما قال الاسنوى وغيره من المحققين ـ لكنه كان يعده فى غاية من الغباوة فاكتفى فى غالب الابحاث بلفت نظر عامة العلماء إلى أهوائه البشعة والتقى السبكى من ألطف أهل العلم لهجة وأنزههم لساناً مع من يرد عليهم . لكن حيث إن الناظم أسرف فى ضلاله وإضلاله اضطر التقى فى رده عليه إلى بعض إغلاظ فى حقه صوناً لمن عسى أن ينخدع بتلبيساته ، وقرعاً للعبد بالعصا ، وهو معذور فى ذلك بل إغلاظه ليس بشىء فى جنب ماتقول به ابن القيم فى حق جمهور أهـل الحق . ودونك نونيته التى رد عليها السبكى وهى أصدق شاهد لما قلنا

ونونية ابن القيم هذه من أبشع كتبه وأبعدها غوراً فى الضلال وأشنعها إغراء للحشوية ضد أهل السنة، وأوقحها في الكذب على العلماء كما ترى ايضاح ذلك فى مقدمة « السيف الصقيل » فلا نزاحم السبكى فى شرح بشاعة طريقته فيها إلا أنا نشير هنا إلى أن ابن القيم كلما تراه يزداد تهويلا وصراخاً باسم السنـة فى كتابه هـذا يجب أن تعلم أنه فى تلك الحالة متلبس بجريمة خداع خبيث وأنه فى تلك الحالة نفسها فى صـدد تلبيس ودس شنيعين ، وإنما تلك

التهويلات منه لتخدير المقول عن الانتباه لما يريد أن يدسه فى غضون كلامه من بدعه المخزية كما يظهر من مطالعة النونية بتبصر ويقظة وإنما اختار طريق النظم فى ذلك ليسهل عليه أن يهيم فى كل واد ، ولولا أنها طبعت مراراً وتكراراً ممن لا بغية له من طبعها غير عدد من القرش عملاً به الكرش . قام بذلك الدين أم قعد، بدون أن يقوم أحد من العلماء المعاصرين بالرد عليها، لكان اهمال الرد عليها أنسب، لكن لم يبق بعد تكرر طبعها مع تقاعس أهل العلم عن ردها مساغ للاهمال ، فوجب تقويض دعائمها بنشر كتاب السبكى مع تعليق كلمات عليه فى مواضع رأيناها فى حاجة إلى التعليق وقد سميت ما علقته « تكملة الرد على نونية ابن القيم » والله سبحانه ولى النفع وعليه توكلت وإليه أنيب .

محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

عفى عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الامام الحجة أبو الحسن على بن عبد الكافى السبكى رضى الله عنه).

ياعالما بكل شيء، قادراً على كل شيء، ارحم عبداً جاهلا بكل شيء، عاجزاً عن كل شيء، خلق ضعيفا تنتوشه الآفات من جميع الجهات ويستغرقه حتياجه على ممر الانفاس واللحظات، مدته فى الدنيا قصيرة لو صرفها كلها في طاعة ربه، وعلم نافع به سلامة قلبه كان موفقا يقتصر على خويصة نفسه. وهذا يحتاج الى مدد إلهى فى دنياه فى صحة جسمه وكفايته وكفاية من يتعلق به فى القوت ومايتعلق به ودفع الاذى عنه، وفى دينه بسلامة قلبه من العقائد الفاسدة، وإقباله على الله تعالى وسلامة جوارحه من المعاصى وقيامها بما افترض الله عليها، وسلامته في قلبه وجسمه من شياطين الانس والجن ونفسه وهواه وفي علمه فلا يشتغل من العلوم إلا بما ينفع وهو القرآن والسنة والفقه وأصول الفقه والنحو ويأخذها عن شيخ سالم العقيدة ويتجنب علم الكلام والحكمة اليونانية، والاجتماع بمن هو فاسد العقيدة أو النظر فى كلامه. وليس على العقائد أضر من شيئين علم الكلام والحكمة اليونانية، وهما فى الحقيقة علم واحد، وهو العلم الآلهي لكن اليونان طلبوه بمجرد عقولهم، والمتكلمون طلبوه بالعقل والنقل معاً وافترقوا ثلاث فرق إحداها غلب عليها جانب العقل وهم المعتزلة (١).

---

(١) وعنهم يقول أبو الحسين محمد بن أحمد الطرائفى الشافعى المتوفى سنة ٣٧٧ فى كتاب الرد على أهل الاهواء والبدع: «وهم أرباب أنواع الكلام وأصحاب الجدل والتميز والنظر والاستنباط والحجج على من خالفهم، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل والمنصفون فى مناظرة الخصوم، وهم عشرون فرقة يجتمعون على أصل واحد لا يفارقونه وعليه يتولون وبه يتمادون وإنما اختلفوا فى الفروع وهم سموا أنفسهم معتزلة، وذلك عندما بايع الحسن بن على عليه السلام معاوية وسلم اليه الامر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس ـ وذلك أنهم كانوا من أصحاب على ـ ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشتغل بالعلم

والثانية غلب عليها جانب النقل وهم الحشوية (١) والثالثة ماغلب عليها أحدهما بل بقى الأمران مرعيين عندها على حد سواء وهم الأشعرية وجميع الفرق الثلاث فى كلامها خاطرة إما خطأً فى بعضه وإما سقوط هيبة ، والسالم من ذلك كله ما كان عليه الصحابة والتابعون وعموم الناس الباقون على الفطرة السليمة. ولهذا كان الشافعي رضى الله عنه ينهى عن الاشتغال بعلم الكلام ويأمر بالاشتغال بالفقه فهو طريق السلامة ولو بقى الناس على ما كانوا عليه فى زمن الصحابة كان الأولى للعلماء تجنب النظر في علم الكلام جملة ، لكن حدثت بدع أوجبت للعلماء النظر فيه لمقاومة المبتدعين ودفع شبههم حذراً من أن تزيغ بها قلوب المهتدين ، والفرقة الأشعرية هم المتوسطون فى ذلك وهم الغالبون من الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة وسائر الناس .

والعبادة فسموا بذلك معتزلة » اهـ ثم ذكر أئمتهم من البصريين والبغداديين وسرد بعض آرائهم فى عدة أوراق . وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٩ فى التوحيد ولمتقدميهم فضل الدفاع عن الدين الاسلامى والرد على الزنادقة والنصارى واليهود لكن تحكيمهم للعقل وكثرة احتكاكهم بفرق الزيغ أديا بكثير منهم ولاسيما المتأخرين إلى صنوف من البدع الرديئة كما أشرت إلى ذلك فى مقدمة ما كتبته على « تبيين كذب المفترى » .

(١) ومنهم أصناف المشبهة والمجسمة ، وسبب تسميتهم حشوية أن طائفة منهم حضروا مجلس الحسن البصرى بالبصرة وتكلموا بالسقط عنده فقال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة — أى جانبها — فتسامع الناس ذلك وسموهم الحشوية بفتح الشين، ويصح إسكانها — لقولهم بالتجسيم لأن الجسم محشو — راجع شفاء الغليل للشهاب الخفاجى ، وذيل لب اللباب فى تحرير الأنساب للشيخ المحدث أبى العباس أحمد العجمى ، ومقدمة ما كتبناه على تبيين كذب المفترى. والحشوية هم الذين حادوا عن التنزيه وتقولوا فى الله بأفهامهم المعوجة وأوهامهم الممجوجة ، وهم مهما تظاهروا باتباع السلف إنما يتابعون السلف الطالح دون السلف الصالح ولا سبيل إلى استنكار ما كان عليه السلف الصالح من إجراء ماورد فى الكتاب والسنة المشهورة فى صفات الله سبحانه على اللسان ، مع القول بتنزيه الله سبحانه

وأما المعتزلة فكانت لهم دولة فى أوائل المائة الثالثة ساعدهم بعض الخلفاء ثم انخذلوا وكفى الله شرهم .

وهاتان الطائفتان الأشعرية والمعتزلة هما المتقاومتان وهما خولة المتكلمين من أهل الاسلام والأشعرية أعدلهما لأنها بنت أصولها على الكتاب والسنة والعقل الصحيح .

وأما الحكمة اليونانية فالناس مكفيون شرها ، لأن أهل الاسلام كلهم يعرفون فسادها ومجانبتها للاسلام .

تنزيها عاما بموجب قوله تعالى (ليس كمثله شئ) بدون خوض فى المعنى ولا زيادة على الوارد ولا إبدال ماورد بما لم يرد . وفى ذلك تأويل إجمالى بصرف الوارد فى ذات الله سبحانه عن سمات الحدوث من غير تعيين المراد وهم لم يخالفوا فى أصل التنزيه الخلف الذين يعينون معنى موافقا للتنزيه عما يرشدهم إليه استعمالات العرب وأدلة المقام وقرائن الحال على أن الخلف يفوضون علم مالم يظهر لهم وجهه كوضح الصبح إلى الله سبحانه.

فالخلاف بين الفريقين هين يسير وكلاهما منزه وإنما السبيل على الذين يحملون تلك الالفاظ على المعانى المتعارفة بينهم عند إطلاقها على الخلق ويستبدلون بها ألفاظاً يظنونها مرادفة لها ويستدلون بالمفاريد والمناكير والشواذ والموضوعات من الروايات . ويزيدون فى الكتاب والسنة أشياء من عند أنفسهم ويجعلون الفعل الوارد صفة إلى نحو ذلك فهؤلاء يلزمون مقتضى كلامهم وهم الحشوية.

فمن قال إنه استقر بذاته على العرش وينزل بذاته من العرش ويقعد الرسول صلى الله عليه وسلم على العرش معه فى جنبه وإن كلامه القائم بذاته صوت وأن نزوله بالحركة والنقلة وبالذات وأن له ثقلا يثقل على حملة العرش ، وأنه متمكن بالسماء أو العرش ، وأن له جهة وحداً وغاية ومكاناً ، وأن الحوادث تقوم به وأنه يماس العرش او احداً من خلقه ونحو ذلك من المخازى فلا نشك فى زيغه وخروجه وبعده عما يجوز فى الله سبحانه . وهذا مكشوف جداً فلا يمكن ستر مثل تلك المخازى بدعوى السلفية والذين يدينون بها هم الذين نستنكر عقائدهم ونستسخف أحلامهم ، ونذكرهم بأنهم نوابت حشوية .

وأما الحشوية فهي طائفة رذيلة جهال (١) ينتسبون إلى أحمد وأحمد مبرأ منهم . وسبب نسبتهم اليه أنه قام فى دفع المعتزلة وثبت فى المحنة رضى الله عنه ونقلت عنه كلمات مافهمها هؤلاء الجهال فاعتقدوا هذا الاعتقاد السيء وصار المتأخر منهم يتبع المتقدم الامن عصمه الله ومازالوا من حين نبغوا مستذلين ليس لهم رأس ولا من يناظر وانما كانت لهم في كل وقت ثورات ويتعلقون ببعض أتباع الدول ويكفى الله شرهم وماتعلقوا بأحد إلا كانت عاقبته إلى سوء وأفسدوا اعتقاد جماعة شذوذ من الشافعية (٢) وغيرهم ولاسيما بعض المحدثين الذين نقصت عقولهم أوغلب عليها من أضلهم فاعتقدوا أنهم يقولون بالحديث . ولقد كان أفضل المحدثين في زمانه بدمشق ابن عساكر (٣) يمتنع من تحديثهم ولا يمكنهم أن يحضروا مجلسه وكان ذلك أيام نور الدين الشهيد وكانوا مستذلين غاية الذلة .

---

(١) وهم طوائف كالكرامية والبربهارية والسالمية ولابن الجوزى كتاب (منهاج الوصول إلى علم الاصول) وكتاب (دفع شبه التشبيه بكف التنزيه) أجاد الرد عليهم فيهما ، وسبق أن نشر الثانى ، ومن جملة مايقوله ابن الجوزى فيه فقد فضحوا ذاك الامام بجهلهم ومذهبه التنزيه لكن هم اختلوا . وهو بديع فى بابه حجة على من سايرهم من الحنابلة .

(٢) على طول القرون لكن كفى شرهم نظار أهل الحق من الشافعية ولسنا فى صدد سرد أسمائهم هنا ونشير عرضاً إلى بعضهم فيما نعلق على هذا الكتاب .

(٣) وقد سبق أن نشر « تبيين كذب المفترى فى الذب عن الاشعرى » له مع مقدمة لنا عليه فى بيان الحالة العامة عند البعثة النبوية ولمعة فى نشأة الفرق وتعليقات على مواضع من الكتاب كنت كتبتها ففيها وفى الكتاب كثير مما يتعلق بالحشوية ، ولابن عساكر أيضا مجلس فى إثبات التنزيه وآخر فى نفى التشبيه ، كتاب فى (بيان وجوه التخليط فى حديث الاطيط) وكتاب فى (سرد الاسانيد فى حديث يوم المزيد) يبين فيهما وجوه الضعف فى أحاديث الاطيط وروايات يوم المزيد .

ثم جاء فى أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء واطلاع ولم يجد شيخا يهديه وهو على مذهبهم وهو جسور متجرد لتقرير مذهبه ويجد أموراً بعيدة فبجسارته يلتزمها فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى (١) وأن الله سبحانه مازال فاعلا وأن التسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو فيما سيأتى وشق العصا ، وشوش عقائد المسلمين وأغرى بينهم ولم يقتصر ضرره على العقائد فى علم الكلام حتى تعدى وقال ان السفر لزيارة النبى صلى الله عليه

---

(١) اتفقت فرق المسلمين سوى الكرامية وصنوف المجسمة على أن الله سبحانه منزه من أن تقوم به الحوادث وأن تحل به الحوادث وأن يحل فى شئ من الحوادث بل ذلك مما علم من الدين بالضرورة ، ودعوى أن الله لم يزل فاعلا متابعة منه للفلاسفة القائلين بسلب الاختيار عن الله سبحانه ، وبصدور العالم منه بالايجاب ، ونسبة ذلك إلى أحمد والبخارى وغيرهما من السلف كذب صريح وتقول قبيح ، ودعوى أن تسلسل الحوادث فى جانب الماضى غير محال لا تصدر ممن يعى ما يقول فمن تصور حوادث لا أول لها تصور أنه ما من حادث محقق إلا وقبله حادث محقق ، وأن ما دخل بالفعل تحت العد والاحصاء غير متناه وأما من قال بحوادث لا آخر لها فهو قائل بأن حوادث المستقبل لا تنتهى إلى حادث محقق إلا وبعده حادث مقدر ، فأين دعوى عدم تناهى ما دخل تحت الوجود فى جانب الماضى من دعوى عدم تناهى ما لم يدخل تحت الوجود فى المستقبل؟ على أن القول بالقدم النوعى فى العالم من لازمه البين عدم تناهى عدد الأرواح المكلفة فأنى يمكن حشر غير المتناهى من الأرواح وأشباحها فى سطح متناه محدود على هذا التقدير؟ فيكون القائل بعدم تناهى عدد المكلفين قائلا بنفى الحشر الجسمانى بل بنفى الحشر الروحانى أيضا حيث إن هذا القائل لا يعترف بتجرد الروح فيكون أسوأ حالا من غلاة الفلاسفة النافين للحشر الجسمانى وفى شواذ ذلك الزائغ كتب خاصة ترد عليه فى بدعه الاصلية والفرعية ، ولاستقصاء ذلك موضع آخر .

وسلم معصية (١) وقال إن الطلاق الثلاث لايقع وان من حلف بطلاق امرأته وحنث لايقع عليه طلاق . واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل فحبسه السلطان (٢) ومنع من الكتابة في الحبس وأن يدخل اليه أحد بدواة ومات في الحبس . ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده ويعلم مسائله ويلقي ذلك إلى الناس سراً ويكتمه (٣) جهراً فعم الضرر بذلك حتى وقفت في

(١) وضبطت فتواه بخطه بهذا المعنى وثبت ذلك ثبوتا شرعيا وشهد بذلك الامام جلال الدين القزويني صاحب التلخيص والايضاح وألف قاضي قضاة المالكية تقي الدين أبو عبدالله محمد الاخنائي في الرد عليه (المقالة المرضية في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية) كما ألف في الرد عليه المؤلف شفاء السقام في تلك المسألة بل جمع الحافظ الصلاح العلائي طرق حديث الزيارة في الرد عليه أيضا بطلب ابن الفركاح ولم يستمر على مشايعته بعد ذلك إلا مكسروا الحشوية تحت الخفاء وكم استتيب وأخذ خطه بالتوبة ثم نقض مواثيقه . راجع (نجم المهتدي) و (دفع الشبه) و (الدرر الكامنة)

(٢) الملك الناصر محمد بن قلاون ولم يكن له عداء شخصي نحو ابن تيمية أصلا كما اعترف بذلك أشياع ابن تيمية لكن لما رأى توالي فتنه واتفاق علماء المذاهب ضده ومعهم قاضي قضاة الحنابلة لم يسعه إلا أن يصدر مرسوماً لأهل دمشق ومرسوماً لسائر البلدان أسوة بما أصدره بمصر ضد هذا الزائغ . ونصوص تلك المراسيم مدونة في (نجم المهتدي) و (عيون التواريخ) و (دفع الشبه) بألفاظ متقاربة في المعنى وفي الاطلاع عليها عبرة بالغة . وقد تليت تلك المراسيم على المنابر نصحا للأمة وإفهاما لها أن ذلك الرجل مجسم زائغ اعتقاداً وعملا فلا يجوز الاغترار به .

(٣) ويظهر من ذلك ان نونية ابن القيم لم تكن تذاع في ذلك العهد إلا سراً وكفى هذا سعيا بالفساد ولا يحسبن القارئ أن ابن القيم ربما يكون تاب وأناب عن هذه العقيدة الزائغة التي احتوتها تلك القصيدة فانه يرى في ترجمته من طبقات الحنابلة لابن رجب أن ابن رجب سمعها من لفظ ابن القيم عام وفاته وهذا من الدليل على أنه استمر على هذا العقد الباطل الى أواخر عمره . وعدد أبياتها ستة آلاف بيت إلا واحداً وخمسين بيتاً .

هذا الزمان على قصيدة نحو ستة آلاف بيت يذكر ناظمها فيها عقائده وعقائد غيره ويزعم بجهله أن عقائده عقائد أهل الحديث [(١)] فوجدت هذه القصيدة تصنيفا فى علم الكلام الذى نهى العلماء عن النظر فيه لو كان حقا ، فكيف وهى تقرير للعقائد الباطلة وبوح بها وزيادة على ذلك وهى حمل العوام على تكفير كل من سواه وسوى طائفته. فهذه ثلاثة أمور هى مجامع ماتضمنته هذه القصيدة.

فالأول من الثلاثة حرام لأن النهى عن علم الكلام إن كان نهى تنزيه فيما تدعو الحاجة الى الرد على المبتدعة فيه فهو نهي تحريم فيما لا تدعو الحاجة اليه فكيف فيما هو باطل .

والثانى من الثلاثة العلماء مختلفون فى التكفير به إذا لم ينته الى هذا الحد اما مع هذه المبالغة ففى بقاء الخلاف فيه نظر .

وأما الثالث فنحن نعلم بالقطع أن هؤلاء الطوائف الثلاثة الشافعية والمالكية والحنفية وموافقيهم من الحنابلة مسلمون ليسوا بكافرين ، فالقول بأن جميعهم كفار وحمل الناس على ذلك كيف لا يكون كفراً وقد قال صلى الله عليه وسلم : «إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما» . فالضرورة أوجبت العلم بأن بعض من كفرهم مسلم والحديث

---

(١) وبين أهل الحديث من القدرية والخوارج وصنوف الشيعة والمجسمة من كرامية وبربهارية وسالمية رجال لا يحصيهم العد كما لا يخفى على من له إلمام بعلم الرجال فليس لهم عقيدة جامعة فيكون عزو عقيدة إلى جماعة الحديث مخادعة وتمويها على العقول فان كان يريد تخصيص هذا الاسم بصنوف المجسمة فهذه التسمية إنما تكون تسمية ما أنزل الله بها من سلطان ، وإنما التعويل على أهل الحديث فى روايتهم الحديث فقط فيما لا يتهمون به ، وأما علم أصول الدين فله أئمة معروفون وبراهين مدونة فى كتبهم ، وأهل الحديث المبرؤن من البدع يسيرون سيرهم .

اقتضى أن يبوء بها أحدهما فيكون القائل هو الذى باء بها .

وها أنا أذكر مجامع ماتضمنته القصيدة ملخصا من غير نظم وناظمها (١) أقل من أن أذكر كلامه لكنى تأسيت فى ذلك بإمام الحرمين فى كتابه المسمى بنقض كتاب السجزي ، والسجزى هذا كان محدثا له كتاب مترجم بمختصر البيان وجده امام الحرمين حين جاور بمكة شرفها الله. اشتمل كتاب السجزى هذا على أمور منها ان القرآن حروف وأصوات . قال امام الحرمين : وأبدى من غمرات جهله فصولا وسوى على قصبة سخافة عقله نصولا ، ومخايل الحمق فى تضاعيفها مصقولة وبعثات الحقائق دونها معقولة. وقال امام الحرمين ايضا : وهذا الجاهل الغر المتمادى فى الجهل المصر، يتطلع الى الرتب الرفيعة بالدؤب فى المطاعن فى الائمة والوقيعة . وقال امام الحرمين أيضا : صدر هذا الاحمق الباب بالمعهود من شتمه فأف له ولخرقه فقد والله سئمت البحث عن عواره وابداء شناره . وقال الامام ايضاً : وقد كسا هذا التيس الأئمة صفاته. وقال الامام ايضا: أبدى هذا الاحمق كلاماً ينقض آخره أوله فى الصفات وما ينبغى لمثله أن يتكلم فى صفات الله تعالى على جهله وسخافة عقله . وقال الامام أيضاً قد ذكر هذا اللعين الطريد المهين الشريد ، فصولا وزعم أن الأشعرية

---

(١) وهو ابن زفيل الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية كان يتناول يده من كتب الفرق التى كانت دمشق امتلأت بها بعد نكبة بغداد ونكبة البلاد الشرقية باستيلاء المغول عليها ما يزداد به غواية الى غوايته وقد حشر فى مؤلفاته مالم يفهمه ولم يهضمه من أقوال أرباب النحل شأن من خاض فى المسائل النظرية الخطرة من غير أستاذ رشيد فحصل فى تفكيره ما يحصل فى معدة الشره المتخوم فأصبحت مؤلفاته محشر الأقوال المتناقضة ولم ينخدع بها إلا من ظن أن العلم هو حشد المصطلحات من غير نظام يربط بعضها ببعض وبدون تمحيص الحق من الباطل .

يكفرون بها فعليه لعائن الله تترى واحدة بعد أخرى ومارأيت جاهلاً أجسر على التكفير وأسرع الى التحكم على الأئمة من هذا الأخرق وتكلم السجزى فى النزول والانتقال والزوال والاتصال والانفصال والذهاب والمجئ فقال الامام ومن قال بذلك حل دمه وتبرم الامام كثيراً من كلامه معه (١).
وهـا أنا أيضا أقتدى بالامام فى كلامى مع هذا الجاهل متبرما لـكن خشية على عقائد العوام تـكلمت . والسجزى الذى رد عليـه الامام أعرف ترجمته محدث (٢) لايصل ناظم هذه القصيدة الى عشره فى الحديث ولـكن

---

(١) وعن هـذا السجزى يقول أبو جعفر اللبلى الاندلسى فى فهرسته : وكذلك اللعين المعروف بالسجزى فانه تصـدى أيضاً للوقوع فى أعيان الائمة وسرج الأمة بتأليف تالف وهو عـلى قلة مقداره وكثرة عواره ينسب أئمة الحقايق وأحبار الامة وبحور العلوم الى التلبيس والمراوغة والتدليس وهذا الرذل الخسيس أحقر من أن يكترث به ذما ولا يضر البحر الخضم ولغة كلب
ما يضر البحر أمسى زاخرا * أن رمى فيه غلام بحجر .
فما ذكر هـذا المنافق الحائد بجهله عن الحقائق ان من مذهب الأشعرية ان النبوة عرض من الأعراض والعرض لا يبقى زمانين وإذا مات النبي زالت نبوته وانقطعت دعوته وهـذه من جملة حكاياته وتقولاته المستبعدة الباردة اهـ وسيأتى الرد على هذا الهذيان .وقد وفاه اللبلى الكيل صاعا بصاع .
(٢) و من الغريب أن السجزيين مهما علت منزلتهم فى الرواية يقل بينهم جداً من يكون طاهر الذيل ناصع الجبين من خش التشبيه ووصمة التجسيم كما لايخفى على من بحث مؤلفاتهم بتبصر وأرى ذلك من عـدوى مرض شيخ المجسمة أبى عبد الله محمد بن كرام السجزى الذى بتقشفه كان سحر ألباب أهل سجستان وتاريخـه فى غاية من الشهرة . وهـذا السجزى هو أبو نصر الوائلى مؤلف الابانة المتوفى سنة ٤٤٤ وصاحبه السعد الزنجانى بمكة مثله فى التشبيه مع أنهما ينتحلان مذهب الشافعى. ومن هذا الطراز الآجرى صاحب كتاب الشريعة

الانسان يضطر إلى الكلام مع الجهال والمبتدعين صيانة لعقائد المسلمين وليت كلامى كان مع عالم أو مع زاهد أو متحفظ فى دينه صين فى عرضه قاصد للحق ولكنها بلوى نسأل الله حسن عاقبتها وبعد أن سنت قصدت الاقتصار على اختصار مجامعها عن لى هنا أن أستوعب كلماتها لاطفىء جمراتها .

فصل

قال : « جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو ومعطل » إلى أن قال : « من كلام المثبت أن كهيعص وحمعسق وق ون عين كلام الله حقيقة وأن الله تكلم بالقرآن العربى الذى سمعه الصحابة » مراده بذلك أن كلام الله حرف وصوت وهذا الجاهل لا يفرق بين كلام الله واللفظ الدال عليه (١) ثم قال : « ومن قال ليس لله فى الارض كلام فقد جحد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم »

قبلهما ويرثى لحال من يميل إلى التشبيه مع جلالة مقداره فى الحديث ونحن لا نعول على الرجل إلا فى العلم الذى يتقنه دون سائر العلوم فكم بين أهل الحديث من هو أنزل منزلة من العامى فى علم أصول الدين والفقه وكذلك سائر العلماء فى غير علومهم .

(١) بل بين الكلام اللفظى والكلام النفسى وفى أوائل تفسير (روح المعانى) بسط لطيف فى الكلام النفسى بحيث لا يدع شكا لمرتاب . وبعد أن انتهى الالوسى فيه من الكلام فى الكلام النفسى قال : ومن أحاط بذلك اندفع عنه كل اشكال فى هذا الباب ورأى أن تشنيع ابن تيمية وابن القيم وابن قدامة (الموفق) وابن قاضى الجبل والطوفى (سليمان بن عبد القوى) وأبى نصر (السجزى) وأمثالهم صرير باب أوطنين ذباب ... وقد انحرفت أفكارهم واختلطت أنظارهم فوقعوا فى علماء الأمة وأكابر الائمة وبالغوا فى التعنيف والتشنيع وتجاوزوا فى التسخيف والتفظيع ولولا الخروج عن الصدد لوفيتهم الكيل صاعا بصاع .

هذا الكلام يحتمل وجهين [١] لا نطول بهما . ثم قال : «إن الله فوق سمواته».
يقال له : أين قال الله أو رسوله إنه فوق سمواته ؟ وأنت قلت في صدر كلامك
« نقول ما قاله ربنا » وأين قال ربنا : انه بائن من خلقه . ليس في مخلوقاته شيء
من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته فقد نسبت الى قول الله مالم يقله ومن هو
المعطل الذى عنيته فانا لا نعرف اليوم أحداً معطلا يتظاهر بين المسلمين بل ولا
معتزليا ولا فيلسوفا يتظاهر بقول الفلاسفة [٢] فلعلك عنيت الاشعرية فانهم
القائمون اليوم من أكثر المذاهب ثم قال: [٣] « فلما سمع المعطل منه ذلك أمسك ثم

ولتقدمت اليهم بما قدموا باعا بباع ولعلمتهم كيف يكون الهجاء بحروف
الهجاء ولعرفتهم إلام ينتهى المراء بلا مراء : فلى فرس للحلم بالحلم ملجم .
ولى فرس للجهل بالجهل مسرج . فمن رام تقويمى فانى مقوم . ومن رام تعويجى
فانى معوج . على أن العفو أقرب للتقوى والاغضاء مبنى الفتوة وعليه الفتوى
والسادة الذين تكلم فيهم هؤلاء إذا مروا باللغو مروا كراما وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما اه .

(١) لعله يريد وجود الكلام النفسى ووجود الكلام اللفظى فنفى وجود
الثانى فى الأرض نفى لوجود كتاب الله وشرعه فى الارض وهو كفر صراح
ولا قائل بذلك من فرق المسلمين . وأما زعم وجود الكلام النفسى القائم بالله
فى الارض فقول بالحلول كقول النصارى فى الكلمة وقد كفر غير واحد من
أئمة السنة، السالمية على قولهم بأنه تعالى يقرأ على لسان كل قارئ تعالى الله عما
يأفكون . وقد ذكرنا مايتعلق بذلك بنوع من البسط فيما علقناه على التبيين وفى
(لفت اللحظ إلى مافى الاختلاف فى اللفظ) .

(٢) هذا بالنظر إلى عهد المؤلف فان العلماء كانوا قائمين بواجبهم إذ ذاك
يوقفون المبتدعة الذين يحاولون الاعتداء على حريم قدس الدين عند حدهم
وما ألف فى الرد على هذا الزائغ وشيخه من الكتب فى ذلك العصر يعد
بالعشرات فضلا عن باقى أهل الضلالة . وأما اليوم فقلما تجد بين العلماء من
يسهر على السنة النقية البيضاء والدين الحنيف فاتسع المجال لتمويه الضلال .
وأدعو الله سبحانه أن يوقظ أهل الشأن من سباتهم العميق ويرشدهم إلى حراسة
الشرع من اعتداء المعتدين .

(٣) مما اختص به ناظم القصيدة من بين دعاة الحشوية تصوير مناظرات فى

آسرها في نفسه وخلا بشياطينه وبني جنسه وأوحى بعضهم إلى بعض أصناف المكر والاحتيال وراموا أمراً يستحمدون به الى نظرائهم من أهل البدع والضلال وعقدوا مجلساً بيتوا فيه مالا يرضاه الله من القول وراموا استدعاء المثبت ليجعلوا نزله ما لفقوه من الكذب وتموه فلم يتجاسروا وخذلهم المطاع فزق ما كتبوه من المحاضر فسعى في عقد مجلس عند السلطان فلم يذعنوا فطالبهم باحدى ثلاث، مناظرة فأبوا، فدعاهم الى مكاتبة فأبوا فدعاهم الى المباهلة بين الركن والمقام فلم يجيبوا فحينئذ عقد المثبت لله مجلساً بينه وبين خصمه وما كان أهل التعطيل أولياءه إن أولياؤه الا المتقون »

هذا كله مقصوده به والله أعلم طوائف الاشعرية الشافعية والمالكية والحنفية الذين كانوا مقاومين لابن تيمية فهم الذين يسميهم المعطلة وكان مراده بالمثبت ابن تيمية والعاقد للمجلس فيما بينه وبين خصمه إما ابن تيميه وإما هذا النحس المتشبع بما لم يعط .

فصل

قال : « وهذه أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد »

مقصوده بالمعطل الجماعة الأشعرية، وبالموحد نفسه وطائفته، والمشبه لا وجود له عنده . ومقصود غرمائه بالمشبه هو وطائفته وبالموحد أنفسهم، والمعطل لا وجود له الآن عندهم، لأن المعطل هو المنكر للصانع، والمشبه هو الذي

مسائل يدس في غضون كلام الطرفين مايشاء من وسائل استدراج الضعفاء إلى ضلاله وهذه طريقة الأقدمين من أعداء الدين بعثها من مرقدها هذا الناظم ليصل إلى إضلالهم بطريقة روائية خيالية فمن مشى على الاستسلام له فيما يراه من مناظراته الخيالية في هذا الكتاب وفي شفاء العليل وإعلام الموقعين ونحوها فانه معرض للانحلال وسنكشف الستار عن وجوه تضليله وتدجيليه بحول الله وتوفيقه.

شبهه بخلقه وهذا على ظاهره لا يوجد من يقول به لكن بما يلزم عنه، ولا شك أن لزوم التشبيه له أظهر من لزوم التعطيل لغرمائه، وإذا امتحن الانسان نفسه قطع بأن الأشعرى ليس بمعطل وأن هذا النحس مشبه ولا ينجيه إنكاره باللسان وقد اعترف على نفسه بأن من شبه الله بخلقه فقد كفر. واندفع فى ضرب الأمثلة بما لا نطول به

فصل

قال فى قصيدته التى أهدت الجرى إليه وفرقت سهام النبال عليه

« إن كنت كاذبة الذى حدثتنى * فعليك إثم الكاذب الفتان

جهم بن[1] صفوان وشيعته الألى * جحدوا صفات الخالق الديان

بل عطلوا منه السموات العلى * والعرش أخلوه من الرحمن »

أما جهم فمضى من سنين كثيرة ولا يعرف اليوم أحد على مذهبه فعلم أن مراد هذا الناظم بالجهمية الأشعرية من الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة فليعلم اصطلاحه وكل ماينسبه إلى الجهمية فمراده بها هؤلاء، والمعتزلة

(١) جهم بن صفوان زائغ باتفاق بين أهل السنة والمعتزلة يقول بنفى الخلود فى الجنة وفى النار وتابعه ناظم القصيدة فى شطر هذا المعتقد حيث يقول لا خلود للكفار فى النار تبعاً لشيخه وهو كفر عند جمهور أهل الحق. وكان جهم منبوذاً لم يبق بعد قتله من تابعه أصلا ومن يقال فيه من المتكلمين إنه جهمى من قبيل النبز بالألقاب، وقد توسعت فى بيان ذلك بعض توسع فيما علقته على الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة وليس بين المعتزلة فضلا عن الأشاعرة من ينفى أن الله سبحانه عالم قدير سميع بصير الى آخر تلك الصفات الواردة فى الكتاب والسنة المشهورة حتى يصح رميهم بجحد الصفات وجل الاله سبحانه من أن يكون له مكان يحويه فلا يقال إن السماء ظرف له ولا إن العرش مستقر ذاته فأين فى كتاب الله مثل ذلك ؟ وتفسير الاستواء بالاستقرار إنما هو قول مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة وقول الكلبى الزائغ .

يشاركون الأشعرية فى ذلك لـكن ما منهم أحد موجود فى هذه البلاد وإن كان موجوداً فلا ظهور له ،فكل ما قال هذا الناظم عن جهم في هذه القصيدة فمراده ، الذى مذهبه مذهب الأشعرى :

فصل

قال : « والعبد عندهم فليس بفاعل* بل فعله كتحرك الرجفان» كذب هـذا الجاهل فى قوله : إن العبد عندهم ليس بفاعل . ولكن مراده بذلك قولهم : إنه لايخلق فعله . وليس بخالق والله سبحانه هو خالق أفعال العباد ، فاعتقد هذا الجاهل (١) بسبب ذلك أنهم يقولون إنه ليس بفاعل . وكون العبد ليس بخالق حق وكونه ليس بفاعل باطل والفاعل من قام به الفعل والفعل قائم بذات العبد والخالق من أوجد الفعل ولا يوجده إلا الله.وقوله : كتحرك الرجفان جهل منه فانه لم يفرق بين الجبر ومذهب الاشعرى ثم قال : « والله يصليه على ماليس من * أفعاله حر الجحيم الآن» استمر هذا الجاهل على جهله وكذبه . وكذلك قوله : « لـكن يعاقبه على أفعاله » ثم قال : « والظلم عنـدهم المحال لذاته » نعم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وما ربك بظلام للعبيد وكيف يتصور الظلم والـكل ملـكه ثم قال : « أنى ينزه عنه ويكون مدحا ذلك التنزيه » قلنا ياجاهل اجترأت على الله وعلى عباده فلم تفرق بين الفعل والخلق وظننت بجهلك أنهما سواء وأنه لايعاقب على فعله،وقلت : « ماهذا بمعقول لذى الأذهان » وأى ذهن لك حتى تعقل به وأنت عن تعقل أحكام الربوبية بمعزل؟وهل مثلك ومثل من هو أكبر منك إلا كمثل الخفاش بالنسبة إلى ضوء النار . ؟

---

(١) أقل مايقال فى هذا الناظم أنه جاهل فاذا طالعت ماذكره فى شفاء العليل عن كسب العبد تجده ينقل عن نظامية إمام الحرمين قوله فى أفعال العباد فيسايره إلى أبعد حد ثم يتراجع فيقع فى أحط دركات الجبر ثم يقع فى المعتزلة وقيعة لامزيد عليها ثم تجـده يسبقهم فى التجرؤ . والحاصل أنه جماع لآراء الناس من غير أن يعقلها على وجوهها فيتخبط تخبط من به مس،وهو يصور مناظرات خيالية بين سني وجبرى وأخرى بين سنى وقدرى،فى شفاء العليل.

فصل

قال : « وكذاك قالوا ماله من حكمة (١) هى غاية للأمر والاتقان ». انظر هذه الجراءة والكذب والبهت على العلماء وما قال إنهم نسبوه الى الله ثم قال :

« ماثم غير مشيئة قد رجحت * مثلا على مثل بلا رجحان »

أبصر هذا القدم البليد الفهم ساء سمعا فساء جابة كأنه سمع كلام الأشعرية فما فهمه وظن أنهم يقولون إن الافعال كلها سواء بالنسبة الى كل شئ وإن المشيئة رجحت بعضها على بعض مع تساويها وإنه ما ثم غير المشيئة وجعل المشيئة هى المرجحة ولم يذكر القدرة والتبس عليه الرجحان الحاصل فى الفعل بالرجحان الذى هو موجب للفعل أو باعث عليه ومن لا يكون اشتغل بشئ من العلوم كيف يتكلم فى هذه الحقائق؟ ثم قال :

« هذا وما تلك المشيئة وصفه * بل ذاته او فعله قولان ».

ليتنى ماشرعت فى الكلام مع هذا ينبغى ...أن يطالب بالقولين على هذه الصورة وبالقول بأنه ماتلك المشيئة وصفه وانما سمع كلاماً إما من كلامهم وإما من شيخه فما فهمه هو وما فهمه شيخه وعبر عنه بهذه العبارة الرديئة وإن أراد بهذا البيت المعتزلة فقد خلط كلام المعتزلة بكلام الأشعرية قبحه الله .

يدس فى خلالها أموراً ينقض بعضها بعضاً وذلك كله من سوء فهمه وضغطه لذهنه بشتى الأنظار التى هو غير مستأهل لتحقيقها وتمحيص الحق من بينها فتتشوه الحقائق فى ذهنه وتكتسى أسمج الصور كما هو شأن ماينعكس فى المرايا المحدبة والمقعرة وشأن من اختلت بصيرته نسأل الله العافية .

(١) ولا قائل بذلك مطلقا بين فرق المسلمين الذين علموا من الدين بالضرورة أن الله عزيز حكيم وأما كون أفعال الله سبحانه غير معللة بالأغراض فليس من نفى الحكمة فى شئ بل من قبيل التهيب والاحتراز من القول بأن هناك غرضاً يحمل الله سبحانه على الفعل استحصالا لذلك الغرض الذى لا يحصل إلا بذلك الفعل . ولا يخفى أن هذا مما يجب الاحتراز منه لعدم ورود إطلاق مثل ذلك فى الكتاب والسنة ولما فى ذلك من الاستكمال بالغير. وأما قول محقق أهل

ثم قال : «وكلامه مذ كان غيراً كان مخلوقاً له » هذا بالنسبة الى المعتزلة ثم قال

« قالوا وإقرار العباد بأنه * خلاقهم هو منتهى الايمان »

لم يقولوا كذلك أما أولا فلأنه لا بد من الشهادتين وأما ثانيا فنتهي الايمان يشعر بالايمان الكامل ولم يقل بهذا أحد وأما ثالثا فقوله «فالناس فى الايمان شئ واحد » ليس مما يحسن (١) وأما رابعا فما ذكره عن أبى جهل وغيره (٢) أنه لم يكن فيهم منكر للخالق يكفى فى الرد عليه أن كل من سمعه يتخذه ضحكة.

الفقه بوجود حكم ومصالح فيها ترجع الى العباد سواء عقلناها أو لم نعقلها فليس فيه ما يوجب التهييب بل هو محض الصواب هذا عند القائلين بأن الله فاعل بالاختيار كما هو الحق وأما الذين يعدونه فاعلا بالايجاب كالفلاسفة فلا يتصوورون هناك لا غرضاً ولا حكمة وليس المراد هنا بالوجوب الضرورة بشرط المحمول. ومن الغريب أن ابن القيم قائل بالايجاب حتى تراه يدافع عن أن الحوادث لا أول لها ومع ذلك يرى أنها معللة بالأغراض وما هذا إلا تهاتر.

(١) لأنه إن أراد أن الناس متساوون فى الايمان فهذا باطل لأن من الناس من هو مؤمن ومن هو كافر وإن أراد أن المؤمنين متساوون فى الايمان فلا يصح ذلك أيضاً فان منهم من هو كامل الايمان باستكمال العمل ومنهم من هو غير كامل الايمان باخلاله بالعمل وإن كانوا متساوين فى المؤمن به وفى الجزم المنافى لتجويز النقيض على أن طريق حصول هذا الجزم مختلف فى المؤمنين فيتفاوت إيمانهم باعتبار عدم قبوله الزوال أصلا أو قبوله الزوال ببطء أو بسرعة فالعامى الجازم معرض لزوال الايمان بأدنى تشكيك والعالم الجازم بالبراهين يمكن زوال إيمانه بطروء شبهة، وإيمان الانبياء لا يحتمل الزوال أصلا لأن طريق حصوله الوحي والمشاهدة.

(٢) من عبدة الأوثان واليهود والنصارى وفرعون وقارون وهامان ونحوهم . ولو تذكر ابن القيم قول يوسف عليه السلام (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) وقول إبراهيم عليه السلام (أإفكا آلهة دون الله تريدون) وقول الكفار حينما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كلمة التوحيد (أجعل

فصل

قال : « وقضى – يعني جهما – وشيعته الذين هم الأشعرية بزعمه بأن الله كان معطلا والفعل ممتنع بلا إمكان ثم استحال وصار مقدوراله من غير أمر قام بالديان » مقصوده أن الله مازال يفعل وهذا يستوجب (١) القول بقدم العالم وهو كفر .

فصل

قال : « وقضى الله بأن يجعل خلقه عدماً ويقلبه وجوداً ويعيدذا المعدوم. هذا المعاد وذلك المبدأ لذى جهم وقد نسبوه للقرآن هذا الذى قاد ابن سينا والألى قالوا مقالتــه إلى الكفران لم تقبل الأذهان ذا وتوهموا أن الرسول

الآلهة إلها واحداً)وقولهم فى التلبية (لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك) لا ستحيي أن يفوه بذلك وبقوله :

هل كان فيهم منكر للخالق الـ   رب العظيم مكون الأكوان
فليبشروا مافيهم من كافر   هم عند جهم كاملو الايمان

فأين توحيد الربوبية والألوهية من توحيد الخالقية والرازقية ؟ عـلى تقدير تسليم شمـول آية توحيد الخالقية لهم بل الضمير فى (ولئن سألتهم) بعيد عن العموم . ومعتقد المؤمنين : أنه لارب ولا إله ولا خالق ولا رازق سوى الله عز وجل . وهذا هو ايمان المؤمنين عـلى رغم تقول الزائغين المائلين الى الخوارج المستهجنين لمعتقد المؤمنين .

(١) وهذا الاستلزام بين ومايقال من أن لازم المذهب ليس بمذهب إنما هو فيما إذا كان اللزوم غير بين فاللازم البين لمذهب العاقل مذهب له وأما من يقول بملزوم مع نفيه للازمه البين فلا يعد هذا اللازم مذهبا له لكن يسقطه هذا النفى من مرتبة العقـلاء إلى درك الانعام وهـذا هو التحقيق فى لازم المذهب فيـدور أمر القائل بما يستلزم الـكفر لزوماً بينا بين أن يكون كافراً أو حماراً .

عناه بالايمان ،هذا كتاب الله أنى قاله أو عبده أو صحبه أو تابع ، بل صرح الوحي بانه مغير الأكوان وتحدث الأرض وتشهد أفيشهد العدم » .

أجمع المسلمون على أن الله قادر على أن يعدم الخلق ثم يعيده وعلى أن إنكار ذلك كفر وجمهور المسلمين على أن الواقع ذلك لقوله تعالى(كل من عليها فان)و(كل شئ هالك إلا وجهه)وقيل إن الأجسام تتفرق ثم تعاد وقوله (أفيشهد العدم) أنحن قلنا تشهد وهى عدم إنما تشهد بعد الاعادة فانظر كلام هذا الجاهل وقوله (لم تقبل الأذهان ذا) إن كان ينكر إمكانه (وكونه مقدوراً لله) فهو كافر وإن لم ينكر إلا وقوعه فهو مذهب ضعيف . ثم قال « هذا الذى جاء الكتاب وسنة الهادى به ، ما قال إن الله يعدم خلقه طراً كقول الجاهل الحيران » أقول قد قال تعالى : كما بدأنا أول خلق نعيده . ولو كانت الاعادة جمع الأجزاء بعد تفريقها أو الاتيان بغيرها لم تنطبق على الآية فان الآية تقتضى أن جميع ما بدأ به الخلق يعيده وإنما يكون كذلك إذا أعدمه ثم أعاده بعينه والله قادر على ذلك وقال تعالى : وهو أهون عليه وإنما كان أهون بالنسبة إلى الشاهد لأن الاعادة فى الشاهد فعل على مثال وهو أهون من الابتداء لأنه فعل على غير مثال مع اشترا كهما فى الاخراج من العدم إلى الوجود . وعند هذا المتخلف ما أخرج المعاد من العدم إلى الوجود بل من صفة إلى صفة يتعالى الله عن قوله فهذا القول منه بما دل عليه من أن الابراز من العدم إلى الوجود فى الاعادة غير مقدور ، كفر إلا إذا تأول على الوقوع مع الموافقة على الامكان وليس ظاهر الكلام فنى قبول قوله إذا ادعاه نظر لأن هذا يتكرر وتكرير هذه الأمور يشبه الزندقة .

فصل

قال : « وقضى بأن الله ليس بفاعل فعلا يقوم[1] به بلا برهان » مقصود.

---

(١) قال الاستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادى فى كتاب (الاسماء والصفات) : إن الاشعرى وأكثر المتكلمين قالوا بتكفير كل مبتدع كانت

الناظم أن الله يفعل فعلا فى ذاته فيكون محلا للحوادث تعالى الله عن قوله فنسب إلى جهم خلاف قوله وانه قول بلا برهان . وهذا الناظم لا يعرف حقيقة البرهان ثم قال : « والجبر مذهبه » إن أراد نفس جهم فهو ليس بموجود والكلام معه ضياع . وإن أراد الأشعرى فقد كذب في قوله (ان الجبر مذهبه) ثم قال :« لكنهم حملوا ذنوبهم على رب العباد» هذا كذب أيضاً عليهم فان الجبرية يقولون إن الله تعالى يعذب من يشاء بذنب وبغير ذنب ، له ذلك لا يسئل عما يفعل . وقوله :

« وتبرأوا منها وقالوا إنها * أفعاله ما حيلة الانسان »

ما يتبرأ منها على هذه الصورة إلا ملحد، والذى يعتقد ذلك يقول انه تعالى يفعل ما يشاء وأطال الناظم فى هذا كثيراً بجهل وصبية أو تقليد لمن هو مثله ثم قال :

بدعته كفراً أو أدت الى كفر كمن زعم أن لمعبوده صورة أو أن له حداً ونهاية أو أنه يجوز عليه الحركة والسكون ... ولا إشكال لذى لب فى تكفير الكرامية مجسمة خراسان فى قولهم إنه تعالى جسم له حد ونهاية من تحته وأنه مماس لعرشه وأنه محل الحوادث وأنه يحدث فيه قوله وارادته اهـ راجع الفتاوى الحلبيات فى أجوبة المؤلف عن ٦٤ مسألة سأله عنها الشهاب الاذرعى . و كثيراً ماترى الناظم يلهج بقيام الافعال الحادثة بالله تعالى وينطق بلوازم الجسمية التشبيه بكل صراحة وفى مثله قال القائل :

كم تزرع التشبيه فى سنخ القلوب فما انزرع
فاهجر دمشق وأهلها واسكن ببصرى أوزرع
فهناك يمكن أن يصدق ماتقول ويستمع

وحق أمصار المسلمين أن لا تروج فيها أمثال تلك الأباطيل وإن تروج فانما تروج فى مثل بصرى بلد ابن زكنون أو زرع بلد الناظم أو تلك القفار التى لا يشع فيها نور غير نور الشمس .

« وكذلك أفعال المهيمن لم تقم * أيضا به خوفا من الحدثان
فاذا جمعت مقالتيه أنتجا * كذبا(وزورا واضح البهتان) »

يعنى أن فعل العبد فعل الله وفعل الله ما هو فى ذاته أنتجا بجهله ما يقوله . وهو قوله «فهناك لاخلق ولا أمر ولا* وحي ولا تكليف عبد فان» ما هذه إلا قحة وبلادة يأخذ ما يتوهمه لازما فيستنتج وينكر على الناس إلزامه التجسيم اللازم، ثم قال :

« فانظر إلى تعطيله الأوصاف [1] والا * أفعال والأسماء للرحمن »

ياجاهل من قال بحدوث الأفعال كيف يلزمه التعطيل ؟ ثم قال :

« ماذا الذى فى ضمن ذا التعطيل من نفى * ومن جحد ومن كفران » .

إذا رجعنا الى الخلاف بينك وبينه وجدناك كاذبا عليه ليس فى القول بحدوث الافعال لا نفى ولا جحود ولا كفران ثم قال

« لكنه أبدى المقالة هكذا * فى قالب التنزيه للرحمن
«وأتى إلى الكفر العظيم فصاغه * عجلا ليفتن أمة الثيران »

الله عند لسان كل قائل. الرجل إنما قال ذلك فى قالب التنزيه ولم نعلم نحن باطنه فمن أين لك أنه قصد خلافه وصاغ الكفر عجلا ثم قال :

---

(١) والناظم المسكين قائل بحوادث لا أول لها انخداعاً منه بشبه أوردها الفلاسفة فى بحث الحدوث غير متصور اتصاف الله سبحانه بصفاته العليا قبل صدور الافعال منه تعالى . واستنكار شيخه (كان الله ولم يكن معه شئ) مما استبشعه ابن حجر فى فتح البارى جد الاستبشاع . وحدوث الافعال فيما لايزال لا يلزم منه تعطيل الصفات أصلا لافى زمن حدوث الافعال ولافى غيره وهو تعالى سريع الحساب وشديد العقاب قبل خلق الكون وقبل النشور وهل يتصور عاقل أن يحاسب الله خلقه أو يعاقبهم قبل أن يخلقهم ؟ . وهذا يهد مزاعم الناظم الذى يجرى الصفات على مجرى واحد ، فالله القادر مختار يفعل مايشاء متى شاء.

« فرآه ثيران الورى فأصابهم * كمصاب إخوتهم قـديم زمان »

إن أراد طائفة لا وجود لها فما فى ذكرها من فائدة وإن أراد خصماءه من الاشعرية ونحوهم فيالها من مصيبة جعلهم ثيرانا إخوة اليهود ثم قال :

« عجلان قد فتنا العباد بصوته * احـداهما وبحرفـه ذا الثانى »

وذكر أبياتا إلى آخرها والله أعلم أنه يقصد بها ربط قلوب الناس على أنه لامسلم إلاهو وطائفته وسائر الناس كفار كاليهود الذين عبدوا العجل فيا ترى من أحق بشبه من عبد العجل ؟ المجسم أم غيره ؟

فصل

ثم قال: «ياأيها الرجل المريد نجاته (اسمع مقالة ناصح معوان)

واضرب بسيف الوحى كل معطل * ضرب المجاهد فوق كل بنان

« من ذايبارز فليقدم نفسه * او من يسابق يبد فى الميدان »

ويلك من أنت ؟ . أو أنت تعرف المبـارزة أو حضرت قط مبارزة أو ميدانا ؟ . ثم قال :

« لا تخش من كيد العدو ومكرهم * فقتالهم بالـكذب والبهتان

فجنود أتباع الرسول ملائك * وجنودهم فعساكر الشيطان »

انظر كيف يقول عن خصومه وهم هداة العالم انهم عساكر الشيطان وإن قتالهم بالكذب والبهتان ثم قال : «فاذا رأيت عصابة الاسـلام قد وافت » يعنى عصابة طائفته فانظر دلالته على كفر غيره « فاذا دعوك لغير حكمهما » يعنى الـكتاب والسنة « فلا سمعا لداعي الـكفر والعصيان » فانظر إلى إيهامه العوام أن خصومه يدعون الى غير الـكتاب والسنة . ثم قال :

«و اسمع نصيحة من له خبر بما * عند الورى من كثرة الجولان

ما عندهم والله خير غير ما * أخذوه عمن جاء بالقرآن »

نعم ولـكنهم فهموه وأنت مافهمته ثم قال :

« والكل بعد فبدعة أوفرية * او بحث تشكيك ورأى فلان »
(كأنه يصف طائفته).

« فصل »

وهذا أول عقد مجلس التحكيم » قال :

« واحكم إذا فى رفقة قد سافروا * يبغون فاطر هذه الأكوان
فترافقوا فى سيرهم وتفارقوا * عند افتراق الطرق بالحيران
فأتى فريق ثم قال وجدته * هذا الوجود بعينه وعيان
فهو السماء بعينها وهو الغمام بعينه وهو الهواء بعينه ، هذى بنا أطه ومنه
تركبت هذى المظاهر (١) يلبسها ويخلعها وتكثر الموجود كالأعضاء فى المحسوس

(١) فتكون المظاهر على ماصوره الناظم محلا له تعالى تعالى الله عن ذلك وأما كون الشيء مجلى لشيء فلا يفيد كونه محلا له فان الظاهر فى المرآة مثلا خارج عنها بذاته قطعا بخلاف الحال فى محل فانه حاصل فيه فالظهور غير الحلول فان الظهور يجامع التنزيه بخلاف الحلول عند أشياع الشيخ الاكبر وأما كونه كلا والكون جزءاً له على ماذكره الناظم فعلى خلاف ما اشتهر عنهم أن العالم أعراض مجتمعة فى عين واحد كالثلج مع الماء تعالى الله عما يأفكون والواجب تعالى عندهم هو الوجود المحض المجرد عن الماهية القائم بذاته المتعين بذاته المطلق حتى عن قيد الاطلاق بمعنى أنه واحد شخصي موجود بوجود هو نفسه فلا يكون المطلق عندهم بمعنى الكلى حتى يرد على ذلك ما أورده السعد فى شرح المقاصد من تسعة أوجه وأول من نطق بوحدة الوجود فى الاسلام — فيما نعلم — هو جهم بن صفوان ولذلك ذهب الى الجبر فكم فتح هذا الرأى من أبواب للاباحة والزندقة على شرار الخلق وأما القول بأن الممكن الوجود كلا موجود بالنظر إلى واجب الوجود لاحتياجه اليه بدءاً ودواماً فليس من الخطر فى شيء كالقول بأن ذلك حالة خيالية تطرأ للسالك المقبل الى الله بكليته ثم تنجلى كما ذكره السعد فى شرح النسفية والناظم فى كثير من كتبه ومن صوفية من يتصور مسألة الوجود بحيث لايخل بالتكليف والتنزيه ويقول إنه طور وراء طور العقل ولا كلام لنا فيما هو وراء طور العقل .

او كا لقوى فى النفس . هذه مقالة ، او كتكثر الأنواع فى جنس فيكون كليا وجزئياته هذا الوجود[١] فهذان قولان الأول نص الفصوص وما بعده قول ابن سبعين وما القولان عند العفيف التلمسانى الذى هو غاية فى الكفر إلا من الاغلاط فى حس وفى وهم وتلك طبيعة الانسان والكل شئ واحد » وأطال فى أقوالهم لعنه الله ولعنهم .

فصل

قال :«وأنى فريق ثم قال وجدته * بالذات موجوداً بكل[٢] مكان

---

(١) ولا وجود للكلى إلا فى ضمن جزئياته فيكون الواجب هو العالم وهو عين مذهب الطبيعيين على تصوير الناظم خذلهم الله . على أن هذا التصوير يخالف ما قرره ابن سبعين فى بدء العارف فليراجع . وترى شيخ الناظم ينسب الى الصدر القونوى القول بأنه الوجود المطلق لا بشرط شئ وإلى ابن سيناء القول بأنه الوجود المطلق بشرط إلا طلاق فيعده نافياً للصانع باعتبار أن ما هو بشرط الاطلاق لا وجود له إلا فى الأذهان لكن الفلاسفة ، ومنهم ابن سيناء ـ يرون أن الواجب هو الوجود المقيد بقيد التجرد ، بمعنى اللاعروض ، وهو مبدأ الكون كله ، فعلم أن شيخ الناظم لم يحك كلام ابن سيناء على الوجه ، وتغابى عن فهمه كما سبق مثل ذلك . ورأى الصدر القونوى يظهر من مفتاحه . والحاصل أن بحث وحدة الوجود بحث خطر متشعب والموفق من وقاه الله شره ، وممن توسع فى رد ذلك القاضي عضد الدين فى المواقف .

(٢) وهذا بظاهره قول بالتجسيم كقول من يقول إنه مستقر على العرش ، وإن كان مراده أنه لا يوصف بمكان دون مكان ، بل نسبته إلى الأمكنة على حد سواء لتعاليه عن الجهات ، فهو قول متكلمى أهل السنة والمعتزلة ، ولعل هذا اللفظ لفظ من حكى هذا المذهب تشنيعاً ، وأما إن كان بيانا لمذهب جهم على خلل فى اللفظ فهو داخل فى الفريق القائل بوحدة الوجود ، فلاوجه لافراده بكل حال . ونسبة كتاب (الرد على الجهمية) الذى فيه الرد على هؤلاء إلى أحمد نسبة كاذبة ، وراويه الخضر بن المثنى مجهول ، وقد

هو كالهواء بعينه لاعينه * ملأ الخلاء ولا يرى بعيان
والقوم ماصانوه عن بئر ولا * قبر ولاحش ولاأعطان
وعليهم رد الأئمة أحمد * وصحابه من كل ذى عرفان
فهم الخصوم لكل صاحب سنة * وهم الخصوم لمنزل القرآن »
هؤلاء أيضا ليس علينا منهم .

فصل

ثم قال: «وأتى فريق(١) ثم قارب وصفه * هذا ولكن جد فى الكفران
فأسر قول معطل ومكذب * فى قالب التنزيه للرحمن
اذ قال ليس بداخل فينا ولا * هو خارج عن جملة الاكوان
بل قال ليس بيائن عنها ولا * فيها ولا هو عينها ببيان
كلا ولا فوق السموات العلى * والعرش من رب ولا رحمان
والعرش ليس عليه معبود سوى * العدم الذى لاشئ فى الاعيان
بل حظه من ربه حظ الثرى * منه وحظ قواعد البنيان
لو كان فوق العرش كان كهذه الا * أجسام سبحان العظيم الشان »

أنصف الذهبى حيث قال : وفى النفس شئ من صحة هذه النسبة . ويقول الناظم فى غزوه : إن الخضر المذكور هرقه الخلال . لكن لو كان بمثل هذا القول تزول الجهالة لما وجد بين الرواة مجهول أصلا ، على أن نظرنا إلى الخلال وغلامه ليس كنظر الناظم وشيخه اليهما فضلا عمن دونهما فى السنة من مقلدة الحشوية بل فى متن (الرد على الجهمية) ما يجل مقدار أحمد عن أن يفوه بمثله جزما .

(١) وهم أهل السنة خصوم كل مجسم وزائغ ، وهم يقولون إنه لا يقال إن الله فى داخل العالم ، كما لا يقال إنه فى خارج العالم ، ولا انه مستقر على العرش لأن ذلك لم يرد فى الكتاب ولا فى السنة ، ولأن ذلك شأن الأجسام ، ومن جوز فى معبوده الدخول والخروج والاستقرار فهو عابد وثن ، ويؤيدهم البراهين والآيات الواردة فى التنزيه . وليس للمشبهة شبه شبهة فى ذلك كما سيأتى رغم أنف هذا الناظم الزائغ .

يعنى أن هذا من قولهم ثم قال:

« ولقد وجدت لفاضل منهم مقا * ما قامه فى الناس منذ زمان

فى قوله صلى الله عليه وسلم : «لا تفضلونى على يونس » قد كان يونس فى قرار البحر ومحمـد صعد السماء وجاوز السبع الطباق وكلاهما فى قربه من ربه سبحانه اذ ذاك مستويان فاحمـد آلهك أيها السنى اذ عافاك من تحريف ذى بهتان ، والله ما يرضى بهـذا خائف من ربه أمسى عـلى الايمان ، هذا هو الالحاد حقا بل هو التحريف محضاً أبرد الهذيان ، والله ما بلى الجسم قط ذى البلوى ولا أمسى بذى الخـذلان . أمثال ذا التأويل أفسد هذه . الاديان حين سرى الى الاذيان » . والفاضل الذى أشار إليه (١) . . . . وتفسيره

---

(١) وهنا بياض فى أصل المؤلف والمراد بذلك الفاضل هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم منهم ابن فرح القرطبى فى تذكرته رواية عن القاضى أبى بكر ابن العربى عن غير واحد من أصحاب إمام الحرمين عنـه ما معناه : أن ذا حاجة حضر عنده وشكا من دين ركبه فأشار إليه بالمكث لعل الله يفرج عنـه وفى أثناء ذلك حضر غنى يسأله عن الحجة فى تنزه الله سبحانه عن الجهة فقال إمام الحرمين: الأدلة على هذا كثيرة جداً، منها نهيه صلى الله عليه وسلم عن تفضيله على يونس عليه السلام .فصعب فهم وجه دلالة ذلك على الحضور، فسأله السائل عن وجه الدلالة فقال إمام الحرمين حتى تقضى حاجة هذا ـ مشيراً إلى صاحب الدين ـ فتولى قضاء دينه، ثم أجاب الامام قائلا: إن هذا الحديث يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم وهو عند سدرة المنتهى لم يكن بأقرب إلى الله من يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت فى قعر البحر ،فدل ذلك عـلى أنه تعالى منزه عن الجهات . وإلا لما صح النهى عن التفضيل فاستحسنه الحاضرون غاية الاستحسان ولفظ البخارى (لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس بن متى) والمعنى واحد وذكره القاضى عياض فى الشفاء على لفظ المؤلف، ومن أطلق الكفر على إثبات الجهة فى غاية من الكثرة بين الأئمة، ومن الدليل على تنزه الله سبحانه من الجهة حديث (أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد) أخرجه النسائى وغيره .

للحديث المذكور بما قاله صحيح ، وقد سبقه اليه إمام دار الهجرة نجم العلماء أمير المؤمنين في الحديث ، عالم المدينة أبو عبد الله مالك بن أنس حكي ذلك الفقيه الامام العلامة قاضى قضاة الاسكندرية ناصر الدين ابن المنير المالكي [١] الفقيه المفسر النحوى الاصولى الخطيب الاديب البارع فى علوم كثيرة فى كتابه (المقتفى فى شرف المصطفى) لما تكلم على الجهة وقرر نفيها ، قال : ولهذا المعنى أشار مالك رحمه الله فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تفضلونى على يونس بن متى » .فقال مالك : انما خص يونس للتنبيه على التنزيه لانه صلى الله عليه وسلم رفع إلى العرش ، ويونس عليه السلام هبط الى قابوس البحر ، ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة الى الحق جل جلاله نسبة واحدة ! ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة والسلام أقرب من يونس بن متى وأفضل مكانا ، ولما نهى عن ذلك . ثم أخذ الفقيه ناصر الدين يبدى أن الفضل بالمكانة لان العرش في الرفيق الأعلى ، فهو أفضل من السفل ، فالفضل بالمكانة لا بالمكان ، فانظر أن مالكا رضى الله عنه ـ وناهيك به ـ قد فسر الحديث بما قال هذا المتخلف النحس انه إلحاد ، فهو الملحد عليه لعنة الله [٢] ما أوقحه وما أكثر تجرأه ؟ ! أخزاه الله .

---

(١) صاحب « البحر الكبير فى نخب التفسير » الذى يقول عنه بعض المحققين إنه لم يؤلف فى التفسير مثله وهو من مفاخر المالكية فى القرن السابع بل من مفاخر علماء الاسلام طراً ، ويوجد بدار الكتب المصرية جزء من هذا التفسير وكتابه المقتفى يتوسع فى بيان الاسراء .

(٢) ترى المؤلف على ورعه البالغ يستنزل اللعنات على الناظم فى كثير من مواضع هذا الكتاب ، وهو يستحق تلك اللعنات من حيث خروجه على معتقد المسلمين بتلك المخازى ، لكن الخاتمة مجهولة ، فالاولى كف اللسان الآن عن اللعن . وأما استنزال المؤلف اللعنة عليه فكان فى حياة الناظم وهو يمضى على زيغه وإضلاله عامله الله بعدله .

فصل

ثم قال : « وأتى فريق ثم قارب وصفه * هذا وزاد عليه فى الميزان
قال اسمعوا ياقوم لاتلهيكم * هذى الأمانى هن شر أمانى
أتعبت راحلتى وفتشت ، مادلنى أحد عليه الا طوائف بالحديث تمسكت
تعزى مـذاهبها إلى القرآن ، قالوا : الذى تبغيه فوق عباده [١] فوق السماء

(١) والوارد فى القرآن الـكريم (وهو القاهر فوق عباده)ومن الخرق أن يظن من قوله تعالى عن القبط (وإنا فوقهم قاهرون) ركوب القبط عـلى أكتاف بنى إسرائيل مع إمـكان ركوب جسم على جسم، وكيف يتصور ذلك فى الله تعالى المنزه عن الجسم ولوازم الجسمية . واعتبار ذات الله فوق عباده فوقية مكانية إلحاد ليس من مدلول الآية فى شئ وكون ذاته جل جلاله فوق إحدى السموات فوقية مكانية وفوق كل مكان فوقية مكانية مثل ما سبق فى الزيغ وأين فى القرآن مايوهم ذلك ؟ على أن القول الأخير موافقة منه لمن يقول إن ذاته جل شأنه بكل مكان وكفى هذا تهاتراً . وإن كان يريد بالاستواء الاستقرار تبعاً لمقاتل بن سليمان شيخ المجسمة فقد استعجمت عليه الآية الكريمة وتباعد عن بلاغتها أيما تباعد وقد أوضحت ذلك فى (لفت اللحظ إلى مافى الاختلاف فى اللفظ) ونسبة الصعود الى الاعراض والمعـانى من الدليل فى أول نظر على أنه مجاز من القبول وماذا من نزول الملائكة من السموات وعروجهم اليها . وإليه تعالى قصـد السائلين، لكن رفعهم الأيدى إلى السماء ليس فى شئ من الدلالة على استقرار وجود ذاته فى السماء وإنما ذلك لمجرد أن السماء قبلة الدعاء ومنزل الأنوار والأمطار والخيرات والبركات (وفى السماء رزقكم) . وسمت الرأس مما يتبدل آناً فآناً كما يعرف ذلك صغار التلاميذ فى المدارس، فهل ذات معبود الناظم فى تنقل دائم لايبرح سمت رأسه ؟ ! ! ! وما حال سائر الداعين فى أقطار الارض ؟ وهذا هو الجهل المطبق . لم يكن إسراء النبى صلى الله عليه وسلم ليغشى مكان الله ـ سـبحانه عن المـكان ـ بل أسرى به ربه ليريه من آياته الـكبرى كما نص عـلى ذلك القرآن ومقام عيسى عليه السـلام يظهر من

وفوق كل مكان وهو الذى حقا على العرش استوى وإليه يصعد كل قول طيب وإليه يرفع سعى ذى الشكران ، والروح والأملاك منه تنزلت وإليه تعرج واليه أيدى السائلين توجهت ، وإليه قد عرج الرسول ، وإليه قد رفع المسيح حقيقة وإليه يصعد روح كل مصدق ، لكن أولوا التعطيل منهم أصبحوا مرضى بداء الجهل والخذلان .

فسألت عنهم رفقتى أصحاب جهم حزب (١) جنكسخان . من هؤلاء ؟ : قالوا مشبهة مجسمة (٢) فلا تسمع قولهم والعنهم واحكم بسفك دمائهم فهم أضل من

حديث المعراج ، فويح الناظم ما أجهله بالسنة نعم يوجد بين النصارى من يزعم أن الابن رفع الى السماء وجلس فى جنب أبيه تعالى الله عما يقول المجسمة وإخوانهم النصارى واليهود علواً كبيراً . وصعود الارواح الى السماء من الذى يراه صالحاً لاتخاذه دليلا على التجسيم ؟ .

(١) انظر هذا الحشوى كيف يجعل أهل السنة المنزهين لله من الجسم والجسمانيات من حزب جنكز خان الذى اكتسح معالم الاسلام من بلاد الصين إلى حدود الشام غربا والى نهر ولجا وماوراها من بلاد البلغار القديم شمالا ذلك الكافر العريق فى الكفر ، المسود لتاريخ البشرية بعظائمه الهمجية . ولم تزل أعين المسلمين تفيض دما على تلك الكوارث التى قضت على تلك العلوم الزاهرة وعلى هؤلاء العلماء النبهاء حراس الشريعة الغراء ، حتى أصبح مثل الناظم يجد مجالا للكلام ، بمثل هذه المخازى كانه وشيخه كانا يحاولان القضاء على البقية الباقية من الاسلام ، ومن علوم الاسلام ، إتماماً لما لم يتم بأيدى المغول ، لكنهما قضيا على أنفسهما ومداركهما قبل أن يقضيا على السنة باسم السنة وعلى عقول الناس باسم النظر عاملهما الله سبحانه بعدله .

(٢) يسعى الناظم بكل قواه فى تهوين أمر التجسيم أسوة بشيخه ، لكن القائلين بقدم الجسم طائفتان ليس بين طوائف البشر أسخف أحلاماً من كلتا الطائفتين . إحداهما الطبيعيون وقد تسمى الملاحدة والزنادقة والدهرية والمعطلة وهم القائلون بنفى الصانع ، وهم كما يقول المطهر المقدسى أقل الناس عدداً وأفيلهم

اليهود والنصارى، واحذر تجادلهم بقال الله وقال الرسول وهم أولى به، فإذا ابتليت بهم فغالطهم على التأويل للأخبار والقرآن، وعلى التكذيب للآحاد. هذان أصلان أوصى بهما أشياخنا أشياخهم، وإذا اجتمعت بهم فى مجلس فابدأ بإيراد وشغل زمان لا يملكوه عليك بالآثار وتفسير القرآن، فإن وافقت صرت مثلهم، وإن عارضت صرت زنديقا كافرا، وإن سكت يقال جاهل فابدأ ولو

رأيا، وأشرهم حالا وأوضعهم منزلة، يقولون بقدم اعيان العالم والاجسام وتولد النبات والحيوان من الطبائع باختلاف الازمنة والثانية المجسمة وقد تسمى الحشوية والمشبهة على اختلاف بينهم فيما يختلقونه فى الله من السخافات والحماقات تعالى الله عما يصفون، وهم مشاركون لهؤلاء فى القول بجسم قديم قدما ذاتيا إلا أنهم يؤلهونه ويتعبدونه بخلاف هؤلاء سواء أطلقوا لفظ الجسم عليه أم لم يطلقوا بعد أن قالوا بمعنى الجسم الشاغل للفراغ، الذاهب فى الجهات، حيث خاضوا فى ذات الله سبحانه بعقولهم الضئيلة التى تعجز عن اكتناه ذوات المخلوقات وإنما علمهم بالمخلوقات عبارة عما تخيلوه بشأنها من إحساسهم بأعراضها. فكيف يجترئون على تخيل الحوم حول حمى الخالق جل وعلا قال ابن تيمية فى التأسيس فى رد أساس التقديس المحفوظ فى ظاهرية دمشق فى ضمن المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدرارى — وهذا الكتاب مخبأة ووكر لكتبهم فى التجسيم وقد بينت ذلك فيما علقته على المصعد الأحمد (ص ٣١): «فمن المعلوم أن الكتاب والسنة والاجماع لم ينطق بأن الأجسام كلها محدثة وأن الله ليس بجسم ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين فليس فى تركى لهذا القول خروج عن الفطرة ولا عن الشريعة اهـ». وقال فى موضع آخر منه: «قلتم ليس هو بجسم، ولا جوهر ولا متحيز ولا فى جهة ولا يشار اليه بحس ولا يتميز منه شىء من شىء وعبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم ولا مركب وأنه لا حد له ولا غاية، تريدون بذلك أنه يمتنع عليه أن يكون له حد وقدر أو يكون له قدر لا يتناهى... فكيف ساغ لكم هذا النفى بلا كتاب ولا سنة اهـ». وفى ذلك عبر للمعتبر. وهل يتصور لمارق أن يكون أصرح من هذا بين قوم مسلمين؟.

بالقشر والهذيان هذا الذي (١) ـ والله ـ وصانا به أشياخنا فرجعت عن سفرى.
وقلت لصاحبي : عطل وكابك ما ثم شيء غير ذى الأكوان ، لو كان للأكوان
رب خالق كان المجسم صاحب البرهان أو كان رب بائن عن ذا الوري، كان المجسم
صاحب الايمان. فدع التكاليف واخلع عذارك ما ثم فوق العرش من رب ولم
يتكلم الرحمن بالقرآن لو كان فوق العرش رب لزم التحيز ولو كان القرآن عين كلامه
حرفا وصوتا [٢] كان ذا جثمان فاذا انتفيا ماالذى يبقى من ايمان ؟ فدع الحلال مع
الحرام لأهله ، فهما السياج فاخرقه ثم ادخل واقطع علائقك التى قد قيدت

(١) ثم انظر كيف يحلف كذبا على هذه المحاورة الخيالية فهل يتصور أن
يصدر منه مثل ذلك لو كان يخاف مقام ربه فى ذلك اليوم الرهيب وسيأتى
ما يقضى على مزاعمه فى استقرار معبوده على العرش ـ جل إله المسلمين عن
مثل هذه الوثنية ـ كما سيأتى القضاء على مزاعمه فى الحرف والصوت قضاء لا
نهوض لها بعده إن شاء الله تعالى .
(٢) واعتقاد الصوت فى كلام الله خطر جداً وكان الامام عز الدين بن عبد السلام
ابتلى بالمبتدعة الصوتية فى عهد الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل الايوبى .
وكان الملك الاشرف هذا يميل اليهم ويعتقد فيهم انهم على صواب حيث كان
يخالطهم منذ صغره حتى منع العز المذكور من الافتاء بسبب هذه المسألة كما
هو مشروح ، مفصل فى مطلب الاديب لابى بكر بن على الحسينى السيوطى ، وفى
طبقات التاج ابن السبكى وطبقات التقى التميمى ، وفى خلاصة الكلام فى مسألة
الكلام للشيخ محمد عبد اللطيف بن العز المذكور ـ وقد نقلت الرسالة الاخيرة
من خط المؤلف ـ واستمر منعه من الافتاء إلى أن ركب الامام الكبير جمال
الدين الحصيرى ـ شارح الجامع الكبير ، وشيخ الفقهاء فى عصره ـ وتوجه الى
الملك الاشرف وأفهمه أن الحق مع العز وقال له ان ما فى فتياه هو اعتقاد المسلمين
وكل ما فيها صحيح ومن خالف ذلك فهو حمار . وكان الجمال الحصيرى عظيم
المنزلة عند الملك لجلالة قدره عند جماهير أهل العلم ، فأطلق الافتاء للعز ومنع
الصوتية من مزاعم الحرف والصوت فى كلام الله سبحانه.

وأرى من النصح للمسلمين أن أنقل هنا أجوبة الامام العز بن عبدالسلام والامام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن الحاجب المالكي، والامام علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي مؤلف «جمال القراء وكمال الاقراء» حينما استفتوا في هذه المسألة. ومكانتهم السامية في العلم معروفة.

ونص السؤال والاجوبة كما هو مدون في «نجم المهتدي ورجم المعتدي» للفخر بن المعلم القرشي . كالآتي : صورة السؤال :

ما يقول السادة الفقهاء رضي الله عنهم في كلام الله القديم القائم بذاته ؟ هل يجوز أن يقال إنه عين صوت القارىء وحروفه المقطعة ، وعين الاشكال التي يصورها الكاتب في المصحف؟ وهل يجوز أن يقال إن كلام الله القديم القائم بذاته حروف وأصوات على المعنى الظاهر فيها وإنه عين ما جعله الله معجزة لرسوله؟ وما الذي يجب على من اعتقد جميع ذلك وأذاعه وغربه ضعفاء المسلمين وهل يحل للعلماء المعتبرين إذا علموا أن ذلك قد شاع أن يسكتوا عن بيان الحق في ذلك وإظهاره والرد على من أظهر ذلك واعتقده ؟ أفتونا مأجورين .

صورة جواب الامام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله .

القرآن كلام الله صفة من صفاته قديم بقدمه ، ليس بحروف ولا أصوات ومن زعم أن الوصف القديم هو عين أصوات القارئين وكتابة الكاتبين فقد ألحد في الدين وخالف إجماع المسلمين ، بل اجماع العقلاء من غير أهل الدين ولا يحل للعلماء كتمان الحق ولا ترك البدع سارية في المسلمين، ويجب على ولاة الامر إعانة العلماء المنزهين الموحدين، وقمع المبتدعة المشبهين المجسمين، ومن زعم أن المعجزة قديمة فقد جهل حقيقتها، ولا يحل لولاة الامر تمكين أمثال هؤلاء من إفساد عقائد المسلمين ، ويجب عليهم أن يلزموهم بتصحيح عقائدهم بمباحثة العلماء المعتبرين، فان لم يفعلوا ألجئوا إلى ذلك بالحبس والضرب والتعزير والله أعلم

كتبه عبد العزيز بن عبد السلام

وصورة جواب الامام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن الحاجب المالكي

من زعم أن اصوات القارىء وحروفه المتقطعة والأشكال التي يصورها الكاتب في المصحف هي نفس كلام الله تعالى القديم فقد ارتكب بدعة عظيمة

وخالف الضرورة وسقطت مكالمته فى المناظرة فيه ، ولا يستقيم أن يقال إن كلام الله تعالى القـديم القائم بذاته هو الذى جعله الله معجزة لرسوله ، فان ذلك يعلم بأدنى نظر ، وإذا شاع ذلك او سئل عنه العلماء وجب عليهم بيان الحق فى ذلك واظهاره ويجب على من له الامر وفقه الله أخذ من يعتقد ذلك ويغرى به ضعفاء المسلمين وزجره وتأديبه وحبسه عن مخالطـة من يخاف منه اضلاله إلى أن يظهر توبته عن اعتقاد مثل هـذه الخرافات التى يأباها العقول السليمة والله أعلم ؟

كتب عثمان بن ابى بكر الحاجب

وصورة جواب الامام علم الدين ابى الحسن على السخاوى

كلام الله عز وجل قديم صفة من صفاته ليس بمخلوق ، وأصوات القراء وحروف المصاحف أمر خارج عن ذلك ولهذا يقال صوت قبيح وقراءة غير حسنة وخط قبيح غير جيد، ولو كان ذلك كلام الله لم يجز ذمه على ماذكر لأن أصوات القراء به تختلف باختـلاف مخارجها والله تعالى منزه عن ذلك ، والقرآن عندنا مكتوب فى المصاحف متلو فى المحاريب محفوظ فى الصدور وغير حال فى شئ من ذلك والمصحف عندنا معظم محترم لايجوز للمحدث مسه ، ومن استخف به او ازدراه فهو كافر مباح الدم ، والصفة القديمة القائمة بذاته سبحانه وتعالى ليست المعجزة ، لأن المعجزة ما تحدى به الرسول صلى الله عليه وسلم وطالب بالاتيان بمثله ومعلوم أنه لم يتحدهم بصفة البارى القديمة ، ولا طالبهم بالاتيان بمثلها ، ومن اعتقد ذلك وصرح به أودعا إليه فهو ضال مبتدع ، بل خارج عما عليه العقلاء إلى تخليط المجانين . والواجب على علماء المسلمين إذا ظهرت هـذه البدعة إخمادها وتبيين الحق والله أعلم ؟

على السخاوى

انظر يارعاك الله كيف كان العلماء يتكاتفون فى قمع البدع وإحقاق الحق على اختلاف مذاهبهم فى تلك العصور الزاهرة بخلاف غالب أهل العلم فى زماننا هذا فان لهم منازع وراء اختلاف المذاهب لا يهمهم ذيوع الباطل وقد خانوا دينهم الذى ائتمنهم الله عليه، وبه يعيشون ويوم الخائنين يوم رهيب . وكانت

تلك الفتنة بالشام فى النصف الاول من القرن السابع الهجرى، وقد وقع مثلها فى النصف الأخير من القرن السادس بمصر، وفتنة القاهرة معروفة بفتنة ابن مرزوق وابن الكيزانى وكلاهما من حشوية الحنابلة، وظن التاج ابن السبكى ابن الكيزانى من الشافعية فترجم له فى طبقاته تبعاً لابن خلكان ، فلا بأس فى الاشارة هنا إلى فتاوى علماء ذلك العصر فى حقهما

وصورة الاستفتاء فى شأنهما

ماقولكم فى الحشوية الذين على مذهب ابن مرزوق وابن الكيزانى الذين يعتقدان أن الله سبحانه يتكلم بحرف وصوت تعالى الله عن ذلك وأن أفعال العباد قديمة هل تنفذ أحكامهم على أهل التوحيد وعامة المسلمين وهل تقبل شهاداتهم على المسلمين أم لا ؟ .

جواب الامام شهاب الدين أبى الفتح محمد بن محمود الطوسى الشافعى (صاحب الوقائع مع ابن نجية الحنبلى) تقبل شهادة عدو لهم على أصحابهم ولا تسمع شهاداتهم على اهل الحق من الموحدين ولا ينفذ حكم قاضيهم على الموحدين فانهم أعداء الحق والله أعلم ؟ كتبه محمد الطوسى

وجواب الامام يوسف الارموى

ما نص عليهم أعلاه اقترفوا حوبة عظيمة يجب عليهم القفول عما اعتقدوه وهم كفار عند أكثر المتكلمين وكيف يسوغ قبول أقوالهم ؟ . ويجب على من اليه الامر إحضارهم واستتابتهم عما هم عليه فان تابوا وإلا قتلوا، وحكمهم فى الاستتابة حكم المرتد فى امهاله ثلاثة أيام ولا يقتل فى الحال ؟

كتبه يوسف الارموى

وجواب الخطيب أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الحموى

من اعتقد ان أفعال العباد قديمة فقد قال قولا يلزم منه القول بقدم العالم. ومن قال بقدم العالم فهو كافر لا تصح ولايته ولا تقبل شهادته والله أعلم ؟

كتبه محمد بن إبراهيم الحموى

واستفتاء آخر صورته

ما قول الفقهاء الأئمة قادة علماء هذه الامة أدام الله ارشادهم ووفق إصدارهم وإيرادهم فى الحشوية الذين على مذهب ابن مرزوق وابن الكيزانى

الذين يعتقدان أن الله سبحانه متكلم بحرف وصوت، وأن أفعال العباد قديمة هل تقبل شهاداتهم على أهل الحق الموحدين الاشعرية ،وهل تنفذ أحكام قضاتهم على الاشعرية أم لا ؟

جواب الامام أبي المنصور ظافر بن الحسين الازدى المالكى

لاتقبل شهادة من يقول ان الله تعالى يتكلم بحرف وصوت لانهم مرتكبون كبيرة هى أعظم من سائر المعاصى كالزنا وشرب الخمر لانها كبيرة تتعلق بأصل من أصول الدين ؟ وكتب ظافر بن حسين الازدى

وجواب شارح المهذب أبي إسحق إبراهيم العراقى

جوابى كذلك ؟ كتبه إبراهيم العراقى

وجواب الخطيب محمد بن إبراهيم الحموى

من قال إن الله متكلم بحرف وصوت فقد قال قولا يلزم منه أن الله جسم ومن قال انه جسم فقد قال بحدوثه ومن قال بحدوثه فقد كفر والكافر لاتصح ولايته ولاتقبل شهادته والله أعلم ؟ كتبه محمد بن إبراهيم الحموى

وجواب الشيخ جمال الدين بن رشيق المالكى

لاتقبل شهادتهم ولايجوز أن يولوا الحكم ولا غيره من المناصب الدينية لانهم بين جاهل يصر على جهله بما يتعين عليه اعتقاده من صفات الله سبحانه وبين عالم معاند للحق، ومن هذه صفته يتعين تأديبه وزجره عما صار إليه بابلغ الادب، ومن جملته رد الشهادة وبالله التوفيق ؟

كتب حسين بن عتيق بن رشيق

وجواب الشيخ محى الدين محمد بن ابى بكر الفارسى

من قال ان الله سبحانه متكلم بالصوت والحرف فقد أثبت الجسمية وصار بقوله مجسما والمجسم كافر ومن قال ان أفعال العباد قديمة فقد كذب الله تعالى فى قوله (والله خلقكم وما تعملون) ومكذب الله بصفة الاصرار كافر ولا تثبت عدالتهم ولاتقبل شهادتهم ولاتجوز الصلاة خلفهم ، ويجب على الامام وعلى نوابه فى الاقاليم استتابتهم فان لم يرجعوا عما هم فيه من الكفر يعاقبهم على كفرهم أو يقبل الجزية منهم أذلاء لا كاليهود والنصارى بل كفرهم أشنع وأبشع

من مقالة النصارى واليهود أما اليهود فشبهوه بالحادث صفة، واما النصارى فقالوا انه جوهر شريف والمجسمة يثبتون الجسم لله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً؟ وكتب محمد الفارسى

وفى تلك الفتاوى ماينزجر به من يخاف مقام ربه من تلك البدع الشنيعة وبها يعلم أيضاً أن أبا عمرو عثمان بن مرزوق الحنبلى وأبا عبد الله الكيزانى الحنبلى مشتركان فى اثارة البدع المذكورة بمصر ولا مانع من أن يكون بينهما بعض اختلاف فى فرع من فروع تلك البدع ومن حاول تبرئة أحدهما منها فلا حجة عنده أصلا وقد تكلف ابن رجب فى طبقاته تبرئة ابن مرزوق عن ذلك بدون جدوى بعد أن أقر بذلك الناصح الحنبلى وابن القطيعى الحنبلى، ولو كان ابن رجب رأى تلك النصوص من فتاوى علماء عصر ابن مرزوق وابن الكيزانى المنقولة عن خطوطهم المحفوظة فى خزانة الملك الظاهر بيبرس، لما سعى فى تبرئة ساحته من تلك البدعة الشنيعة. ونسبة القول بتلك البدعة إلى ابن الكيزانى فى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى لاتبرئ ابن مرزوق منها على أن ابن رجب قال بعد ذلك: ثم وجدت لابى عمرو بن مرزوق مصنفا فى أصول الدين، ورأيته يقول فيه إن الايمان غير مخلوق، أقواله وأفعاله وإن حركات العباد مخلوقة، لكن القديم يظهر فيها كظهور الكلام فى ألفاظ العباد اهوهذا طراز آخر فى التخريف يدل على أنه قائل بالحلول على مذهب السالمية، ومثله لا يمكن ترقيع كلامه. ووقعت بين الفتنتين فتنة عبد الغنى المقدسى الحنبلى فى الصوت ونحوه كما فى ذيل الروضتين لابى شامة فليراجع هناك، وما حدث فى القرن الخامس ببغداد فى عهد أبى نصر بن القشيرى من فتنة الحشوية فشهور جداً. والمحضر الذى رفعه أبو إسحق الشيرازى والحسين بن محمد الطبرى ومحمد بن أحمد الشاشى والحسين بن أحمد البغدادى وعزيزى بن عبد الملك شيذلة، وغيرهم من أئمة ذلك العصر عن تلك الفتنة بخطوطهم إلى نظام الملك، مسجل فى تبيين كذب المفترى لابن عساكر (ص ٣١٠) فليراجع هناك ليعلم مبلغ سعى الحشوية فى إثارة الفتن فى كل قرن وذلك مما يعرق به جبين الدهر خجلا من تخريفاتهم التى يتبرأ منها العقلاء كلهم. وأما ماأحدثوه من الفتن فى أوائل

هذا الورى لتصيرحرا (١) لست تحت أوامر ولا نهى ولا فرقان لـكن جعلت حجاب نفسك إذ ترى ، فوق السماء من ديان ، لو قلت مافوق السماء مدبر والعرش تخليه من الرحمن ، والله ليس متكلما بالقرآن لحللت طلسمه وفزت بكنزه وعلمت أن الناس فى هذيان ، لـكن زعمت أن ربك بائن من خلقـه وأنه فوق العرش والكرسى وفوقه القدمان وأنه يسمع خلقه ويراهم من فوق

القرن الرابع من الدعوة إلى القول بإجلاس محمد صلى الله عليه وسلم على العرش فى جنبه تعالى فمدون فى كتب التاريخ . والمرسوم الذى أصدره الراضى العباسى ضد البربهارى الداعى إلى تلك البدعة مسجل فى تاريخ ابن الاثير بنصه وفصه فليراجع القارئ الكريم هذا وذاك ليعلم نصيب الحشوية من العقل والدين وكلا الكتابين بمتناول الايدى فنستغنى عن نقل نصوص عنهما وفى كل ماتقدم عبر ويالها من عبر والله سبحانه هو الهادى إلى سواء السبيل .

(١) انظر هذا الخبث المضاعف يصور الناظم أن القول بعـدم استقرار الاله جل شأنه على العرش استقرار تمكن وبعدم كون كلام الله القائم بذاته حرفا وصوتا حادثين فى ذاته تعـالى يكون انحـلالا عن الدين وانسلاخا من التكاليف ولست أشك أن من يجترئ على هذا التصوير ويدور فى خلده مثل هذا التفكير أمام جماهير أهـل الحق المعتقدين للتنزيه من فجر الاسـلام إلى اليوم فى مشارق الأرض ومغاربها على طول القرون لا يكون إلا منطويا على الانسلاخ الذى يرمى به أهل الحق . قاتله الله ما أجرأه على الله وما أوقحه !!! فمن الذى نفى أن للعالم مدبراً وأن القرآن كلام الله أنزل به الروح الامين على قلب رسوله صـلى الله عليه وسلم ؟ ومن الذى يجهل أن الملء والتخلية من شأن الاجسام ، نفيا وإثباتا ولم يرد الملء فى سنة صحيحـة حتى يجوز اطلاقه عليه سبحانه ، على أن تنزهه سبحانه عن الجسمية ولوازم الجسمية مما أجمع عليه أهـل الحق ، ولم يشك فيه سوى من عنده نزعة الوثنية ، ولفظ بائن من خلقه لم يرد فى كتاب ولا سـنة ، وإنما أطلق من أطلق من السلف بمعنى نفى الممازجة رداً على جهم لا بمعنى الابتعاد بالمسافة تعـالى الله عن ذلك ، كما صرح بذلك البيهقى فى الاسماء

وأن كلامه منه بدا وإليه (١) يعود ووصفه بالسمع والبصر والارادة والقدرة والصفات، وأما لفظ أنه فوق العرش فلم يرد مرفوعا إلا فى بعض طرق حديث الاوعال من رواية ابن منده فى التوحيد ـ وعبدالله بن عميرة فى سنده مجهول الحال، ولم يدرك الاحنف فضلا عن العباس . وسماك انفرد به عن عبد الله هذا، فى جميع الطرق، ويحيى بن العلاء فى رواية عبد الرزاق عن سماك يقول عنه أحمد: كذاب يضع الحديث . وتصحيح بعض الحشوية لبعض طرق حديث الاوعال لايزيل مابه سنداً ومتناً، بل خبر الاوعال ملفق من الاسرائيليات كما نص عليه أبو بكر ابن العربى فى شرح سنن الترمذى وأنت تعرف مبلغ براعته فى الحديث ونقده وتحسين الترمذى بالنظر إلى تعدد طرقه بعد سماك، وهذا مصطلح له وقوله : غريب إشارة إلى انفراد سماك عن ذلك المجهول ولا شأن للمجاهيل والوحدان والمنقطعات فى اثبات الصفات أصلا ولم يثبت عن القدمين حديث مرفوع، وقول ابن عباس لافادة أن الكرسى صغير بالنسبة الى العرش ككرسى قد وضع لقدمى القاعد على السرير كما قال ابن الجوزى . ورواية من رواه بلفظ (قدميه) تحريف للرواية وتقيد الرؤية بلفظ (من فوق) من كيس المجسم بدون كتاب ولا سنة . ووصفه سبحانه بالصفات الواردة فى الكتاب والسنة لم ينفه أحد من أهل الحق، كما لم ينف أحد منهم كلام الله لموسى بلا كيف . والاقعاد معه على العرش يروى عن مجاهد بطرق ضعيفة وتفسير المقام المحمود بالشفاعة متواتر تواتراً معنويا وأنى ماينسب إلى مجاهد من ذاك؟ وقد صرح غير واحد من الائمة ببطلان مايروى عن مجاهد، ويرى بعض النصارى رفع عيسى عليه السلام وإقعاده فى جنب أبيه وهذا هو مصدر هذا التخريف

---

(١) قال ابن المعلم القرشى : وهذا الحديث أو زدوه باسناد فيه محمد بن يحيى بن رزين قال أبو حاتم البستى كان كذابا دجالا يضع الاحاديث اهـ . وسبق سيأتى الكلام على الصوت فانتظره ودعوى الاجماع فى أن النداء صوت كذب كما سيأتى .

وكراهة ومحبة وحنان وانه يعلم كل ما فى الكون وانه كلم موسى والنداء صوت باجماع النحاة ، وان محمدا أسرى به (ليلا إليه) فهو منه دانى وأنه يدنيه يوم القيامة حتى يرى قاعداً معه على العرش وان لعرشه أطيطاً [1] وأن الله أبدى بعضه للطور ، وأن له وجها وله عين ، بل زعمت يدان ، وأن يديه السبع العلى والارض (يوم الحشر) قابضتان [2] وأن يمينه ملأى من الخير ،

(١) ويغنينا عن ابداء وجوه التخليط فى حديث الاطيط ماألفه الحافظ ابن عساكر فى ذلك ، وإبداء بعضه للطور بمعنى ابداء بعض آيه على أنه مما أدخل على حماد بن سلمة تعالى الله سبحانه عن الابعاض والاجزاء رغم أنف المجسمة . ويأتى الكلام على قبض السموات .

(٢) قال البخارى فى تفسير قوله تعالى (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) إن أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يقبض الله الأرض ويطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » اهـ . وهذا هو أصل الحديث وهو مروى بأسانيد كثيرة جداً وهو الموافق لكتاب الله سبحانه واليمين : القدرة كما هو مبسوط فى أساس التقديس ، وحاشا أن يكون قبض الله من قبيل احتواء الأنامل على شىء ، وما زاد على ذلك فى الروايات من أنه يأخذ السموات بيده اليمنى ويأخذ الأرض بشماله ـ وحاشا أن يكون له شمال وكلتا يديه يمين ـ فمن تصرفات الرواة أثناء النقل بالمعنى كما لا يخفى على أهل هذه الصناعة المستحضرين لأحاديث الباب ومبلغ اضطرابها سنداً ومتناً ، وأما حديث الحبر واليهود فى وضع أجزاء الكون على أصابع فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فيه لا يدل على تصديق ذلك وإن ظنه بعض الرواة تصديقا فى بعض الطرق ـ بل يدل على الانكار والاستهجان . وقد برهن ابن الجوزى فى دفع الشبه وابن حجر فى الفتح على أن ذلك إنكار لا تصديق رغم توهم ابن خزيمة كونه تصديقا لزيغ مشهور فى معتقده كما سيأتى بيانه ، بل نزول قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) أى تحت تصرفه مالك يوم الدين لا يجرى لأحد سواه حكم فى ذلك اليوم (والسموات مطويات

وان العدل فى الأخرى وان الخلق طراً عنده يهتز فوق أصابع[1] الرحمن وأن

بيمينه) أى بقدرته لا حساب على سكانها بخلاف أهل الأرض فانهم محاسبون.
(سبحانه وتعالى عما يشركون) عقب حديث حبر اليهود دليل واضح على
الانكار وعلى أن إثباتهم الأصابع الحسية بالوجه السابق إشراك . قال الله تعالى
(يمسك السموات والأرض أن تزولا) فمن الذى يظن أن ذلك بالمماسة ؟ وكذلك
القبض وإن هذى الشيخ محمد المنبجى الحنبلى تلميذ الناظم فى جزء (إثبات المماسة)
بما شاء من صنوف الهذيان وكل ذلك من بلايا ابن تيمية حيث لفق الروايات
فى هذا الصدد وقال ما شاء أن يقوله فى الأجوبة المصرية وذكر ما ورد فى
بعض طرق الحديث وهو (وقبض كفيه فجعل يقبضهما ويبسطهما) ثم قال :
« وهنا شبه القبض والبسط بقبضه وبسطه » اهـ . وهذا تشبيه صريح من
ابن تيمية (أفمن يخلق كمن لا يخلق) ومغالطة مكشوفة، واللفظ المذكور لم يقع
إلا فى بعض الروايات ، والاضطراب فى الحديث سنداً ومتناً زيادة ونقصا
ظاهر جداً لمن اطلع على طرقه بحيث لا يصح الاستدلال به ولا سيما فى مثل
هذا المطلب وعلى فرض ثبوت أن النبى صلى الله عليه وسلم قبض كفيه وبسطهما
أثناء الخطبة لم ينسب اليه عليه السلام فى حديث أنه قال : هكذا يقبض ويبسط
حتى يصح كلام ابن تيمية بل البسط غير موجود فيما يروى عما يفعله سبحانه
عند قيام الساعة حتى يظن به عليه السلام إذا قبض كفيه وبسطهما أنه أراد
تشبيههما بقبض الله وبسطه، على أن الخطيب كثيراً ما تصدر منه حركات وإشارات
أثناء الخطبة ، وحملها على معان لم ينطق هو بها تقويل للخطيب مالم يقله ومن
الظاهر جداً أن الأرض تحتوى على الأنجاس والأرجاس فكيف يتصور أن
يكون قبض الله كقبض أحد من خلقه حقيقة بحيث يستلزم ذلك القبض على
الأخباث والأرواث ، تعالى الله عن ذلك . وهذا مما لا يتصوره من يخاف
مقام ربه ولو كان جاهلا باستحالة الجسمية على الله سبحانه. ولا نتعرض هنا
لرواية كاتب الليث فى الخبزة ولعل فيما ذكرنا كفاية .

(١) لم يرد فى حديث وضع السموات على أصبع إضافة الأصابع إلى
الرحمن أصلا وهذا كذب وتصرف فى الحديث بالتحريف والتغيير قال القاضى

قلب العبد بين اثنتين من أصابعه وأنه يضحك عند تقابل الصفين من عبده يأتى فيبدى نحره لعدوه ويضحك عندما يثب الفتى من فرشه لقراءة القرآن ومن قنوط

أبو بكر بن العربى فى القواصم والعواصم : وأما ذكر الأصابع فصحيح ولكن لم ترد مضافة اليه تعالى وإنما ورد أنه يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع ثم يهزهن الحديث . . . ومن أين لهم أن أصابع الوضع المطلقة هى أصابع التقليب المضافة إليه؟اهـ على أن قول النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن قال الحبر ذلك (وما قدروا الله حق قدره) يدل على إنكار ما قاله الحبر كما قال ابن حجر فى شرح البخارى رداً على ابن خزيمة ـ وتوحيد ابن خزيمة من أهيف الكتب راجع تفسير (ليس كمثله شىء) من تفسير الفخر الرازى ـ وما أخرجه الضياء الحنبلى من حديث الخنصر فباطل بالمرة وفيه من العلل ما بين فى موضعه وليس فى حديث الترمذى رفع حديث طرف الابهام الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انفراد حماد بن سلمة به ، بل نسبة ذلك الى سليمان بن حرب أو حماد قال ابن العربى وتمثيل سليمان بن حرب وأمثاله ما تجلى للجبل بالأنملة لا ينظر اليه لأنه كلام غير معصوم ولا واجب الاتباع فالأمر هين والمخرج عنه سهل بين اهـ . فيا سبحان الله ما أجهل هذا الناظم بلسان قومه كيف يفهم من اليد معنى الجارحة ومن الضحك إبداء النواجذ راجع القواصم لابن العربى ودفع الشبه لابن الجوزى والأسماء والصفات للبيهقى وقد روى القاضى أبو بكر بن العربى فى العارضة والقاضى عياض . فى الشفاء عن الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه أنه كان يرى قطع يد من أشار بيده إلى عضو من أعضائه عند ذكر شىء ورد فى الله سبحانه حيث إن الاشارة إلى عضو عند ذاك تشبيه تعالى الله عن ذلك وأما ما وقع فى صحيح مسلم من حديث القبض باليمين والشمال فلم يخرجه البخارى لاضطراب عبد العزيز بن سلمة فى سنده لأنه يرويه مرة عن أبيه عن ابن مقسم عن ابن عمر كما وقع فى رواية سعيد بن منصور وأخرى عن أبيه عن عبيد بن عمر عن ابن عمر كما فى رواية القعنبى وتارة أخرى عن أبيه عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما فى رواية يحيى بن بكير فدلت تلك الأسانيد المختلفة على أن عبد العزيز لم يضبط السند

عباده إذا أجدبوا وأنه يرضى ويغضب وأنه يسمع صوته(١) ويشرق نوره يوم الفصل ويكشف ساقه (٢) ويبسط كفه .

كما يجب وحال المتن توازى حال السند ومسلم حيث ترجح عنده روايته بطريق ابن مقسم بالنظر إلى متابعة يعقوب بن عبد الرحمن القارى لعبد العزيز فى روايته عن سلمة عن ابن مقسم خرجه فى صحيحه لكن ما يحتاج إلى متابع يكون منحط الرتبة فى الصحة بل من أحاط بأسانيد هذا الخبر فى توحيد ابن خزيمة وحلية أبى نعيم يعده مضطرب السند والمتن معاً . على أن ما يقع فى المنبر أمام الجمهور تتوفر فيه الدواعى إلى روايته فكيف ينفرد برواية مثله راو واحد وإن صح الاحتجاج بمثل ذلك فانما يصح عند عدم المعارض فى الأعمال فقط دون الاعتقاد على أن تلاوته عليه السلام قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) عند ذكر حديث الحبر فى الصحيح تعارضه إذا لم يحمل خبر مسلم على المجاز فيوجد بين أهل العلم من لا يستدل بمثله فى الأعمال فضلا عن الاعتقاد ومع هذا كله لا يحتج بما دون المشهور من الأحاديث فى ذات الله وصفاته عند جمهور أهل الحق فكيف يحتج بذلك الحديث فى باب الاعتقاد وقد بينا بعض ما فيه

(١) وحديث جابر المعلق فى صحيح البخارى مع ضعفه فى سياق ما بعده من حديث أبى سعيد مايدل على أن المنادى غير الله حيث يقول (... فينادى بصوت إن الله يأمرك ...) فيكون الاسناد مجازيا على أن الناظم ساق فى حادى الأرواح بطريق الدار قطنى حديثا فيه (يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت . . .) وهذا نص من النبى صلى الله عليه وسلم على ان الاسناد فى الحديث السابق مجازى وهكذا يخرب الناظم بيته بيده وبأيدى المسلمين وللحافظ أبى الحسن المقدسى جزء فى تبيين وجوه الضعف فى أحاديث الصوت فليراجع ثمة .

(٢) وفى القرآن (يكشف عن ساق) بدون ضمير وذلك استعارة عن الشدة كما ذكره الفراء وابن قتيبة وابن الجوزى ، وذكر الاسماعيلى فى مستخرجه أن رواية حفص بن ميسرة (يكشف ربنا عن ساق) بدون ضمير وروايته بالضمير منكرة . راجع ما كتبناه على دفع الشبه لابن الجوزى ، ومن عادة

ويمينه تطوى السماء وينزل(١) فى الدجى في الثلث الأخير والثلث الثانى وأن له نزولا (٢) ثانياً يوم القيامة للقضاء وانه يبدو جهرة لعباده حتى يرونه ويسمعون كلامه وأن له قدما (٣) وأنه واضعها على النيران وأن الناس كل منهم

الحشوية حمل المجاز المشهور على الحقيقة باختلاق رواية حول ذلك والقائها على ألسنة الرواة . وتصرفات المجسمة هنا من هذا القبيل وإنى أنقل للقارىء بلية من بلايا المجسمة تفهمه الى أى حد يصل جنون هؤلاء وقد رأينا فى بعض كتب روافضهم أن فاطمة رضى الله عنها تحمل قميص حسين عليه السلام فى يوم القيامة وتقول لله سبحانه وهو جالس على عرشه هذا ما فعلته الأمة بابنى سبط الرسول صلى الله عليه وسلم، ويكشف الله سبحانه إذ ذاك عن ساقه فاذا هى مربوطة برباط ويقول ماذا أنا فاعل ؟ إزاء هذا وهم قد فعلوا بى ما ترونه ويعللون هذا بما فعله نمروذ من توجيهه الرمى الى السماء ليقتل إله إبراهيم عليه السلام فاهمين أن سهمه أصاب ساق الله فبقيت مربوطة من أثر الجرح فى ذلك اليوم . فهل رأى القارىء كفراً أشنع من هذا وأبعد من هيبة الرب سبحانه وتقديره حق قدره وأدل على ذهاب العقول ؟ قاتلهم الله .

(١) قال ابن حزم فى الفصل إن ثلث الليل يختلف فى البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا فى ذلك الوقت لأهل كل أفق وأما جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله فى إبطال القول بالتجسيم اهـ وفى بعض طرق الحديث مايعين أنه إسناد مجازى ففى سنن النسائى (ان الله يأمر ملكا ينادى . . .) وفى شرحى البدر العينى وابن حجر على البخارى بسط واف فى المسألة .

(٢) ولفظ التنزيل (وجاء ربك) قال أحمد أمره وقد بينه فى قوله تعالى (أو يأتى أمر ربك) رواه ابن حزم وأبو يعلى وابن الجوزى . قال الخلال فى السنة بسنده الى حنبل عن عمه الامام أحمد أنه سئل عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها فقال : (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى) .

(٣) وضع القدم مجاز مشهور عن التسكين وعن الردع والقمع . راجع أساس البلاغة والفائق ودفع شبه التشبيه وأساس التقديس. والأخيران مهمان

يخاصر (١) ربه بالخاء والصاد والحاء والضاد وجهان محفوظان فى الترمذى والمسند وغيرهما من كتب التجسيم ووصفته بصفات حي فاعل بالاختيار ، وذانك الأصلان أصل التفرق فى الباري فكن فى النفي غير جبان أولا فلا تلعب بدينك تثبت بعض الصفات وتنفي بعضها فأنكر الجميع أو فرق بين ما أثبته ونفيته ، فذروا المراء وصرحوا بمذاهب القدماء وانسلخوا من الايمان أو قاتلوا مع أمة التشبيه والتجسيم تحت لواء ذى القران أولا فلا تتلاعبوا بعقولكم وكتابكم وبسائر الأديان فجميعها قد صرحت بصفاته وكلامه وعلوه والناس بين مصدق او جاحد او بين ذلك او حمار فنزه وانف الجميع ولقب مذهب الاثبات بالتجسيم واحمل على الأقران فمتى سمحت لهم بوصف واحد حملوا عليك فصرعت فلذاك أنكرنا الجميع مخافة التجسيم ان صرنا الى القرآن ولذا خلعنا ربقة الأديان من أعناقنا ولنا ملوك قاوموا الرسل فى آل فرعون وقارون وهامان ونمروذ وجنكسخان ولنا الائمة ارسطو وشيعته ما فيهم من قال إن الله فوق العرش ولا إن الله يتكلم بالوحي ولهذا رد فرعون على موسى اذ قال موسى ربنا متكلم فوق السماء وأنه نادانى وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا الطوسى قتل الخليفة والقضاة والفقهاء اذهم مجسمة، ولنا الملاحدة الفحول أئمة التعطيل ولنا تصانيف مثل الشفاء ورسائل اخوان الصفاء والاشارات قد صرحت بالضد مما جاء فى التوراة والانجيل والفرقان واذا تحا كمنا فاليهم لا إلى القرآن ياويح جهم وابن درهم ومن قال بقولهما ، بقيت من التشبيه فيه بقية ينفي الصفات مخافة التجسيم ويقول ان الله يسمع ويرى ويعلم ويشاء وان

جداً فى الرد على الحشوية ، وهما مطبوعان يسهل تناولهما ففيهما غنية عن التوسع بأكثر مما ذكر .

(١) قال ابن العربي: أما حديث المخاصرة فضعيف راجع العواصم فكم فى سنن الترمذى ومسند أحمد من أحاديث ضعيفة والناظم هو الذى يسميها بالتجسيم ، قال ابن الجوزى هذا يرويه يوسف بن عبد الله وهو خطأ .

الفعل مقدور له والكون ينسبه الى الحدوث ويصرح بنفي التجسيم والله ما هذان متفقان لكننا قلنا محال كل ذا حذراً من التجسيم والامكان » اهـ

انتهى كلام هذا الملحد تباله وقطع الله دابر كلامه انظر هذا الملعون كيف أقام طوائف الشافعية والمالكية والحنفية الذين هم قدوة الاسلام وهداة الأنام فى صورة الملاحدة الزنادقة المقرين على أنفسهم باتباع فرعون وهامان وارسطو وابن سينا ، المقدمين كلامهم على القرآن ، وأنهم أتباع أصحاب جنكسخان ، وان رائده لعنه الله ولعنه سألهم عما يقوله أهل الحديث فنسبوهم الى ما نسبوهم اليه ، وأنه لذلك انحل عن الأديان وخلع ربقة الايمان وأبرز ذلك فى صورة مقامة وخيال ليرتسم به فى ذهن من يقف عليه من العوام والجهال أن الطوائف المذكورة ، على هذه الصفة وإذا كانت علماء الشريعة وقادة الأمة بهذه الصفة كيف يقبل قولهم فى الدين او ماذا تكون قيمة فتاويهم عند المسلمين ؟ فما أراد هذا . . . إلا أن يقرر عند العوام انه لا مسلم إلا هو وطائفته التى ما برحت ذليلة حقيرة. وما أدرى ما يكون وراء ذلك من قصده الخبيث فان الطعن فى ائمة الدين طعن فى الدين وقد يكون هذا فتح باب الزندقة ونقض الشريعة ويأبى الله ذلك والمؤمنون .

وجماعة من الزنادقة يكون مبدأ أمرهم خفيا حتى تنتشر ناره ويشتعل شناره نسأل الله العافية .

فينبغي لأئمة المسلمين وولاة أمورهم أن يأخذوا بالحزم ويحسموا مادة الشر فى مبدئه قبل أن يستحكم فيصعب عليهم رفعه . ثم إن هذا الوقح لا يستحي من الله ولا من الناس ينسب الى طوائف المسلمين مالم يقولوه فيه وفى طائفته ، وأن شيوخهم وصوهم بذلك، وهو يزعم بكذبه أنه متمسك بالقرآن وأين قال الله فى القرآن (انه فوق السماء) وأين قال (إنه بائن من خلقه) وأين قال (انه فوق العرش) بهذا اللفظ وأين قال (إن القدمين فوق الكرسى)

وأين قال (إنه يسمع خلقه ويراهم من فوق) وأين قال (ان محمداً قاعد معه على العرش) إلى بقية ما ذكره جميعه .

والمتبع للقرآن لا يغيره ولا يغير لفظه بل يتمسك به من غير زيادة ولا نقصان ، وكذلك الأحاديث الصحيحة يقف عند ألفاظها ولا يزيد فى معناها ولا ينقص .

وهكذا أكثر ماذكره لم يجيء لفظه فى قرآن ولا سنة بل هو زيادة من عنده قد كذب فيها على الله (١) وعلى رسوله وفهمها على خلاف الحق ونسب

---

(١) جرت سنة العلماء فى تصانيفهم أن أحدهم إذا نقل عن أحد العلماء نقلا ينص على أنه نقله بنصه أو مع شيء من التصرف بالزيادة فيه أو النقص منه يفعلون ذلك حرصا على صفة الامانة التى يهوى إلى الدرك الاسفل من الحقارة والصغار من حفظ عنه أنه أخل بها فى تافه من الأمور فهم يحرصون على تلك الصفة صفة الامانة فى النقل عن العلماء إخوانهم فاهمين انهم لو خانوا فى النقل عنهم (وهم ينقلون عنهم دينا يدين به العباد) لهووا فى هاوية من النقص لاقرار لها ولا تقوم لهم قائمة بعدها ، وهم إذا حفظوا عن واحد ممن ينتسب إلى العلم شيئا من الاخلال بتلك الأمانة سقط من نظرهم وأكنوا له فى صدورهم من الازدراء به كمالم ما يجعله فى نظرهم كأنه مسخت إنسانيته وأصبح مخلوقا آخر من المخلوقات التى لايقع فى النفوس أنها تكون فى وقت من الأوقات مصدراً لأى معنى ينتفع به بنو الانسان من الناحية الأدبية ، هذا نظرهم لمن يخون فى النقل عن رجل مثلهم ما قال الله ولا رسوله إنه معصوم ، وإذا كان الامر كذلك فى هذا فليقل لى حضرات اخواننا المساكين المغرورين بابن القيم كيف يدومون على غرورهم به وإمام عظيم من أئمة المسلمين يقول عنه بعبارة صريحة فصيحة بينة لا تحتمل التأويل ، لايقولها فقط بلسانه بل يكتبها فى كتاب تبقى فيه على مر الدهور يقرؤها البعيد والقريب والصغير والكبير والعالم والجاهل والمؤمن والكافر يقول تلك الكلمة هذا الامام النادر المثال فى فضله وزهده وورعه وعلمه وهو يعلم أنه مسئول عنها عند ربه ولى أمره فى

إلى علماء المسلمين البرآء من السوء كل قبيح ، وجعل ذلك طريقا للخروج من الدين والانسلاخ من الايمان وانتهاك الحرام ، وعدم اعتقاد شئ فهل وصلت الزنادقة والملاحدة والطاعنون فى الشريعة إلى أكثر من هذا ؟ بل

دنياه وفى أخراه وأى كلمة هذه الكلمة هى قوله إن ابن القيم كذب على الله ورسوله — ليقل لى حضرات المغرورين بابن القيم كيف يكون نظرهم إليه فى الحقارة والصغار وهم يسمعون إما ما كبيراً لاينسب إمامهم الى الخيانة فى النقل عن فريق العلماء جميعاً بل ينسبه إلى الخيانة فى النقل عن الله ورسوله يقول عنه إنه يكذب عليهما ويسند إليهما مالم يقله كتاب ولاسنة أمع هذا يبقون على غرورهم وافراطهم فى تعظيم ذلك الرجل الذى يقول عنه الامام السبكى بحق إنه ما زاد عنه الزنادقة والملاحدة والطاعنون فى الشريعة — فى الخروج على الاسلام والمسلمين،أنا لا أتوهم بعد اطلاع هؤلاء المساكين على حال هذا الرجل أن يبقى فى قلوبهم مثقال ذرة من التعظيم له والعطف عليه ، كيف لا وهم مؤمنون والله يقول فى كتابه الكريم عن كل من اتصف بالايمان لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم). وإنى أعيذهم بالله من احترام رجل لا يزيد عنه فى الخروج على الاسلام والمسلمين لا الزنادقة ولا الملاحدة ولا الطاعنون فى الشريعة ، إنى أرجو إخواننا المغرورين بابن القيم أن يفهموا أن كذب صاحبهم على الله ورسوله فى أصول الاسلام ليعلموا هذا جيدا ثم ليوقنوا أن الذى يكذب فى الأصول هين جداً عنده أن يكذب فى الفروع وإذن ترتفع الثقة بكل معناها عن ابن القيم فلا يجوز لمسلم أن يعتمد عليه فى نقل لا فى أصول ديننا ولا فى فروعه وهو على هذه الحالة سيئة واحدة من سيئات شيخه الكبير إمامكم العظيم فى نظركم ابن تيمية . ما ثبت له يثبت لشيخه بالأولى ثم بالأولى. وبناء على هذا أؤكد عليكم أن تنظروا إلى كل كتاب خطته براعة هذا الرجل وشيخه نظر من لا أثر للثقة فى قلبه بهما وبما يكتبانه والا فمثلكم حينئذ مثل من يرى اللص بعينه يسرق العظائم من أموال الناس ثم فى الوقت عينه يقول ما أصلحه وما أجله وما أوثق دينه

ولا عشر هذا . وايهامه الجهال أنه هو المتمسك بالقرآن والسنة . لينفق عندهم كلامه ويخفى عنهم سقامه

فصل

قال : « فى قدوم ركب الايمان وعسكر القرآن » . قال :

« وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا قد جئتكم من مطلع الايمان

من أرض طيبة من مهاجر أحمد . سافرت فى طلب الاله فدلنى الهادى عليه ومحكم القرآن مع فطرة الرحمن وصريح عقل شهدوا بأن الله منفرد بالملك والسلطان وهو الإله الحق »

هذا صحيح .

ثم قال . « لا معبود إلا وجهه » هـذا عندنا صحيح وأما عنده فالوجه غير الذات فكيف يصح .

ثم قال : « والناس بعـد فشرك أو مبتدع وكذلك شهدوا بأن الله ذو سمع وذو بصر هما صفتان »

هذا نحن نقوله لـكن لو طولب بالشهادة بأنه ذو سمـع وذو بصر أين يجدها [1] فى ألفاظ القرآن والسنة ولو كان كذلك لم يكن بيننا وبين المعتزلة نزاع فيه .

---

(١) بل الواجب على من يهاب مقام ربه أن لايطلق عليه تعالى ما لم يرد إطلاقه عليه فى الـكتاب والسنة المشهورة مع الاقتصار على الوارد فعلا كان أو صفة أو مفرداً أو مجموعاً، فلا يقال له عينان ولا هو مستو . فابدال الفعل صفة والمجموع مثنى وابدال اللفظ بما يظن مرادفاً له مما يجب أن يتهيبه كل مسلم . بل قال امام الحرمين : اجمع المسلمون على منع تقدير صفة مجتهـد فيها لله عز وجل لايتوصـل فيها إلى قطع بعقل أو سمع وأجمع المحققون عـلى أن الظواهر يصح تخصيصها أو تركها بما لا يقطع به من أخبار الآحاد والأقيسة وما يترك بما لا يقطع به كيف يقطع به ؟ اهـ

قال : « وعموم قدرته(١) يدل بأنه هو خالق الأفعال للحيوان » .

اعتقادنا أنه سبحانه خالق أفعال الحيوان ولكن كيف يدل عموم القدرة على ذلك بل لذلك أدلة أخرى . واستدلال هذا القدم بعموم القدرة من عدم شعوره .

ثم قال : « هي خلقه حقا وأفعال لهم حقاً ولا يتناقض الأمران !!! » .

عجب قد تقدم إنكاره على جهم وشيعته قولهم : إن العبد ليس بفاعل فما هذا التناقض (٢) ولعله نقل الكلامين تقليداً ولم يفهم معناهما فلذلك وقع التناقض بينهما ويكونان من كلامين .

ثم قال : لحقيقة القدر الذى حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن ، واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد وقال شفى القلوب بلفظه »

وقال الناظم : « إن الجبرية والمكذبين بالقدر نظروا نظر الأعور » والكلام فى ذلك يطول وليس هذا من أهله (٣) ولا هو متعلق به بل كلامه فيه فضول فيما لا يعنيه .

---

(١) وكم من شئ مقدور عليه لم يدخل فى حيز الوجود فمن أين يدل عموم القدرة على أنه خالق أفعال الحيوان؟ بل الدليل على ذلك قوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وقوله تعالى (الله خالق كل شئ ونحوهما) وكم لنا من براهين عقلية على ذلك لكن الناظم بالغ الجهل ظاهر البلادة حتى فى مثل هذه المسائل الظاهرة لصغار المتعلمين وحق مثله أن يقرع إيقافه عند حده فالمصنف معذور إذا قال عنه إنه حمار أو تيس .

(٢) نفى عن العبد كونه فاعلا فى مذهب الجهمية يعنى الأشاعرة فيما سبق وأثبته هنا مذهباً لهم ، وعد اعتبار العبد فاعلا مناقضاً لاعتبار أن الله خالق لفعل العبد !!! مع أن التناقض فى كلامه نفسه كما شرحنا حيث نفى عنهم سابقا ما أثبته لهم هنا ، وأين التناقض بين كون الله خالقاً وبين كون العبد فاعلا ؟ فتدبر .

(٣) نرجو حضرات المغترين بهذا الناظم و نلح فى الرجاء أن يقفوا هنا

فصل

قال : « أيكون أعطي الكمال وماله ذاك الكمال أيكون (١) انسان سميع مبصر متكلم وله الحياة والقدرة والارادة والعلم والله قد أعطاه ذاك وليس وصفه فاعجب من البهتان بخلاف نوم العبد وجماعه وأكله وحاجة بدنه إذ تلك ملزومات كون العبد محتاجا وتلك لوازم النقصان وكذا لوازم كونه جسداً نعم ولوازم الاحداث والامكان يتقدس عنها وعن أعضاء ذي جثمان ».

الجسدية والحدوث والامكان يلزم منها ثلاثتها الاحتياج والنقص فالنوم والجماع والأكل لوازم لذلك لاملزومات (٢) وتقديسه عن الأعضاء مع إثباته قدمين كيف يجتمعان .

قال : « والله ربى لم يزل متكلما هو قول ربى كله لا بعضه لفظا ومعنى

طويلا ليفهموا مقدار قدوتهم الذى لايرضون أن يكون بجانبه أحد من علماء الامة فى العلم فهاهم أولاء يسمعون الشيخ السبكى وهو الامام الجليل فى تقواه وفضله يقرر بصراحة ان ابن القيم ليس بأهل للكلام معه فى مسألة من المسائل العادية ، وإنى أعود فأرجوهم أن يتأملوا طويلا فى كلمة هذا الامام الكبير رضى الله عنه .

(١) دليل اتصاف الله سبحانه بصفات الكمال من الكتاب والسنة والمعقول معروف عند أهله، وأما الطريق الذى سلكه الناظم فى ذلك فليس فى شىء من الاداء الى مايتوخاه ، وانما سلك هذا الطريق الغير النافذ ليخيل الى العامة أن صفات الله من قبيل صفات العبد فلا مانع من أن يكون البارى ينظر بعين ويسمع بأذن الى آخر تلك المخازى كما هو مذهبه فى إثبات الصورة له تعالى مع أن تلك الصفات فى العبد بآلات وخوارج فهى فى العبد مقرونة بالنقائص والاحتياج تعالى الله عن ذلك فليتنبه الى دسائس الناظم .

(٢) ياحضرات المغترين بابن القيم اعملوا معروفا مع أنفسكم وانظروا كيف لايميز صاحبكم اللازم من الملزوم أيكون حاله هكذا فى الجهل ويصل غروركم به الى أن تعتقدوا انه الامام الذى لايساميه بل لايدانيه إمام .

ما هما خلقان » .

أما كونه لم يزل متكلما وقوله مع ذلك إنه لفظ وإنه غير مخلوق فكلام من لا يدرى ما يقول (١) .

قال : « لكن أصوات العباد مخلوقة فاذا انتفت الوساطة كتكلم الله لموسى فالمخلوق نفس السمع (٢) لا المسموع هذى مقالة أحمد (يعنى ابن حنبل) ومحمد (يعنى البخارى) » .

قلنا نعم نوافقه على ذلك على قول الأشعرى إن الكلام النفسى يسمع ولا يلزم أن يكون هناك حرف وصوت ومن اعترف بكلام الله تعالى وأن موسى سمعه

(١) لأن اللفظ لابد من أن يكون باعتبار وجوده الخارجى متعاقب الحروف فلا يتصور العاقل فى مثله قدما نعم ليس للفظ باعتبار وجوده العلمى والنفسى تعاقب فيكون قديما كما قال بذلك أحمد وتابعه ابن حزم، وهو الموافق لتحقيق القوم فى الكلام النفسى، إلا أن وجوده أصلى بخلاف العلم فانه بالاضافة الى المعلوم . والناظم ليس بقائل بما قال به أحمد كما يظهر من مواضع من نظمه فيكون قائلا بما هو غير معقول .

(٢) لا فرق بين موسى عليه السلام وبين غيره فى خلق السمع فيهما، وأما المسموع فان كان يريد به الصوت المكيف فكذلك، وإن كان يريد ماهو قائم بالله جل الاله أن يقوم به عرض سيال . والوارد فى الكتاب أنه تعالى كلم موسى — بدون ذكر الصوت أصلا — والتكلم لا يستلزم الصوت قال تعالى : (ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) إذ لا صوت فى الوحى إلى القلب والصوت فى الثالث صوت الرسول دون المكلم فليكن الكلام من وراء حجاب كذلك وهو الذى حصل لموسى، فمهما كان النبى بسماعه صوت الرسول إليه يعد أن الله كلمه فلا يكون أى مانع من أن يعد موسى كلمه ربه إذ نودى من الشجرة، فأى زائغ يتصور حلول الله فى الشجرة حتى يقول ان الذى سمعه صوت الله؟ تعالى الله أن يكون كلامه صوتا، والآية قاضية على جميع الأوهام فى هذا البحث لمن أحسن التدبر فيها .

ولم يقل إنه حرف أو صوت أو غير ذلك بل وقف عند حده وعجزه وجهله ونزه الله تعالى عن صفات خلقه ، سلم .

ثم قال فى بيت الأخطل: «ياقوم قد غلط النصارى فى الكلمة ونظير هذا من يقول كلامه معنى قديم غير محدث والشطر مخلوق وتلك حروفه ناسوته » (١)

أبصر هذه الجزاءة وتشبيهه أقوال العلماء بأقوال النصاري وجهله وكذبه بأن الحروف كالناسوت. والمعنى قائم بذات الرب سبحانه وتعالى والألفاظ بالقارىء لا يتحد أحدهما بالآخر ولا يحل فيه كما يقول النصارى تعالى الله عن قولهم .

فصل

قال : « الكلام قيل بغير مشيئة وإنه معنى إما واحد وإما خمسة معان وقيل إنه لفظ مقترن فالسين مع الباء والذين قالوا بمشيئة صنفان أحدهما جعله خارج ذاته وهو قول الجهمية ومتأخري المعتزلة والثانية فى ذاته وهم الكرامية وهم نوعان أحدهما جعله مبدوءاً به حذراً من التسلسل فلذلك قالوا له أول والآخرون كأحمد ومحمد قالوا لم يزل متكلما (٢) بمشيئة وإرادة

(١) لم يفهم الناظم كلام القوم فشنع كما شاء قاتل الله البلادة ما أفتكها . ظن الناظم أن المراد بالمعنى معنى النظم فبنى عليه ماشاء ، مع أن مرادهم بالمعنى هنا هو القائم بالله الشامل للدال ومدلوله باعتبار وجودهما العلمي كما نص عليه أحمد فى رده على ابن أبي دؤاد كما ذكر فى كتاب السنة وغيره، فلا يكون للفظ الخارجي دخل أصلا فى القدم على مذهب إمامه نفسه ، نعم يوجد من يسير سير النصارى فى الحلول بين الذين تكلموا فى القرآن وهو من يقول إن الصوت من المصوت قديم وإن الله تعالى يقرأ على لسان كل قارىء كما ذهب إلى ذلك السالمية تعالى الله عما يقول الظالمون. والناظم من أقرب المبتدعة إليهم .

(٢) افترى الناظم عليهما تمويها وتحميلا على لفظ مجمل مالا يحتمله وهما كباقي أهل السنة يقولان ان الله متصف بصفة الكلام أزلا كاتصافه بباقي

وتعاقب (١) الكلمات ».

هذا هو الذى ابتدعه ابن تيمية والتزم به حوادث لا أول لها ، والعجب قوله مع ذلك إنه قديم ، وحين النطق بالباء لم تكن السين موجودة ، فان قال النوع قديم وكل واحد من الحروف حادث عدنا الى الكلام فى كل واحد من حروف القرآن ، فيلزم حدوثها وحدوثه ، فالذى التزمه من قيام الحوادث بذات الرب لا ينجيه بل يرديه ، وهذا آفة التخليط والتطفل على العلوم وعدم الأخذ عن الشيوخ . ثم قال : « واذكر حديثا فى صحيح محمد ذاك البخارى فيه نداء الله (٢) يوم معادنا بالصوت » .

صفاته الأزلية وهو يتكلم متى شاء وهما بعيدان من المماحكات الزائفة ، والله سبحانه سريع الحساب وشديد العقاب أزلا ولا يستلزم ذلك قدم البعث وهو سبحانه لم تحدث له صفة بخلق الخلق وهو خالق أزلا قبل أن يخلق الخلق .

(١) فيكون محلا للحوادث تعالى الله عن ذلك ، وابن تيمية تابع الكرامية فى ذلك وأربى عليهم فى الزيغ بدعوى القدم النوعى فى الكلام ، مع أنه لا وجود للكلى الا فى ضمن الأفراد ، فلا معنى لوصف النوع بالقدم بعد الاعتراف بحدوث كل فرد من أفراده وقد أطال العلامة قاسم بن قطلوبغا الحافظ فيما كتبه على المسايرة الكلام فى ذلك فلا نطيل الكلام بما هو فى متناول أيدى صغار التلاميذ . والناظم من أتبع الناس لابن تيمية فى سخافاته ، وقد نقل ابن رجب فى طبقاته عن الذهبى فى حق ابن تيمية أنه أطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها اهـ فيدور أمره بين أن يكون مصابا فى عقله أو دينه ، فتبا لمن يتخذ مثله قدوة .

(٢) إن كان يريد حديث جابر عن عبد الله بن أنيس (يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب الحديث) فهو حديث ضعيف علقه البخارى بقوله ويذكر عن جابر دلالة على أنه ليس من شرطه ومداره على عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف باتفاق ، وقد انفرد عنه القاسم بن عبد الواحد وعنه قالوا إنه ممن لا يحتج به . وللحافظ أبى الحسن

اللفظ الذى فى البخاري (فينادى بصوت) وهـذا محتمل لأن يكون الدال مفتوحة والفعل لم يسم فاعله وأن يكون مكسورة فيكون المنادى هو الله تعالى فنقله عن البخارى نداء الله ليس بصحيح، والعدالة فى النقل أن ينقل المحتمل محتملا، وإذا ثبت أن الدال مكسورة فلم يقول إن الصوت منه ؟. فقد يكون من بعض ملائكته أو من يشاء الله .

ثم قال : « أيصح فى عقل وفى نقل [1] نداء ليس مسموعا لنا » .

أما العقل فلا مدخل له فى ذلك، وأما النقل فقـد قال تعالى (إذ نادى ربه نداء خفيا) .

ثم قال : « والله موصوف بذاك حقيقة هذا الحديث ومحكم القرآن » .

المقدسى جزء فى تبيين وجوه الضعف فى الحديث المذكور وأما إن كان يريد حديث أبى سعيد الخدرى (يقول الله يا آدم يقول لبيك وسعديك فينادى بصوت إن الله يامرك الحديث) فلفظ ينادى فيه على صيغة المفعول جزما بدليل « إن الله يأمرك » ولو كان على صيغة الفاعل لـكان إنى آمرك كما لا يخفى على أن لفظ (بصوت) انفرد به حفص بن غياث وخالفه وكيع وجرير وغيرهما فلم يذكروا الصوت وسئل أحمد عن حفص هذا فقال كان يخلط فى حديثه كما ذكره ابن الجوزى فأين الحجة للناظم فى مثله؟ على أن الناظم نفسه خرج فى حادى الأرواح ـ وفى هامشه إعلام الموقعين ـ (٢ ـ ٩٧) عن الدارقطنى من حديث أبى موسى (يبعث الله يوم القيامـة مناديا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم إن الله وعدهم الحديث) وهذا يعين أن الأسناد مجازى على تقدير ثبوت الحديثين فظهر بذلك أن الناظم متمسك فى ذلك بالسراب والمؤلف تساهل فى الرد عليه وفى (القواصم والعواصم) لابن العربى مايقصم ظهر الناظم فى (٢ـ ٢٩) منه.

(١) النداء طلب الاقبال عند النحاة واللغويين فيجرى مجرى القول وكم فى الـكتاب والسنة مما يدل على القول والـكلام بدون صوت كما نسرد بعض ذلك عند التدليل على الـكلام النفسى وقول صاحب القاموس النداء الصوت تسامح منه ، وكم له من مسامحات معروفة عند أهل العلم .

ليس فى الحديث ومحكم القرآن أنه حقيقة .

قال : « ورواه عندكم البخارى المجسم بل رواه مجسم فوقانى »

هذا بهت لنا فى أن البخارى مجسم عندنا والله ما اعتقدنا فيه ذلك ولا فى أحد الذى عناه بالفوقانى ولكن هذا بهت لنا وإساءة على البخارى ومن فوقه .

ثم قال : « واذكر حديثا لابن مسعود صريحا إنه ذو أحرف » .

هو حديث فى الترمذى : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة وقال حسن صحيح ووقفه بعضهم على ابن مسعود ، وعلى كل تقدير الحرف فى قراءة القارىء وقد تقدم من هذا الناظم أن الصوت فعل القارىء فلا وجه لاحتجاجه هنا ، ولابن مسعود حديث آخر أنه على سبعة أحرف ، والمراد نزوله بها ثم قال : « وانظر الى السور التى افتتحت بأحرفها لم يأت قط بسورة الا أتى في أثرها خبر عن القرآن » .

هذا منتقض بسورة كهيعص والعنكبوت والروم ون .

« فصل »

قال : « انه يلزم من نفى صفة الكلام نفى الرسالة (١) » .

وهو جهل منه وان كنا لا ننفى صفة الكلام .

« فصل »

وقال : « انه يلزمهم تشبيه الرب بالجماد الناقص » .

---

(١) وقد نص الله سبحانه على أن تكليم الله سبحانه منحصر فى الوحى إلى القلب وارسال ملك يبلغ كلامه ، والكلام من وراء حجاب وليس فى واحد منها صوت للمتكلم سبحانه فمن أين يلزم من نفى ما أثبتـه المجسمة من حرف وصوت نفى الرسالة بل عد الاله سبحانه محلا للاعراض هو المستلزم لنفى الصانع فضلا عن الرسالة قاتل الله هذه الفئة السخيفة ما أجهلهم بما يجوز فى الله وما لا يجوز .

وهذا . . . (١) .

قال : « فصل »

فى إلزامهم (٢) أن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه بخلقه أفعال العباد » .

ما هذا الا . . .

« فصل »

فى التفريق بين الخلق والأمر قال : « وكلاهما عند المنازع واحد » . المنازع هم المعتزلة ولسنا منهم لكن قوله انهما عندهم (٣) واحد ليس بصحيح.

« فصل »

قال : « والله أخبر فى الكتاب بأنه منه » .

---

(١) اكتفى بوصفه بالبلادة لئلا يوقع عليه الحكم بالكفر لو كان يعقل مايقول لأن إثبات الحرف والصوت لله تشبيه له بالانسان وتشبيه الله بمخلوق كفر والصوت عرض سيال محال أن يقوم بالله سبحانه بل هو متكلم بكلام نفسى ليس له صوت .

(٢) وجه هذا الالزام لا يظهر إلا لمن هو على شاكلة الناظم فى تخيل ماهو غير معقول ولو ألزم القائلين بالحرف والصوت أن التالى قد يكون لاحناً قبيح الأداء فلا يتصور فى صفة الله سبحانه مثل ذلك فيبطل القول بأن كلام الله حرف وصوت لكان قوله هذا ملزماً حقيقة وأما إلزام الناظم هنا فقلب للحقيقة بل هذيان ظاهر وأمام هذا لم يسع المصنف إلا أن يخرج الناظم من عداد العقلاء ومن الصعب جدا على العالم خطاب من لا يفهم .

(٣) وهم يفرقون بين الأمر التكليفى والأمر التكوينى ، وقد ذكروا فيما ألفوه فى أصول الفقه ما هو موجب الأمر التكليفى . وقوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) يحتمل معانى ومن أجلاها أنه هو الذى خلق الخلق وإليه فقط أن يأمرهم بما يشاء وأولو الأمر إنما يستمدون الأمر من أمره تعالى فلا يكون للآية دخل فى هذا البحث أصلا وإن كان بعضهم يلهج بذلك .

قلنا الذى فى الكتاب (تنزيل الكتاب من الله) ونحوه وليس فيه ان الكتاب منه .

ثم قال : « والمجرور بمن [١] نوعان عين ووصف قائم بالعين فالعين خلقه والوصف قائم بالمجرور » .

قوله قائم بالعين ليس بصحيح فقد يكون قائما بنفسه (؟) .

« فصل »

قال : « وأتى ابن حزم فقال ماللناس قرآن ولا اثنان بل أربع كل يسمى بالقرآن وذاك قول بين البطلان . هذا الذى يتلى والمرسوم والمحفوظ والمعنى القديم فالشيء شيء واحد لا أربع فدهى ابن حزم [٢] ملة القرآن » .

---

(١) يريد أن ما سبق على المجرور بمن إماأن يكون عيناً أو وصفا فالعين مخلوقه تعالى قال والوصف قائم به تعالى لكن فى العبارة ارتباك وكذا المصنف فليحرر .

(٢) ومن المضحك المبكى وقيعة الناظم وشيخه فى ابن حزم وهو إمامهما فى غالب المسائل الفرعية التى شذا بها عن الجماعة وأنت تراهما يطعنان فيه طعنا مراً فى المسائل الاعتقادية ، وهو أقرب إلى الحق منهما فى غالب تلك المسائل ولا سيما فى مسألة القرآن وهو من المنزهين دونهما وهو عدو لدود للمجسمة حتى انهم تراهم ينبزون هذا الظاهرى بالقرمطة، وفى الفصل أبحاث جيدة تتعلق بقمع أهل التجسيم لعلها تكون كفارة عن بعض قسوته وشذوذه ومخالفاته لجمهور العلماء وقول ابن حزم بكون القرآن مشتركا بين تلك الأربعة موافق لكتاب الله قال الله تعالى (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) وقال تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) وقال تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) فصدور العلماء واللوح المحفوظ ولسان الرسول صلى الله عليه وسلم مخلوقة مع ما فيها، فالقديم هو ما قام بالله سبحانه دون مافى الصدور والألواح والألسنة ، وهذا غاية من الظهور . وغلط ابن حزم انما هو فى قوله بعموم المشترك هنا .

هذا لم يفهم كلام ابن حزم ، مراد ابن حزم أن القرآن هو المعنى وهو واحد له وجود فى نفسه ويتلى ويرسم ويحفظ فيوجد فى اللفظ والخط والصدر ويطلق على الثلاثة أيضا قرآن فاللفظ مشترك بين الأربعة .

ثم قال : ما معناه « ان اللفظ يطلق على المصدر ويطلق على الملفوظ وألفاظ العباد وكذلك فالأول مخلوق والثانى (١) غير مخلوق وهو القرآن وعلى ذلك حمل كلام أحمد [٢] والبخارى » .

قلنا اما المصدر فمخلوق بلا شك [٣] وهو فعل العبد وأما الملفوظ من

---

(١) يعنى الملفوظ فان كان يريد وجوده العلمى فى علم الله فقدمه بهذا الاعتبار موضع اتفاق، وان كان يريد الصوت الصادر من فم اللافظ فهو حادث قطعا وأنى يتصور القدم لعرض محسوس المبدأ والمقطع ومذهب الناظم اعتبار كلام الله صوتا صادراً من الله حادثا شخصا قديما نوعا، تعالى الله عن ذلك. ولم يقل به أحد قبل شيخ الناظم وتابعه الناظم المسكين كما يظهر من مواضع فى هذا الكتاب فقوله (والثانى غير مخلوق) لا يصح بالنظر إلى الصوت وهو ظاهر والله سبحانه هو الهادى .

(٢) والمعروف بين أهل العلم أن البخارى كان يقول بحدوث اللفظ ـ يعنى لفظ التالى الدال دون تعرض للمعنى المدلول عليه وضعا أو عقلا ـ وأحمد يبدع من يقول ذلك وتبديع هذا وقول ذاك متواردان على شىء واحد والحق مع البخارى فى تلك المسألة وإن كان الذهلى وأصحابه جميعاً هجروه على ذلك. راجع كتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم وليس بقليل بين أهل العلم الذين يقولون بأن المعنى المصدرى أمر نسبى من قبيل الحال فعندهم أن اللافظ هو العبد وهو مخلوق الله والملفوظ هو الصوت المكيف الخارج من فم العبد وهو مخلوق الله تعالى أيضا واللفظ بالمعنى المصدرى نسبة بين اللافظ والملفوظ فلا يتعلق به الخلق عندهم وقول الناظم والمصنف بخلقه على مذهب نفاة الحال . وتفصيل هذا البحث فيما كتبناه على الاختلاف فى اللفظ .

(٣) يعنى عند نفاة الحال راجع شرح المواقف .

فم العبد فهو الصوت الخارج منه ، المخلوق لله تعالى وقولنا له كلام الله كما يقال اذا قرأ المحدث (انما الأعمال بالنيات) هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم واذا قرئ كتاب ملك علينا تقول هذا كتاب الملك .

قال : « فصل

في مقالة الفلاسفة والقرامطة »

هذا لا يتعلق بنا فعليهم غضب الله ولكن غرضه أن يخلط الحق بالباطل حتى يروج (١) الباطل .

قال : « فصل

في الاتحادية » .

هو من النمط الذي قبله .

ثم قال : « هذى مقالات الطوائف كلها فاعطف على الجهمية المغل الذين خرقوا سياج العقل والقرآن شرد (٢) بهم من خلفهم واكسرهم » . ثم ذكر مذاهب المعتزلة ومذاهب الأشعرية وهما اللذان يسميهما الجهمية.

ثم قال : هذا الذى قد خالف المعقول والمنقول والفطرات للانسان أما الذى قد قال إن كلامه ذو أحرف قد رتبت ببيان وكلامه بمشيئة وإرادة كالفعل منه كلاهما (٣) سيان فهو الذى قد قال قولا يعلم العقلاء صحته بلا نكران فلأى شئ كان ماقلتم أولى؟ ولأى شئ كفرتم أصحاب هذا القول ؟ فدعوا الدعاوى وابحثوا معنا وارفوا مذاهبكم إن امكن » .

---

(١) هل يعد من علماء الاسلام بل من عامة المسلمين من يروج الباطل وهو يعلم أنه باطل ؟ .

(٢) التشريد المذكور في الآية مأمور أن يوقعه النبي صلى الله عليه وسلم بالكفار. ولينظر القارئ كيف يأمره حضرة الناظم أن يوقعه بجماعة المسلمين الأشاعرة وغيرهم من أجل أنهم لا يوافقونه في ضلاله .

(٣) هذا إنما يصح في الكلام اللفظى الحادث باعتبار وجوده الخارجى

ليت شعرى من هو الذى من العقلاء يعلم صحة كلام ذى أحرف مترتبة مفعول قديم ولكن هذا صبي العقل غره ، هجام على الحقائق بهواه .

ثم قال : « فاحكم ـ هداك الله ـ بينهم لاتنصرن سوى الحديث وأهله هم عسكر القرآن . فنقول هذا القدر قد أعيا على أهل الكلام وقاده أصلان ، أحدهما هل فعله (١) مفعوله أو غيره قولان والقائلون بأنه عينه فروا من الحدث فى الصفات وحقيقة قولهم تعطيل الخالق عن فعله إذ فعله مفعوله لكنه ماقام به فعلى الحقيقة ماله فعل إذ المفعول منفصل عنه . والقائلون بأنه

وأما باعتبار وجوده العلمى فقديم كما سبق قال أبو بكر الباقلانى فى النقض الكبير : « من زعم أن السين من بسم الله بعد الباء والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا أول له فقد خرج عن المعقول وجحد الضرورة وأنكر البديهة فان اعترف بوقوع شيء بعد شيء فقد اعترف باوليته فاذا ادعى أنه لا أول له فقد سقطت محاجته وتعين لحوقه بالسفسطة وكيف يرجى أن يرشد بالدليل من يتوافح فى جحد الضرورى اهـ » راجع الشامل لامام الحرمين ونجم المهتدى لابن المعلم القرشي . وفى شعب الايمان للحليمى « ومن زعم أن حركة شفتيه أوصوته أو كتابته بيده فى الورقة هو عين كلام الله القائم بذاته فقد زعم أن صفة الله قد حلت بذاته ومست جوارحه وسكنت قلبه ، وأى فرق بين من يقول هذا وبين من يزعم من النصارى أن الكلمة اتحدت بعيسى عليه الصلاة والسلام اهـ » ليحفظ القارىء هذا ثم أرجوه أن يقرأ قول الموفق الحنبلى صاحب المغنى فى مناظرته المسجلة فى المجموعة المحفوظة تحت رقم ١١٦ بظاهرية دمشق ونصه « قال أهل الحق القرآن كلام الله غير مخلوق وقالت المعتزلة هو مخلوق ولم يكن اختلافهم إلا فى هذا الموجود دون ما فى نفس البارى مما لا ندرى ما هو ولانعرفه » . وعن الموفق هذا يقول شيخ الناظم ماحل دمشق مثله بعد الأوزاعى وأنت ترى كلامه فى المسألة وإذا كان هذا حال الموفق فماذا تكون حال الناظم وشيخه ؟ .

(١) إن كان المراد بالفعل ما هو بالمعنى المصدرى من قوله تعالى (فعال لما يريد) فليس فى فرق الاسلام من ينفى الفعل بهذا المعنى عن الله سبحانه

غيره طائفتان إحداهما قالت قديم قائم بالذات سموه تكوينا وهم الحنفية . والآخرون رأوه حادثا قام بالذات وهم نوعان أحدهما جعله مفتتحا به حذراً من التسلسل وهو قول الكرامية، والآخرون أهل الحديث كأحمد[1] بن حنبل قال : إن الله لم يزل متكلما إن شاء ، جعل الكلام صفة فعل قائمة بالذات لم يفقد من الرحمن و كذلك نص على دوام الفعل وكذا ابن عباس وجعفر الصادق و (عثمان بن سعيد) الدارمي وصدق فالحياة والفعل متلازمان وكل

بل إثباته موضع اتفاق بين الفرق كلها وإن كان يريد ما هو مبدأ هذا المعنى فهو صفة قديمة غير الارادة والقدرة عند طوائف من أهل الحق وهي المسماة عندهم بصفة التكوين، وأما الأشاعرة فيرجعونها إلى القدرة وللقولين حظ من النظر وأما إن كان المراد بالفعل الفعل الحاصل بالمصدر أعني الأثر المترتب على التكوين أو القدرة فلاشك أنه مفعول الله ومخلوقه وغير قائم به أصلا فأفعال الله بهذا المعنى هي مخلوقاته حتما ودعوى قيامها بالله لاتصدر ممن يعي مايقول ومن المجسمة أناس يظنون أن أفعال الله تكون بالحركة كأفعال العباد وتصدر منه بالعلاج والمزاولة مع أن الجوارح والآلات إنما وضعت للعباد ليتوصلوا بها إلى قصدهم وهي كلها نقص وآفات ، وأما من له الحول والقوة جل جلاله فانما هو إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون بدون آلة ولا جارحة ولا علاج ولامزاولة .يريد الشيء فيحدث . وبهذا البيان ظهر ما في كلام الناظم من الاختلال ووجوه الضلال .

(٢) نسبة القول بقيام الفعل الحادث بالله سبحانه إلى أحمد وجعفر الصادق وابن عباس رضي الله عنهم نسبة كاذبة وفرية مكشوفة .وقول أحمد (إن الله لم يزل متكلما إن شاء) بمعنى أن الكلام صفة قديمة وأنه تعالى يكلم أنبياءه متى شاء بدون حرف ولاصوت بالوحي ومن وراء حجاب أو بإرسال رسول « وهو متكلم خالق قبل أن يكلم الرسل ويخلق الخلق » كما صرح بذلك غلام الخلال من قدماء الحنابلة في المقنع وأما عثمان بن سعيد الدارمي السجزي مؤلف النقض على المريسي فكان فيما سبق لا يخوض في صفات الله سبحانه كما

حي (١) فعال إلا اذا عرضت آفـة أو قسر أو لست تسمع قول كل موحد (ياداٸم المعروف قديم الاحسان) أو ليس فعل الرب تابع وصفه وكماله؟ أفذاك ذو حدثان؟ وكماله سبب الفعال وخلقه أفعالهم سبب الـكمال الثانى ،أو مافعال الرب عين كماله؟أفذاك ممتنع على المنان أزلا إلى أن صار فيمالم يزل ممـكنا؟تالله قد ضلت عقول القوم إذ قالوا بهذا ، وتخلف التأثير بعد تمـام موجبه محال والله ربى لم يزل ذا قدرة ومشيئة وعـلم وحياة وبهذه الأوصاف تمام الفعل فلأى شىء تأخر فعله مع موجب (٢) قد تم والله عاب على المشركين عبادتهم.

هو طريقة السلف،ثم انخدع بالكرامية. وأصبح مجسما مختل العقل عند تأليفه النقض المذكور وهو حقيق بأن يكون قدوة للناظم.ونسجل هنا على الناظم اعتقاده قيام الحوادث بذات الله سبحانه وتعالى واعتقاده أن هذه الحوادث لا أول لها وإنى ألفت نظر حضرة القارىء إلى هـذه العقيدة وهل تتفق مع دعوى أنه امام دونه كل إمام ؟ بل هل تتفق هذه العقيدة مع دعوى أنه فى عداد المسلمين فقط ؟ . * (١) ليست حياة الله كحياة العباد ولا فعله تعالى كأفعالهم وإدخال الله سبحانه فى مثل هذه الـكلية لا يصدر إلا ممن هو مريض القلب بمرض التشبيه وعثمان بن سعيد هذا يصرح فى نقضه المنقوض بأن كل حى فعال متحرك ويثبت لله الحركة ويظهر من ذلك كيف يتصور فعـل الله ، والناظم يقتدى بمثل هذا المخذول ولعل القارىء ازداد بصيرة وعلم من هذا الـكلام بان الحوادث لا أول لها فى نظر هذا الناظم لأن حياة الله لا أول لها فيكون فعله لا أول له ، وهذه المسألة من المسائل التى كفر علماء الاسـلام الفلاسفة بهافليعرفه المغرورون بابن القيم ثم ليمرفوه . * (٢) وهذاتصريح منه بان الله سبحانه فاعل بالايجاب انخداعا منه بقول الفلاسفة القائلين بقدم العالم وقد أتى أهل الحق بنيانهم من القواعد وإن كان الناظم المسكين بعيداً عن فهم أقوال هؤلاء وأقوال هؤلاء . ثم يناقض الناظم نفسه ويثبت لله الاختيار وهو فى الحالتين غير شاعر بما يقول تعالى الله عما يقول . وأرجو ان يفهم القارىء هنا معنى لابد من اعتقاده وهو أن القائل بان الله فاعل بالايجاب فى ناحية ودين الاسلام كله فى ناحية وأى مسلم يستطيع أن يقول أن ربنا مرغم على فعل ما يفعله.

ماليس بخالق ولا ينطق ، والله إله حق دائما أفعنه الوصفان [١] مسلوبان أزلا
هذا المحال إن كان رب العرش لم يزل إله الخلق فكذا لم يزل متكلما فاعلا
سوالله ما في العقل مايقضى لذا بارد بل ليس فى المعقول غير ثبوته ، ومادون
المهيمن حادث ليس القديم سواه والله سابق كل شئ ماربنا والخلق مقترنان
والله كان وليس شئ (٢) غيره لسنا نقول كما يقول اليونانى بدوام هذا العالم
المشهود والأرواح فى أزل وليس بفان ، .واندفع فى ذكر النصير الطوسى لعنه
الله فهو معذور فيه لكنه لافرق بينه وبين القائلين بقدم العالم إلا أنه لايقول
بقدم هذه الأجسام المشاهدة والأرواح وهذه الأجسام والأرواح كالحوادث
اليومية التى أجمع كل عاقل على حدوثها، فلو جاء زنديق وقال إنه لم يزل أجسام
وأرواح خلقاً من قبل خلق و إنه كان قبل هذه السموات سموات غيرها لا إلى نهاية
وأرواح غير هذه الأرواح لا إلى نهاية لم يكن بينه وبين هذا الناظم فرق إلا
أن هذه فى غير ذاته تعالى وماقاله الناظم، بحدوثه فى ذاته سبحانه وتعالى والتسلسل
عنده جائز فبم ينكر على الزنديق الذى يدعى ذلك؟ وأى فرق بين قوله وقوله؟
فان التزم جوازهما فأى فرق بينهما وبين جرم هذه السماء؟ (٣) وقوله (تخلف التأثير
بعد تمام موجبه) ففيه اعتراضان أحدهما أن المؤثر خلاف الفاعل بالاختيار
والله تعالى فاعل بالاختيار والثانى قوله (بعد تمام موجبه) إن أراد الايجاب
الذاتى فهو قول الفلاسفة والله فاعل بالاختيار ، ومن ضرورة الفعل بالاختيار

---

(١) ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد اسم البارى له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق وهكذا كما نقله الطحاوى عن فقهاء الملة لكن أين للمجسم المسكين أن يفهم هذه الحقائق.

(٢) والمسلمون جميعهم يعتقدون أن حياة الله لا افتتاح لها وقد تقدم للناظم أنه يقول : ان كل حى فعال وان الحياة والفعل متلازمان . ومعنى هذا أن الفعل لا افتتاح له أيضا فاذن كيف يتفق قوله هذا السابق مع قوله هنا (كان الله وليس شئ غيره) فليعرف ذلك أهل الغرور بابن القيم ثم ليعرفوه .

(٣) ولعل المصنف لم ير جزء (حوادث لا أول لها) لابن تيمية اذ قوله فيه خطر جداً.

تأخر الفعل عن الاختيار ، والتأخر يقتضى الحدوث فكيف يتخلص عن هذه الكنة .[وان أراد الوجوب عن الله فسياق العبارة ينافيه]

فصل

قال : «فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل قلنا صدقتم وهو ذو إمكان كتسلسل التأثير فى مستقبل وهل بينهما (١) فرق ؟ وأبو على [الجبائى] وابنه [أبو هاشم] والأشعرى وابن الطيب[الباقلانى]وجميع أرباب الكلام الباطل فرقوا وقالوا ذلك فيما لا يزال حق وفى الأزل ممتنع لأجل تناقض الأزلى والاحداث فانظر الى التلبيس فى ذا الفرق ترويجاً على العوران والعميان ماقال ذو عقل بأن ذا أزلى لذى ذهن ولا أعيان بل كل فرد فهو مسبوق بفرد ونظيره كل فرد ملحوق بفرد فالآحاد تفنى والنوع(٢) لايفنى أزلا وأبداً وتعاقب الآنات ثابت فى الذهن كذا فى العين فان قلتم الآنات حادثة فيقال ماذا تعنون بالآنات هل تعنون مدة من حين إحداث السموات ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن قبلها شىء من الأكوان ، هل جاءكم فى ذاك من أثر ومن نص ومن نظر ومن برهان ؟ إنا نحاكمكم الى ماشئتم منها أو ليس خلق الكون فى الأيام أو ليس

(١) لو كان الناظم سعى فى تعلم أصول الدين عند أهل العلم قبل أن يحاول الامامة فى الدين لبان له الفرق بين الماضى والمستقبل فى ذلك ، ولعلم أن كل ما دخل فى الوجود من الحوادث متناه محصور وأما المستقبل فلا يحدث فيه حادث محقق إلا وبعده حادث مقدر لا إلى غير نهاية بخلاف الماضى كما سبق وسيأتى كلام أبى يعلى وغيره فى ذلك .

(٢) عدم فناء النوع فى الأزل بمعنى قدمه وأين قدم النوع مع حدوث أفراده ؟ وهذا لايصدر إلا ممن به مس بخلاف المستقبل وقد سبق بيان ذلك .وقال أبو يعلى الحنبلى فى المعتمد : « والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافاً للملحدة اه ». وهو من أئمة الناظم فيكون هو وشيخه من الملاحدة على رأى أبى يعلى هذا فيكونان أسوأ حالا منه فى الزيغ نسأل الله السلامة .

ذلكم الزمان بعدة لحقيقة الأزمان (١) نسبة حادث لسواه واذكر حديث السبق بخمسين ألف سنةسابقة وعرش الرب فوق الماء من قبل السنين بعدة وزمان والحق أن العرش كان قبل القلم والذين لم يقولوا بدوام فعله (٢)عموا

(١) بل الزمان متجدد معلوم يقدر به متجدد مبهم إزالة لإبهامه عند المتكلمين ، وجوهر مجرد عند بعض الفلاسفة ، وعرض غير قار الذات عند جمهورهم أو هو الفلك الأعظم أو حركته أو مقدار تلك الحركة عند طوائف منهم وقول الناظم لا يطابق واحداً منها والكلام فى الزمان والمكان طويل الذيل مبسوط فى موضعه فكأن الناظم يريد أن يقول ان الزمان كان موجوداً قبل هذه السموات بدليل تلك الأحاديث فلا مانع من وجود حوادث لا أول لها متعاقبة فى الماضى فى آنات متعاقبة لا أول لها وهو قول الدهرية نفاة الصانع . فيا ترى ماذا يريد من كون العرش قبل القلم فان كان أراد أن يجعل لله عرشاً يستقر عليه أزلا إما بقدم العرش قدما نوعيا كما روى الدوانى عن ابن تيمية أو قدما شخصيا لورود (أول ماخلق الله القلم) فحاشاه أن يستقر على عرش استقرار تمكن حادثا كان العرش أو غير حادث . تعالى الله عن هذا وذاك . ولأهل العلم كلام واف فى الأحاديث الواردة فى أول ما خلق الله تعالى ولا غرض لنا يتعلق بذلك هنا . والعرش هو المخلوق الثالث عند محققى أهل العلم بالحديث .

(٢) القول بدوام فعله تعالى فى جانب الماضى قول بحوادث لا أول لها وقد سبق تسخيف ذلك مرات قال القاضى أبو يعلى الحنبلى : « لا يجوز وجود موجدات لا نهاية لعددها سواء كانت قديمة أو محدثة خلافاً للملحدة والدلالة عليه أن كل جملة لو ضممنا إليها خمسة أجزاء مثلا لعلم ضرورة أنها زادت وكذلك عند النقص واذا كان كذلك وجب أن تكون متناهية بجواز قبول الزيادة والنقصان عليها لأن كل ما يأتى فيه الزيادة والنقصان وجب أن يكون متناهيا من جهة العدد اهـ » راجع المعتمد المحفوظ تحت رقم ٤٥ من التوحيد فى ظاهرية دمشق وهذ بالنظر إلى الماضى كما سبق فتبا لمن يكون أسوأ حالا فى هذه المباحث من أبى يعلى المذكور حاله فى دفع شبه التشبيه لابن الجوزى .

عن القرآن والحديث ومقتضى العقول وفطرة الرحمن والبرهان وأسسوا أصل الكلام وبنوا قواعدهم عليه وقادهم قسراً إلى التعطيل ، نفي القيام لكل أمر حادث بالرب خوف تسلسل الأعيان فيسد ذاك عليهم بزعمهم إثبات الصانع إذ أثبتوه بخلاف الأجسام هذى نهايات أقدام الورى في ذا المقام الضيق فمن يأتي بفتح ينجي الورى من الحيرة » انتهى كلامه في هذا الفصل .

وقد صرح بقبائح منها إمكان التسلسل ومنها نسبة أكابر علماء الأشعرية إلى التلبيس ومنها نسبة ذلك الى القرآن والسنة وأنه لم يجيء أثر ينص على العدم المتقدم وقد جاء (كان (١) الله ولا شيء معه) والشيء يشمل الجسم والفعل والنوع والآحاد .

فصل

قال : « هذا (٢) الدليل هو الذى أرداهم مازال أمر الناس معتدلا إلى أن دار فى الاوراق فرفعت لوازمه قواعد الايمان وتركوا حق الأدلة وهى فى القرآن ودليلهم لم يأت به الله ولا رسوله بل حدث على لسان جهم وحزبه » .

ينبغى أن يقال لهذا الردى انتصب للدليل حتى يرى ماعنده .

قال « فصل »

فى الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يعبد ولا فوق السموات إله يصلى له ويسجد » .

---

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة عن بريدة وفى رواية ولاشيء غيره .

(٢) وهو القول بأن الجسم لا يخلو من حادث فى الاحتجاج على حدوث العالم وانتهائه الى محدث واجب الوجود منزه عن الجسمية والجسمانيات وهو حجة الله التى آتاها إبراهيم مهما تقولت المجسمة وهذت فى ذلك ، وقد اعترف بتلك الحجة مثل ابن حزم مع كونه ظاهريا فما للناظم لايتابعه فى ذلك وهو يتابعه فى شواذه الباطلة ؟ فلعله اتخذه قدوة فى الباطل دون الحق .

هذا المـدبر يأخذ الـكلام يقلبه كما يقلب الحقائق فانه جعـل مصب كلام خصومه الى نفى الاله وهم أثبتوا الاله ونفوا كونه فوق العرش وقوله (المعطلة) يوهم به أنهم معطلة العالم من الصانع وهو يريد به معطلة الخالق من قيام الفعل الحادث به فما أكثر تلبيسه [١] وتدليسه ومراده بالجهمية (المعتزلة والأشعرية) وليس أحد من المعتزلة اليوم عندنا ظاهراً فلا كلام له إلا مع الأشعرية الذين أكثر الخلق يقتدون بهم يريد تنقيصهم والطعن فيهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

قال : « والله كان وليس شىء [٢] غيره وخلق البرية فسل المعطل هل هي

---

(١) وكيف يرضى العاقل أن يعد من العلماء ــ وهم أمناء الله فى أرضه ــ رجلا كثير الغش لامة محمد صلى الله عليه وسلم كثرة يتعجب منها أئمة الاسلام وليس هذا الغش فى أمر من أمور الدنيا لو كان هذا لهان الامر ولـكنه غش فى صميم الاسلام فليعرف ذلك المغرورون بابن القيم ثم ليعرفوه .

(٢) وهذا يناقض القول بحوادث لاأول لها ودوام الفعل فى جانب الماضى والناظم كم ينقض غزله وله هوى فى إكفار الأمة بكل وسيلة ولا أدرى ماذا يكسب هـذا المتهوس إذا لم يبق من الأمة مسلم سوى مكسرى الحشوية . وبين الصوفية أتقياء أبرار يراعون أدق أوامر الشرع فى جميع شؤونهم ويرون فى الوجود مالا يتنافى مع التكاليف الشرعية كما أن بين المتصوفة زنادقة إباحية وإجراء الـكلام فى حق الفريقين بمجرى واحـد ليس من الانصاف فى شىء وكفى أن ينسب اليهم بعض بدع بدون تسرع فى إكفارهم وقال العلامة يوسف البحرى من أجلة أصحاب السيد مرتضى الزبيدى فيما علقه عـلى (المجموع فى المشهود والمسموع) : إن الواجب له عز الوجوب والعظمة والـكبرياء فهو منزه عن اللواحق المادية والتعطيلات الالحادية وان الممكن له ذل الامكان وحقارة الاحتياج اليه محقور مقهور محتاج اليه تعالى فى وجوده وبقائه وجميع أطواره فلا ينقلب الواجب ممكنا ولا الممكن واجباً بل الواجب خالق قادر غنى والممكن مخلوق عاجز محتاج فـلا يكون أحـدهما عين الآخر وهذا بديهى وبه نزلت

خارج ذاته أو فيها أو هو عينها لا رابع ولذلك قال محقق القوم الذى رفع القواعد هو عين الكون فهو الوجود بعينه إن لم يكن فوق الخلائق اذ ليس يعقل بعد إلا أنه فيها كمقالة النصرانى فاحكم على من قال ليس بخارج ولا داخل بأنه أوقع عليه (١) حد المعدوم فان زعم أن ذاك فى الجسم ، والرب ليس كذا فيقال هذا دعوى واصطلاح اليونان » .

إن أراد بالدعوي نفى الجسمية عن الرب وبالاصطلاح ذلك فقد أظهرما فى نفسه وان أراد أن النفى انما يصدق فى الاجسام والظاهر أنه مراده فلا يقال فيه اصطلاح .

قال : « والشىء يصدق نفيه عن قابل وسواه ولذا ينفى عنه الظلم المحال والنوم والسنة والطعم والولادة والزوجة ، والله وصف الجماد بأنه ميت أصم ونفى عنه الشعور والنطق والخلق وهو لا يقبل ولو سلم أن هذا شرط كان فى الضدين لا فى النقيضين وتفيكم لقبولهما يزيل الامكان وهو كنفى قيامه بالنفس أو بالغير فاذا المعطل قال إن قيامه بالنفس أو بالغير باطل إذ ليس يقبلهما إلا جسم أو عرض فكلاكما ينفى الاله حقيقة ماذا يرد عليه من هو مثله فى النفى صرفا والفرق ليس بممكن لك والخصم يزعم أن ماهو قابل لهما كقابل لمكان فافرق أو اعط القوس باريها وخل القشرة وكثرة الهذيان » .

فهذا قشار كبير ممن لا يعرف الضدين ولا النقيضين ولا الامكان ولا الامتناع ياسبحان الله الدخول والخروج نقيضان أو نفى الوصف بهما يزيل الامكان أو ينفى الاله هذا خلط .

الكتب السماوية وجاء به الأنبياء والمرسلون ودعوا الناس الى اعتقاده وقامت عليه البراهين واتحدت كشوف الأولياء مع طريق النظر فى هذا المطلب اه ثم شرح كيف يضمحل الوجود الامكانى فى نظر المقبل الى الله بكليته .

(٣) من يعلم هذا البجباج النفاج أنواع التقابل والفرق بين الضدين والنقيضين ؟ ومن يفهمه أن الخروج والدخول ضدان لا نقيضان قد يرتفعان عما ليس بجسم بخلاف النقيضين ؟ .

قال : « فصل »

في سياق هذا الدليل على وجه آخر إن نفي المعطل كون الاله خارج الأذهان بالغ في الكفر وإن أقر فان قال انه عين الأكوان قال بالاتحاد وجحد ربه وإن قال غيرها فان قال الخلق في ذاته أو ذاته فيهم فهو قول النصارى وإن قال قائم بنفسه فهو وغيره مثلان أو ضدان أو غيران وعلى التقادير [١] الثلاثة لولا التباين لم يكن شيئان فلذا قلنا إنكم باب من الاتحاد » .

أسمع جعجعة ولا أرى طحنا آخره مطالبة بأن ما ليس في حيز كيف يكون موجوداً .

« فصل »

قال : « ولقد أتانا عشر أنواع من المنقول في فوقية (٢) الرحمن مع مثلها

---

(١) يلوك لسانه مصطلحات أهل المعقول من غير أن يفهم مرادهم ليظهر عند الحق بأنه جامع بين المعقول والمنقول فالغيران إذا اشتركا في تمام الماهية فهما مثلان وإلا فان كانا وجوديين أمكن تعقل أحدهما مع الذهول عن الآخر فهما ضدان والتباين عندهم باعتبار الصدق أو التحقق لا بمعنى البينونة المفيدة إشغال هذا حيزاً غير حيز ذاك والحاصل أنه جعل القسم قسيما وحمل التباين على التباعد بالمسافة وإشغال كل حيزاً غير حيز الآخر وحاول أن يستنتج من الدعوى المجردة ما يدعيه ولو كان المسكين درس الطوالع مثلا قبل أن يخوض في هذه المباحث عند عالم كالاصبهاني لما فضح نفسه بهذيان المحمومين وحق للمصنف أن يقول في ثرثرة الناظم أسمع جعجعة ولا أرى طحناً . لان معنى كلام الناظم : إن نفي المعطل الاله في خارج الاذهان فهو كافر وإن أقر بوجوده بأن قال إنه عين الكون فهو إتحادي ملحد وان قال إنهما مثلان أو ضدان أو غيران بدون اختلاف في الجهات فهو قائل بالاتحاد أيضا . فيا ترى هل لهذا التخريف من معنى عند أهل البصيرة ؟ .

(٢) شيخ الناظم يريد بالفوقية الفوقية الحسية كما صرح به فيما ردنه على الرازي . حيث قال : « إن العرش في اللغة السرير وذلك بالنسبة إلى ما فوقه كالسقف إلى

أيضاً يزيد بواحد، هانحن نسردها بلا كتمان »

أخذ هـذا الخلف السوء يذكر ما قاله شيخـه فى كتاب العرش وكأنه المقصود بهذا النظم فانه أطال فيه .

قال : « هذا ومن عشرين وجها يبطل التفسير باستولى لذى العرفان قـد أفردت بمصنف لامام هذا الشان بحر العالم (١) الحرانى »

ماتحته فاذا كان القرآن جعل لله عرشا وليس هو بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره وذلك يقتضى أنه فوق العرش اهـ» . ومثل هذه الفوقية لا يقول به إلا مجسم ونقل البيهقى فى مناقب أحمـد عن رئيس الحنابلة وابن رئيسها أبى الفضل التميمى أنه قال: « أنكر أحمد على من قال بالجسم وقال إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله تعـالى خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجئ فى الشريعة ذلك فبطل انتهى » . فالناظم وشيخه متقولان على الشرع وعلى اللغة وعلى إماميهما فضلا عن باقى الائمة عاملهما الله بعدله .

(١) بل هو وارث علوم صابئة حران حقاً والمستلف من السلف مايكسوها كسوة الخيانة والتلبيس . وعن هذا الحرانى ـ الذى اتخذه الناظم إماماً ـ يقول ابن حجر فى الدرر الكامنة فى ترجمته : « واستشعر أنه مجتهد فصار يرد عـلى صغير العلماء وكبيرهم ، قديمهم وحديثهم، حتى انتهى الى عمر [ابن الخطاب رضى الله عنه] فخطأه فى شئ فبلغ الشيخ إبراهيم الرقى الحنبلى فأنكر عليه فذهب اليه واعتذر واستغفر وقال فى حق على [كرم الله وجهه] أخطأ فى سبعة عشر شيئا ثم خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجهـا أطول الأجلين وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع فى الأشاعرة حتى أنه سب الغزالى فقام عليه قوم كادوا يقتلونه...وذكروا أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال كنزولى هذا فنسب الى التجسيم . . . وافترق الناس فيه شيعا فمنهم من نسبه إلى التجسيم لما ذكر فى العقيدة الحموية [التى رد عليها ابن جهبل]

والواسطية وغيرهما من ذلك ، كقوله إن اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وأنه مستوعلى العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال : أنا لا أسلم أن التحيز والانقسام من خواص الأجسام فألزم بانه يقول بالتحيز فى ذات الله تعالى ، ومنهم من ينسبه الى الزندقة لقوله : إن النبى صلى الله عليه وسلم لا يستغاث به . لأن فى ذلك تنقيصا ومنعا من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس عليه فى ذلك النور البكرى فانه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين يعزر فقال البكرى لا معنى لهذا القول فانه إن كان تنقيصا يقتل وان لم يكن تنقيصاً لا يعزر ، ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله فى على [كرم الله وجهه] ماتقدم ولقوله انه كان مخذولا حيثما توجه وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها وانما قاتل دون الرياسة لا للديانة وان عثمان [رضى الله عنه] كان يحب المال . ولقوله أبو بكر [رضى الله عنه] أسلم شيخا يدرى مايقول وعلى [كرم الله وجهه] أسلم صبيا والصبى لا يصح اسلامه على قول... ونسب قوم الى أنه كان يسعى فى الامامة الكبرى فانه كان يلهج بذكر تومرت ويطريه فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة وكان إذا حوقق وألزم يقول لم أرد هذا انما أردت كذا فيذكر احتمالا بعيداً اهـ » والدرر الكامنة من محفوظات دار الكتب المصرية وقد طبعت حديثا بمعرفة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن وليس بين هؤلاء من ذكره بالامامة والقدوة فى الدين ومن اتخذه اماما إنما اتخذه اماما فى الزيغ والشذوذ من غير أن يتهيب ذلك اليوم الذى يدعى فيه كل أناس بامامهم ، فليعتبر بذلك من ظن أن ابن حجر العسقلانى فى صف المثنين على إمامته على الاطلاق . وهذا كلام ابن حجر فى هذا الزائغ مع أنه لم يطلع على جميع مخازيه . ومن أثنى عليه من أهل السنة فى مبدأ أمره قبل انكشاف الستر عن بدعه الطامة إنما أثنى عليه تشجيعاً له على العلم لما كانوا يرون فيه فى مبدأ نشأته من القابلية للعلم كما كانوا يفعلون مثل ذلك مع كل ناشئ لكن لما تشعبت هموم ابن تيمية وتوزعت مواهبه فى مختلف الأهواء وضاع صوابه بين أمواج البدع التى ارتضاها لنفسه تراجع كل من أثنى عليه من هؤلاء على توالى فتنه بين الأمة

وتعاقب أهوائه المخزية وانقلبوا اضداده ولولا مغامراته فى شتى العلوم التى يكفى واحد منها ليختص فيه أذكى العلماء لربما برع فى علم يتفرغ له بعزيمة صادقة لكن جنى على نفسه بتشتيت مساعيه وراء أهواء بشعة فأصبح فى موضع هزء البارعين كلما اختبروه فى علم من العلوم التى يدعى الامامة فيها. ومن أمثلة ذلك أن صفى الدين الأرموى المشهور كان طويل النفس فى التقرير إذا شرع فى وجه يقرره لايدع شبهة ولا اعتراضا الا وقد أشار إليه فى التقرير بحيث لايتم التقرير الا ويعز على المعترض مقاومته، وكان حضر حينما جمعت العلماء لاجل النظر فى المسألة الحموية، ولما عقد المجلس لأجل امتحان ابن تيمية مما أورده فى الحموية أخذ الصفى الأرموى يقرر المسألة على طريقته البارعة ليقطع الطرق على ابن تيمية من جميع الوجوه فبدأ ابن تيمية يعجل عليه على عادته ويخرج من شئ إلى شئ على أمل أن ينفق عليه تشغيبه لكن سقط فى يده حيث قال له الصفى الارموى : ما أراك يابن تيمية إلا كالعصفور حيث أردت أن أقبضه من مكان يفر إلى مكان آخر اهـ. وما ابن تيمية فى نظر مثل الارموى إلا كعصفورة فى العلم وإن اتخذه الجهلة الأغرار اماماً بأن نبذوا الائمة المتبوعين وراء ظهورهم حيث راجت عليهم ثرثرته الفارغة ولاغرو فان لكل ساقطة لاقطة والطير على أشكالها تقع. والمسألة الحموية هذه تتضمن القول بالجهة وحبس ابن تيمية بعد هذا المجلس بسبب هذه المسألة ونودى عليه فى البلد وعلى أصحابه وعزلوا من وظائفهم وهذه المسألة هى التى رد عليها العلامة ابن جهبل رداً مشبعا، وقد علمت بذلك قيمة علم ابن تيمية عند البارعين من أهل العلم. وههنا لابد من التنبيه على شئ وهو أنى كنت كتبت فيما علقت على دفع الشبه لابن الجوزى فى (ص٤٧) : (بل يروى عنه نفسه أعنى ابن تيمية) أنه نزل درجة وهو يخطب على المنبر فى دمشق وقال : « ينزل الله كنزولى هذا » على ما أثبته ابن بطوطة من مشاهداته فى رحلته . وقال الحافظ ابن حجر فى (الدرر الكامنة) : ذكروا أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال : « كنزولى هذا » فنسب إلى التجسيم اهـ) وهنا انتهى ماعلقته على الموضع المذكور

وأما ما زاد على ذلك وهو : « ويقول بعض علماء دمشق بأنه رأى هذه الخطبة

المصنف المذكور هو كتاب العرش لابن تيمية [1] وهو من أقبح كتبه ولما

في مخطوط قديم بزيادة (لا) قبل (كنزولي) والله أعلم . فزيادة من الاستاذ الناشر اعتماداً على ما سمعه من الشيخ بدران الدوماني كأنه لم يكن يعرف مبلغ اجترائه على المجازفات وارسال الكلام بدون ميزان ولم تكن الجماعة تعتقد أن نزول الله كنزول ابن تيمية حتى يكون لهذا الكلام معنى ما ولأجل ما زيد في كلامي هنا نكت الشيخ خضر الشنقيطي رحمه الله على في (استحالة المعية) وانا برئ من تلك الزيادة سامحه الله .

(١) وقد استتيب مرات في أمور خطرة وهو ينقض مواثيقه وعهوده في كل مرة وأوردت هنا صورة من صيغ استتابته كما هي مسجلة في (نجم المهتدي) لتكون عبرة للمعتبر وهي هذه :

« الحمد لله . الذي أعتقده أن القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وليس هو حالا في مخلوق أصلا لا ورق ولا حبر ولا غير ذلك ، والذي أعتقده في قوله « الرحمن على العرش استوى » أنه على ما قال الجماعة الحاضرون وليس على حقيقته وظاهره ولا أعلم كنه المراد به بل لا يعلم ذلك إلا الله ، والقول في النزول كالقول في الاستواء أقول فيه ما أقول فيه لا أعرف كنه المراد به بل لا يعلم ذلك إلا الله وليس على حقيقته وظاهره كما قال الجماعة الحاضرون وكل ما يخالف هذا الاعتقاد فهو باطل وكل ما في خطي أو لفظي مما يخالف ذلك فهو باطل وكل ما في ذلك مما فيه اضلال الخلق أو نسبة مالا يليق بالله اليه فأنا برئ منه فقد برئت منه وتائب الى الله من كل ما يخالفه . كتبه أحمد بن تيمية ، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة .

وكل ما كتبته وقلته في هذه الورقة فأنا مختار في ذلك غير مكره. كتبه أحمد بن تيمية حسبنا الله ونعم الوكيل » ؟

وبأعلى ذلك بخط قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ماصورته : اعترف عندي بكل ما كتبه بخطه في التاريخ المذكور ؟ كتبه محمد بن إبراهيم الشافعي وبحاشية الخط : اعترف بكل ما كتب بخطه ؟ كتبه عبد الغني بن محمد الحنبلي

وبآخر خط ابن تيمية رسوم شهادات هذه صورتها : كتب المذكور بخطه أعلاه بحضوري واعترف بمضمونه ؟ كتبه أحمد بن الرفعة .

صورة خط آخر : أقر بذلك ؟ كتبه عبد العزيز النمراوي .

صورة خط آخر : أقر بذلك كله بتاريخه ؟ على بن محمد بن خطاب الباجي الشافعي .

صورة خط آخر : جرى ذلك بحضوري في تاريخه ؟ كتبه الحسن بن أحمد بن محمد الحسيني .

وبالحاشية أيضا ما مثاله : كتب المذكور أعلاه بخطه واعترف به ؟ كتبه عبد الله بن جماعة .

مثال خط آخر : أقر بذلك وكتبه بحضوري ؟ محمد بن عثمان البوريجي .

وكل هؤلاء من كبار اهل العلم في ذلك العصر، وابن الرفعة وحده له (المطلب العالي في شرح وسيط الغزالي) في أربعين مجلداً وفي ذلك عبر . ولولا أن ابن تيمية كان يدعو العامة الى اعتقاد ضدما في صيغة الاستتابة هذه بكل ما أوتي من حول وحيلة لما استتابه أهل العلم بتلك الصيغة وما اقترحوا عليه أن يكتب بخطه ما يؤاخذ به إن لم يقف عند شرطه ، وبعد أن كتب تلك الصيغة بخطه توج خطه قاضي القضاة البدر بن جماعة بالعلامة الشريفة وشهد على ذلك جماعة من العلماء كما ذكرنا ، وحفظت تلك الوثيقة بالخزانة الملكية الناصرية، لكن لم تمض مدة على ذلك حتى نقض ابن تيمية عهوده ومواثيقه كما هو عادة أئمة الضلال وعاد الى دعوته الضالة ورجع الى عادته القديمة في الاضلال وكم له من فتن في مختلف التواريخ * في سني ٦٩٨ و ٧٠٥ و ٧١٨ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٦ وهي مدونة في كتب التواريخ وفي كتب خاصة ، ومجرد تصور شواذه التي ألممنا ببعضها في هذا الكتاب يدل المسترشد المنصف على ما ينطوي عليه من الزيغ وإضلال الأمة والله سبحانه ينتقم منه .والغريب أن أتباع هذا الرجل يسيرون وراءه ويتشبهون به في إثارة القلاقل والفتن بين الامة بمواجهتها بالحكم على أفرادها بالشرك والزيغ والكفر وعبادة الأوثان والطواغيت يعنون احباب الله الانبياء والاولياء يقولون ان من يزورهم يكون عابد الأوثان والطواغيت ومن هذا الطراز في زمننا كثير نراهم بأعيننا ونسمعهم بآذاننا طهر الله الأرض منهم وأراح العباد من شرهم .

وقف عليه الشيخ أبو حيان [1] مازال يلعنه حتى مات بعد أن كان يعظمه .
قال : « منها استوى [2] فى سبع آيات بغير لام ولو كانت بمعنى استولى لجاءت فى موضع » .

(١) قال أبو حيان الأندلسي الحافظ فى تفسير قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) : وقد قرأت فى كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذى عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب العرش « إن الله يجلس على الكرسى وقد أخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تحيل عليه محمد بن على بن عبد الحق وكان من تحيله أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب وقرأنا ذلك فيه » كما ترى ذلك فى النسخ المخطوطة من تفسير أبى حيان وليست هذه الجملة موجودة فى تفسير البحر المطبوع وقد أخبرنى مصحح طبعه بمطبعة السعادة أنه استفظعها جداً وأكبر أن ينسب مثلها الى مسلم فحذفها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين ، ورجانى أن أسجل ذلك هنا استدراكا لما كان منه ونصيحة للمسلمين .

وقد علمت المواتق فى خدورهن حكاية هجر أبى حيان لابن تيمية لهذا السبب بعد ان كان تسرع فى إطرائه واطراؤه مدون فى الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقى وأما تقول بعض المداهنين بأنه إنما كان هجره لوقوعه فى سيبويه حيث قال : أكان سيبويه نبى النحو وقد غلط فى كيت وكيت . فرجم بالغيب أمام تصريح أبى حيان صاحب القصة نعم هذا تهور وقلة أدب من ابن تيمية وماهى قيمة نحوه فى جانب استبحار سيبويه وأبى حيان فى النحو وإن كان لكل إمام غلطات معدودة فى علمه لكن وقوعه فى سيبويه فى جنب الوقوع فى الله سبحانه ليس بشىء مذكور فحمل هجره الدائم على خلاف ما ذكره الهاجر ليس شأن من يخاف الله ، ويتوخى مراضيه. بل ذلك شأن المخدوعين المفتونين.

(٢) ويقال لهذا المتعالم بل لو كان (استوى) بمعنى (جلس) لأتى لفظ (جلس) فى أحد المواضع السبعة

ومما يقصر المسافة فى الرد على الحشوية التى تدعى التمسك بالظاهر أن قوله تعالى (ثم استوى)صيغة فعل مقرونة بما يدل على التراخى وذلك يدل على أن

وهذا الذي قاله ليس بلازم فالمجاز قد يطرد وحسنه أن لفظ استوى أعذب وأخصر وليس هـذا من الاطراد الذي يجعله بعض الأصوليين من علامة الحقيقة فإن ذلك هو الاطراد في جميع موارد الاستعمال والذي حصل هنا اطراد استعمالها في آيات فأين أحدهما من الآخر ثم إن استوي وزنه افتعل فالسين فيه أصلية واستولى وزنه استفعل فالسين فيه زائدة ومعناه من الولاية فهما مادتان متغايرتان في اللفظ والمعنى والاستيلاء قـد يكون بحق وقد يكون بباطل والاستواء لا يكون إلا بحق والاستواء صفة للمستوى في نفسه بالكمال والاعتدال والاستيلاء صفة متعدية إلى غيره فلا يصح أن يقال استولى حتى يقول على كذا ويصح أن يقول استوى ويتم الكلام فلو قال استولى لم يحصل المقصود ومراد المتكلم الذي يفسر الاستواء بالاستيلاء التنبيه على صرف اللفظ عن الظاهر الموهم للتشبيه واللفظ قد يستعمل مجازاً في معنى لفظ آخر ويلاحظ معه معنى آخر في لفظ المجاز لو عبر عنه باللفظ الحقيقي لاختل المعنى وقـد يريد المتكلم أن الاستواء من صفات الأفعال كالاستيلاء المتمحض للفعل من كل وجه ويكون السبب في لفظة الاسـتواء عـذوبتها واختصارها فقط دون ما ذكرناه ولكن ما ذكرناه أحسن وأمكن مع مراعاة معنى الاستيلاء . وانظر قول الشاعر :

قد استوي قيس على العراق من غير سيف ودم مهراق

ولو أتى بالاستيلاء لم يكن له هذه الطلاوة والحسن والمراد بالاستواء كمال

الاستواء فعل له تعالى متقيد بالزمن وبالتراخي شأن سائر الافعال وعد ذلك صفة إخراج للكلام عن ظاهره وهذا ظاهر جداً ولم يرد (المستوى) في عداد أسماء الله الحسنى لا في الكتاب ولا في السنة حتى يصح اطلاقه على الذات العلية على أن يكون صفة أو علما . وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا تحدث له صفة فلا مجال لعد ذلك صفة وقد ذكرت وجه حسن الاستعارة التمثيلية في الآية (في لفت اللحظ إلى ما في الاختلاف في اللفظ) ولعل القارئ المنصف يكاد يعد ذلك متعينا ولا حاجة إلى إعادة ما هناك ، فليراجع ثمة

الملك هو مراد القائلين بالاستيلاء ولفظ الاستيلاء قاصر عن تأدية هذا المعنى فالاستواء فى اللغة له معنيان أحدها استيلاء بحق وكمال فيفيد ثلاثة معان ولفظ الاستيلاء لايفيد إلا معنى واحداً فاذا قال المتكلم فى تفسير الاستواء الاستيلاء مراده المعانى الثلاثة وهو أمر يمكن فى حق الله سبحانه وتعالى فالمقدم على هذا التأويل لم يرتكب محذوراً ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه والمفوض المنزه لا يقدم على التفسير بذلك لاحتمال أن يكون المراد خلافه وقصور أفهامنا عن وصف الحق سبحانه وتعالى مع تنزيهه عن صفات الأجسام قطعاً ، والمعنى الثانى للاستيلاء فى اللغة الجلوس والقعود ومعناه مفهوم من صفات الأجسام لا يعقل منه فى اللغة غير ذلك والله تعالى منزه عنها، ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئاً لم تشهد به اللغة فيكون باطلا وهو كالمقر بالتجسيم (١) المنكر له فيؤاخذ باقراره ولايفيد إنكاره واعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلا وأبداً ولكن العرش وما تحته حادث فان وقوله ثم استوى على العرش لحدوث العرش لالحدوث الاستواء .

فصل

قال : « وثانيها لفظ العلى والأعلى (٢) والعلو بمطلقه عام ونفيه نقص

---

(١) والاقرار بتجويز الجسمية بكل صراحة موجود فى كلام شيخه فيما رد به على الفخر الرازى كما سبق ، بل لصاحب الفرج بعد الشدة الشيخ محمد المنبجى الحنبلى من أخص تلاميذ الناظم رسالة فى الرد على من ينفى المماسة بكل وقاحة، وما تخفى صدور هؤلاء أكبر فالمؤمن الرشيد يجب عليه أن يتوقى من الوقوع فى هاويتهم والمسألة مسألة كفر وإيمان وسننقل نصوصاً من الكتابين المذكورين فى مواضع تحذيراً للمغترين

(٢) العلو ومشتقاته من صفات التنزيه تعالى الله عما يصف به المجسمة، والحمل على علو المكان نزعة وثنية قال ابن تيمية فى التأسيس : « والبارى سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة كما أن التقدم على الشىء

وعلوه فوق الخليقة كلها فطرت عليه الخلق » فيقال أسماء الله قديمة فان لزم من العلى والأعلى كونه فوق جسم لزم قدم العالم والذى فطرت عليه والبديهة التعظيم إلى أعلى غاية .

فصل

قال : « وثالثها صريح الفوق (٣) مصحوبا بمن وبدونها أحدهما قابل للتأويل

قد يقال إنه بمجرد الرتبة كما يكون بالمكان مثل تقدم العالم على الجاهل وتقدم الامام على المأموم فتقدم الله على العالم ليس بمجرد ذلك بل هو قبلية حقيقية وكذلك العلو على العالم قد يقال انه يكون بمجرد الرتبة كما يقال العالم فوق الجاهل وعلو الله على العالم ليس بمجرد ذلك بل هو عال عليه علوا حقيقياً وهو العلو المعروف والتقدم المعروف اهـ » . فهل يشك عاقل ان ابن تيمية يريد بذلك الفوقية الحسية والعلو الحسى تعالى الله عما يأفكون . واستعمال العلو ومشتقاته فى اللغة العربية بمعنى علو الشأن فى غاية من الشهرة رغم تقول المجسمة.

(٣) ينص شيخه فى كتابه المذكور على أن المراد بالفوقية الفوقية الحسية فكأنه لم يتل فى كتاب الله (يد الله فوق أيديهم) و (وفوق كل ذى علم عليم)؛ والمراد بالفوقية فوقية العزة والقهر والتنزه . (والله فوق ذلك) فى حديث الترمذى بمعنى أنه يعلو عن مدارك البشر بدليل مافى سنن الترمذى أيضا من حديث (لودليتم) قال ابن جهبل : الفوقية ترد لمعنيين أحدهما نسبة جسم الى جسم بان يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل بمعنى أن أسفل الأعلى من جانب رأس الاسفل ، وهذا لايقول به من لايجسم وثانيهما بمعنى المرتبة كما يقال الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الأمير وكما يقال جلس فلان فوق فلان والعلم فوق العمل والصياغة فوق الدباغة قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ولم يطلع أحدهم فوق أكتاف الآخر وقال تعالى عن القبط (وإنا فوقهم قاهرون) وما ركبت القبط أكتاف بنى إسرائيل ولا ظهورهم اهـ . فظهر بذلك بطلان التمسك بكلمة فوق فى الآيات والأحاديث فى اثبات الجهة له تعالى تعالى الله عن مزاعم المجسمة .

والأصل الحقيقة والمجرور لا يقبل التأويل وأصح لفائدة جليل قدرها إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدى المراد أضحى كنص قاطع » .

فيقال المجرور أولى بالتأويل لأن قوله يخافون ربهم من فوقهم يحتمل أن المراد خوفاً من فوقهم وليس فى سياق الكلام ما يبدى المراد الذى ادعاه بأين الفائدة ؟ . والفوقية بمعنى القهر وعلو القدر متفق عليها والجهة هى عين النزاع ويلزم منها قدم الجهة .

فصل

قال : « ورابعها عروج الروح والملائكة فى سورتى السجدة والمعارج قالوا هما بزمان وعندى يوم واحد عروجهم فيه إلى الديان فالألف مسافة نزولهم وصعودهم إلى السماء الدنيا والخمسون ألفا من العرش إلى الحضيض الأسفل » .

فيقال له فى الآيتين (اليه) فعلى قوله يكون الله فى مكانين أحدهما فى السطح التحتانى من السماء الدنيا لأنه نهاية الألف والثانى فى العرش ثم إن المسافة إذا فصلت على أن بين السماء والأرض خمسمائة عام وكذا ثخانة كل سماء وما بين كل سماء وسماء لا يبلغ هذا المقدار وهذا لا يتعلق بغرضنا والمتعلق بغرضنا إلزامه بظاهر قوله (إليه) مع التزامه أن الغاية فى المكان (وكون ما بين السماء والأرض خمسمائة عام روى بطرق ضعيفة وفى الترمذى من رواية العباس فى حديث الأوعال اما واحدة واما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة وهو يوافق قول أهل الهيئة وهذا يرجح أنهما يومان أحدهما فى الدنيا إلى العرش ألف سنة والثانى يوم القيامة خمسون ألف سنة من الشدة وقد جاء أن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين مائة عام فى رواية وفى رواية كما بين السماء والأرض وكلاهما فى الترمذى والفردوس أعلى الجنة وفوقه العرش فهذه المسافة أكثر من عشرة آلاف سنة [1]) .

---

(١) ما بين القوسين فى هامش الأصل .

فصل

قال : «وخامسها صعود كلامنا [١] والصدقة والحفظة والسعي والمعراج(٢) وعيسى وروح المؤمنين ودعاء المضطر ودعاء المظلوم » .

وقال فى المعراج : « وقد دنا منه إلى أن قدرت قوسان » .

وقد علم كل واحد اختلاف المفسرين فى قوله (ثم دنا فتدلى) فيكف يستدل به وعيسى فى السماء الرابعة ليس على العرش ، ورفع الصدقة والكلام وشبههما من المعانى ليس بالانتقال من مكان إلى مكان لأن المعانى لا تنتقل .

فصل

قال : « وسادسها وسابعها النزول (٣) والتنزيل » .

---

(١) قال ابن جهبل : الصعود كيف يكون حقيقة فى الكلام ؟ مع أن الصعود فى الحقيقة من صفات الأجسام فليس المراد إلا القبول اهـ وهذا ظاهر جداً .

(٢) قال ابن جهبل : لم يرد فى حديث المعراج أن الله فوق السماء أو فوق العرش حقيقة ولا كلمة واحدة من ذلك وهو لم يسرد حديث المعراج ولا بين وجه الدلالة منه حتى نجيب عنه فلو بين وجه العرفناه لدلالة كيف الجواب اهـ

(٣) قاتل الله الجهل ما أفتكه فمن الذى يجهل استمرار الثلث الأخير من الليل فى البلاد باختلاف المطالع حتى يحمل النزول إلى السماء الدنيا على النزول الحسى ، وقد حمل حماد بن زيد النزول فى الحديث على معنى الاقبال ومن أهل العلم من حمل الحديث على أن الاسناد فيه مجازى من قبيل الاسناد الى السبب الآمر ويؤيده حديث أبى هريرة فى سنن النسائى وفيه (ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فيستجاب له) . وليس فى استطاعة من يخاف الله غير أن يفوض معنى النزول إلى الله مع التنزيه أو أن يحمل الحديث على المجاز فى الطرف أو فى الاسناد بل الأخير هو المتعين لحديث النسائى المذكور فيخرج حديث النزول من عداد أحاديث الصفات بالمرة عند من فكر وتدبر تعالى الله عن النقلة التى يقول بها المجسمة .

وتنزيل القرآن لنزول جبريل به من جهة العلو .

فصل

قال : « وثامنها رفيع الدرجات وفعيل بمعنى المفعول » .

ما بقى من تخلف هذا النحس إلا أن يجعل لله سلماً يصعد وينزل فى درجاته تعالى الله عما يقول . يحمل على اللفظ فوق ما يحتمله ويفهم منه غير مراده فسحقاً له .

فصل

« وتاسعها فوق السماء (١) » .

فصل

قال : « وعاشرها الملائكة الذين هم عند الرحمن وكتاب رحمته عنده فوق العرش وسائر الأشياء ليست كذلك » .

من هم الملائكة الذين هم معه فى المكان وجبريل يتأخر عن المكان الذى وصل اليه النبى صلى الله عليه وسلم ؟ .

فصل

قال : « وحادى عشرها إشارة النبى صلى الله عليه وسلم بأصبعه فى الموقف لله (٢) » .

---

(١) يريد حديث الرقية وفى لفظ الناظم تغيير للفظ الحديث وسيأتى بيان ذلك والرد عليه .

(٢) أين فى الحديث ذكر الاشارة إلى الله ؟ وهكذا تكون امانة مثل الناظم وشيخه فى النقل ؟ وهل صدر منه صلى الله عليه وسلم فى خطبة عرفات سوى أن رفع أصبعه ثم نكبها اليهم وهل فى ذلك دلالة على أن رفعه كان ليشير به إلى جهة الله سبحانه ؟ تعالى الله عن ذلك . والخطيب يرفع يده وينكبها كيف يشاء فى أثناء خطبته . وجعل ذلك حجة فى شئ لايصدر إلا ممن فى قلبه مرض على أن الأرض كرية فالواقف فى شرق الأرض تكون إخمصه

جوابه إن القلب متوجه الى الرب العالي قدراً وقهراً على كل شيء والاشارة الى جهة العلو التي هي محل ملكه وسلطانه وملائكته والعليين عن خلقه ، وقبلة دعائه ومنزل وحيه وهكذا رفع (١) الأيدي في الدعاء .

فصل

قال : « وثاني عشرها وصفه تعالى بالظاهر وفسر في الحديث (أنت الظاهر فليس فوقك شيء) » .

يقال لهذا المدبر إن كان الظاهر يقتضي الفوقية الحسية فاسم الباطن يقتضي التحتية الحسية تعالى الله .

فصل

قال : « وثالث عشرها إخباره أنا نراه في الجنة وهل نراه إلا من فوقنا (٢) :

في مقابلة إخمص الواقف في غرب الأرض ومن ضرورة ذلك أن يكون ممتنا رأسيهما إلى جهتين متعاكستين فتكون إشارة أحدهما إلى جهة تعاكس الجهة التي يشير إليها الآخر وهكذا وكرية الأرض منصوصة في الكتاب والسنة كما في فصل ابن حزم والمنكر لذلك ليس بمنكر لقول أهل الهيأة فقط ، ولا للمحسوس فقط . ونسي الناظم الاستدلال في هذا الصدد بالاشارة في التشهد !!!

(١) ورفع الأيدي إلى السماء لأجل أن السماء منزل البركات والخيرات لأن الأنوار إنما تنزل منها والأمطار وإذا ألف الأنسان حصول الخيرات من جانب مال طبعه إليه فهذا المعنى هو الذي أوجب رفع الأيدي إلى السماء وقال الله تعالى (وفي السماء رزقكم وماتوعدون) ذكره ابن جهبل فيما رد به على العقيدة الحموية لابن تيمية وهذا الرد يحق أن يكتب بماء الذهب ، ومن حاول الرد عليه من الحشوية فقد وقع على أم رأسه وكتاب ابن جهبل حقه أن يفرد بالطبع من طبقات ابن السبكي ــ ونسخة مخطوطة من كتاب ابن جهبل هذا توجد بمكتبة (لاله لي) باصطنبول .

(٢) قال : « إذ رؤية لا في مقابلة من الرائي محال ليس في الامكان » . وهذا صريح في أنه لا يرى رؤية لا يكون المرئي فيها في مقابلة الرائي فلا يكون

ودعوى سواها مكابرة ولذا قال محقق منكم للمعتزلة ما بيننا خلف فاحملوا معنا على المجسمة إذ قالوا يرى كما يرى القمران فيلزمهم العلو وليس فوق العرش رب هذا الذي والله مودع كتبهم » .

ينبغي أن يحضر هذا النحس ويلزم بأن يخرج من كتبهم أنه ليس فوق العرش رب ولن يجده فى كتبهم أبداً وتوهمه أنه لا يرى إلا من فوق لقصور

أصرح من هذا فى القول بالتجسيم ومن جملة مايهذى به الناظم فى شفاء العليل (ص ١٥٩): « كيف يصح عند ذى عقل ، مرئى يرى بالأبصار عيانا لا فوق الرائى ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه ولا أمامه اهـ وهذا مثل ماهنا وهو من أبعد الناس عن نفى الرؤية فيكون مجسما صريحا ورؤية الله كما يرى القمر فى ليلة البدر يقول عنها ابن قتيبة فى (الاختلاف فى اللفظ) لم يقع التشبيه فيها على حالات القمر من التدوير والمسير والحدود وغير ذلك وإنما وقع التشبيه فى أن إدراكه يوم القيامة كادراكنا القمر ليلة البدر لا يختلف فى ذلك كما لا يختلف فى هذا والعرب تضرب بالقمر المثل فى الشهرة والظهور اهـ فعار على الناظم وشيخه أن يغيب عنهما مالم يغب عن مثل ابن قتيبة لكن الهوى يعمى ويصم ، وكلامهما ينبئ عن تشبيه المرئى بالمرئى بل عادة ابن تيمية تهوين شأن التشبيه حتى تجده يقول فيما رد به على الرازى (٢٤ـ الكواكب) « ليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين ولا الأكابر من أتباع التابعين ذم المشبهة وذم التشبيه ونفى مذهب التشبيه ونحو ذلك وإنما اشتهر ذم هذا من جهة الجهمية اهـ » كأنه لم يتل قوله تعالى (ليس كمثله شئ) وقوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وهو الذى يروى عن ابن راهويه فى موضع آخر من ذلك الكتاب (من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم) ويروى أيضا مثله عن نعيم بن حماد فى موضع آخر وهو من أئمتهم بل يروى عن الامام أحمد نفسه (لا يشبهه شئ من خلقه) فى موضع آخر من كتابه المذكور وهذا مما يدل على وقاحته البالغة وقلة دينه، وهل أدل على قلة عقل الرجل من تناقضه فى كتاب واحد ؟ والله ينتقم منه .

عقله. ونقله اتفاقنا مع المعتزلة لعدم فهمه بل بيننا وبينهم وفاق وخلاف فقوله ما بيننا وبينكم خلف كذب علينا .

فصل

قال : « ورابع عشرها أين الله فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث معاوية بن الحكم وفى تقريره لمن سأله رواه أبو رزين » .

أقول اما القول فقولهُ صلى الله عليه وسلم للجارية « أين[1] الله ؟ قالت فى

---

(١) وراوى هذا الحديث عن ابن الحكم هو عطاء بن يسار وقد اختلفت ألفاظه فيه ففى لفظ له « فمد النبى صلى الله عليه وسلم يده إليها وأشار إليها مستفهما من فى السماء الحديث » فتكون المحادثة بالاشارة على أن اللفظ يكون ضائعا مع الخرساء الصماء فيكون اللفظ الذى أشار اليه الناظم والمؤلف لفظ أحد الرواة على حسب فهمه لا لفظ الرسول عليه السلام . ومثل هذا الحديث يصح الأخذ به فيما يتعلق بالعمل دون الاعتقاد ولذا أخرجه مسلم فى باب تحريم الكلام فى الصلاة ـ دون كتاب الايمان ـ حيث اشتمل على تشميت العاطس فى الصلاة ومنع النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، ولم يخرجه البخارى فى صحيحه وأخرج فى جزء خلق الافعال ما يتعلق بتشميت العاطس من هذا الحديث مقتصراً عليه دون مايتعلق بكون الله فى السماء بدون أى إشارة إلى أنه اختصر الحديث وليس فى رواية الليثى عن مالك لفظ (فانها مؤمنة). وأما عدم صحة الاحتجاج به فى إثبات المكان له تعالى فللبراهين القائمة فى تنزه الله سبحانه عن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات قال الله تعالى (قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله) وهذا مشعر بأن المكان وكل ما فيه ملك لله تعالى وقال تعالى (وله ما سكن فى الليل والنهار) وذلك يدل على ان الزمان وكل ما فيه ملك لله تعالى ، فهاتان الآيتان تدلان على أن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات كلها ملك لله تعالى وذلك يدل على تنزيهه سبحانه عن المكان والزمان كما فى أساس التقديس للفخر الرازى ، ولأن الحديث فيه اضطراب سنداً ومتناً رغم تصحيح الذهبى وتهويله راجع طرقه

السماء ». وقد تكلم الناس عليه قديما وحديثا والكلام عليه معروف ولا يقبله.

في كتاب العلو للذهبي وشروح الموطأ وتوحيد ابن خزيمة حتى تعلم مبلغ الاضطراب فيه سنداً ومتناً ، وحمل ذلك على تعدد القصة لا يرضاه أهل الغوص في الحديث والنظر معاً في مثل هذا المطلب . فالروايات عن رجل مبهم محمولة على ابن الحكم ، ولم يصح حديث كعب بن مالك ولا حديث يروى عن امرأة ، فمالك يرويه عن عمر بن الحكم غير مقر بأن يكون غالطاً فيه ومسلم عن معاوية بن الحكم ولفظهما كما سبقت الاشارة اليه مع نقص لفظ (فإنها مؤمنة) في رواية مالك . ولفظ ابن شهاب في موطأ مالك عن أنصاري — وهو صاحب القصة في الرواية الاولى — (فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت نعم قال أتشهدين أن محمداً رسول الله؟ قالت نعم) وأين هذا من ذاك ؟ . وستعرف حال الذهبي في أواخر الكتاب فلا تلتفت الى تهويله وتحريفه في هذا الباب فلعل لفظ (أين الله) تغيير بعض الرواة على حسب فهمه . والرواية بالمعنى شائعة في الطبقات كلها وإذا وقعت الرواية بالمعنى من غير فقيه فهناك الطامة وصاحب القصة لم يكن من فقهاء الصحابة ولا له سوى هذا الحديث في التحقيق بل كان أعرابيا يتكلم في الصلاة . على أن (أين) تكون للسؤال عن المكان وللسؤال عن المكانة حقيقة في الاول ومجازاً في الثاني او حقيقة فيهما قال ابو بكر ابن العربي في شرح حديث أبي رزين في العارضة : المراد بالسؤال بأين عنه تعالى المكانة فان المكان يستحيل عليه وأين مستعملة فيه وقيل ان استعمالها في المكان حقيقة وفي المكانة مجاز وقيل هما حقيقتان وكل جار على أصل التحقيق مستعمل على كل لسان وعند كل فريق ا هـ وقال أبو الوليد الباجي في المنتقى يقال مكان فلان في السماء بمعنى علو حاله ورفعته وشرفه فلعل الجارية تريد وصفه بالعلو وبذلك يوصف كل من شأنه العلو ا هـ فيكون معنى (أين الله) ما هي مكانة الله عندك ومعنى (في السماء) أنه تعالى في غاية من علو الشأن فيتحد هذا المعنى مع معنى (أتشهدين أن لا إله إلا الله قالت نعم) فان قيل فليكن لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم هو (أين الله) ولفظ الراوي هو (أتشهدين . . .) رواية بالمعنى على الصورة

ذهن هذا الرجل لأنه مشاء على بدعه لايقبل غيرها؟وأما حديث أبى رزين(١) السابقة فالجواب أنه لم يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تلقين الايمان طول أداء رسالته السؤال بأين أو ذكر مايوهم المكان ولا مرة واحدة فى غير هذه القصة المضطربة بل الثابت هو تلقين كلمة الشهادة فاللفظ الجارى على الجادة أجدر بأن يكون لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم على ان المحقق السيد الشريف الجرجانى أجاز فى شرح المواقف أن يكون السؤال للاستكشاف عن معتقد الجارية هل هى عابدة وثن أرضى أم هى مؤمنة بالله رب السموات. ومن أهل العلم من يعد العامى معذوراً فى اللفظ الموهم اعتداداً بأصل اعتقاده بالله سبحانه وإن أوهم بعض ايهام فى وصفه تعالى واليه يشير القرطبى فى المفهم فى شرح حديث الجارية فى صحيح مسلم قال ابن الجوزى : قد ثبت عند العلماء أن الله لا تحويه السماء ولا الأرض ولا تضمه الأقطار وانما عرف باشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها اهـ وعلى تقدير ثبوت لفظ (أين) فالمعنى الذى ذكره الباجى وابن العربى معنى لا حيدة عنه أصلا وجلالة مقدار هذين الامامين فى الحديث واللغة وأصول الدين والفقه لا يجحدها إلا الجاهلون وقول ذلك الصحابى الذى كان يبغى فوق السماء مظهراً، من الأدلة على ما أشار اليه الباجى.

(١) وأما حديث أبى رزين ففى سنده حماد بن سلمة مختلط وكان يدخل فى حديثه ربيباه ماشاءا وليس فى استطاعة ابن عدى ولا غيره إبعاد هذه الوصمة عنه ويعلى بن عطاء تفرد به عن وكيع بن حدس او عدس وهو مجهول الصفه وهو تفرد عن أبى رزين ولا شأن للمنفردات والوحدان فى إثبات الصفات فضلا عن المجاهيل وممن به اختلاط فليتق الله من يحاول أن يثبت به صفة لله. وقد سئم أهل العلم من كثرة ما يرد بطريق حماد بن سلمة من الروايات الساقطة فى صفات الله سبحانه، وقد روى أبو بشر الدولابى الحافظ عن ابن شجاع عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن مهدى انه قال: «كان حماد بن سلمة لايعرف بهذه الاحاديث حتى خرج خرجة الى عبادان فجاء وهو يرويها، فلا أحسب إلا شيطانا خرج اليه فى البحر فألقاها اليه اهـ». وماذا يجدى تحمس ابن

عدى فى الدفاع عنه والرد على محمد بن شجاع الامام افتراء منه عليه ؟ وابن شجاع هذا مات فى صلاة العصر وهو ساجد ولا مغمز فى علمه وثقته وورعه الا أنه كان يقف فى القرآن ولا يقول إنه مخلوق أوغير مخلوق لعدم ورود هذا وذاك نصافى الكتاب والسنة وألف كتابا فى الرد على المشبهة وهذا ذنب لا يغتفر عندهم . وانما يدل هذا التحمس على خبيء لا بن عدى الذى لم يتعلم من العربية ما يقوم به لسانه ويصونه من اللحون الفاضحة وأنى لمثله أن يقوم فكره حتى يتخذ قدوة ؟ وكان ابن شجاع يحذر الرواة من الأخذ بروايات تالفة أدخلها الوضاعون على بعض شيوخ الرواية فيرد عليه عثمان بن سعيد الدارمى المجسم قائلا كيف يجد الوضاعون سبيلا الى الادخال على شيوخ فى الرواية ؟ وابن عدى يعكس الأمر ويجعل الذى يدخل عليهم هو ابن شجاع بدون أى دليل وبدون سوق أى سند كما هو شأن المتقولين وله مع ثقات الرواة وأئمة الأمة فى الفقه الذين تكلم فيهم موقف فى يوم القيامة، لا يغبط عليه، والعقيلى على تعنته لم يذكره فى كتابه ـ وحديث إجراء الخيل كان ذائعاً بين شيوخ الرواية من الحشوية حتى يشكو من ذلك ابن قتيبة مر الشكوى فى (الاختلاف فى اللفظ) وهو معاصر لابن شجاع وكذلك خرجه ابو على الاهوازى بسنده بطريق حماد بن سلمة . وقول الحاكم (أنبأنا إسماعيل بن محمد الشعرانى أنه قال : بلغت عن محمد بن شجاع عن حبان بن هلال عن حماد ابن سلمة) لا يمكن اتخاذه حجة فى كون هذا الخبر مرويا عن حماد بن سلمة بطريق ابن شجاع منفرداً به لأن بين الشعرانى وبين ابن شجاع نحو مائة سنة فلا يقل الساقط من الرجال من بينهما عن نحو ثلاثة ، هكذا يفضح الله من يتطاول على الأئمة. راجع ما علقناه على تبيين كذب المفترى فى (ص ٣٦٩) ومن اطلع على كتاب (نقض عثمان بن سعيد على الجهمى العنيد) الجارى طبعه يعرف سبب مقت الحشوية لهذا الامام الجليل ، بل يكفى فى معرفة حال حماد ابن سلمة الاطلاع على كتب الموضوعات المبسوطة ، فى باب التوحيد منها خاصة فيرى فيها القارىء أخباراً تالفة رويت بطريقه بكثرة بل ما سرده ابن عدى نفسه فى الكامل فى ترجمة حماد هذا من الأحاديث التالفة المروية بطريقه

كاف فى معرفه سقوط مايروى بطريقه فى الصفات بل سقوط ابن عدى المتحمس دونه .

منها روايته عن قتادة عن عكرمة . . . ان محمداً رأى ربه فى صورة شاب أمرد . . .) وفى لفظ (. . . جعداً أمرد عليه حلة خضراء . . .) إلى غير ذلك من الألفاظ الفاضحة ، وقد روى ابن عساكر بطريق أبى القاسم السمرقندى عن قتادة (الأعمى) : انى ما حفظت عن عكرمة إلا بيت شعر وهذا دليل على انه لم يرض روايته الحديث وأما ما يروى عن أحمد من سماع قتادة عن عكرمة عدة أحاديث فلا يثبت عن أحمد لانه بطريق رواة من المجسمة القائلين باقعاد الله رسوله فى جنبه على العرش تعالى الله عن ذلك ، وقد توسع الفخر بن المعلم القرشي فى رد ما يروى عن عكرمة فى هذا الصدد ثم قال «فمعاذ الله أن يرى ربه على صورة أصلا فكيف على صورة قد ذكر مثلها أو أكثرها عن المسيح الدجال» . اهـ . فمن التهور البالغ قول ابن صدقة (من لم يؤمن بحديث عكرمة فهو زنديق) بل من يقول به هو الزنديق ، ويأسف المرء أن يرى بعض تلك الروايات التالفة مدونا فى كتاب (أخبار الصفات) للدارقطنى . وابن المعلم القرشي يؤكد أنه مدسوس فى كتاب الدارقطنى وليس ببعيد بالنظر الى أن راويه عنه العشاري والراوي عنه ابن كادش وستعرف قيمتهما فى أواخر ماعلقناه على هذا الكتاب . ويظهر مما رفعه أبو إسحاق الشيرازى وأصحابه الى نظام الملك من المحضر — فى فتنة الحشوية ببغداد ضد ابن القشيرى — اتخاذ الحشوية رواية حماد هذه دينا فليراجع المحضر المذكور فى (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر (ص ٣١٠) وفيه ما نصه « . . . وأبوا إلا التصريح بان المعبود ذو قدم وأضراس ولهوات وأنامل وأنه ينزل بذاته ويتردد على حمار فى صورة شاب أمرد بشعر قطط وعليه تاج يلمع وفى رجليه نعلان من ذهب . . . » تعالى الله عما يشركون . وفى مرسوم الخليفة العباسى الراضى الذى أصدره فى فتنة البربهارى ما نصه « . . . وتارة انكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وهيأتكم الرذلة على هياته وتذكرون الكف والأصابع والرجل والنعلين المذهبين والشعر القطط

فني سنن الترمذي عنه قال قلت يارسول الله أين كان ربناقبل أن يخلق خلقه؟ قال :« كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواءوخلق عرشه (١) على الماء ». قال الترمذي قال أحمد يعني ابن منيع راوي الحديث قال يزيد يعني ابن هارون شيخ أحمد : العماء أي ليس معه شيء . انتهى كلام الترمذي .

وفي رواية (كان في عما) بالقصر ومعناه ليس معه شيء وقيل هو كل أمر لا يدركه عقول بني آدم ولا يبلغ كنهه الوصف والفطن قال ابن الأثير ولا بد في قوله (أين كان ربنا) من مضاف محذوف فيكون التقدير أين كان عرش ربنا ويدل عليه قوله (وكان عرشه على الماء) قال الازهري نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة أي نجري اللفظ على ظاهره من غير تأويل، وقوله من غير أن نكيفه بصفة صريح في التنزيه والعلماء في المتشابهات يؤمنون بها إما بأن يتأولوها وإما بأن يسكتوا مع التنزيه وهذا المدبر يصدق بعضها ببعض ليقوي الشبهة ويمكن الريبة من قلوب الناس لعنه الله .(٢) .

والصعود الى السماء والنزول الى الدنيا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً . . . » كما في الكامل لابن الأثير (٨ ـ ٩٨) الى غير ذلك من الفضائح المكشوفة ، وحديث أم الطفيل أنكره أحمد والنسائي فلا يمكن أن يصح مثل تلك الرواية لايقظة ولا مناماً راجع دفع الشبه لابن الجوزي و(نجم المهتدي)والله ولي الهداية .

(١) قال أبو بكر ابن العربي في العارضة : والذي عندي أنه أراد بالعرش الخلق كله و (على الماء) بمعنى يمسكه بقدرته لا بعمد تزافده ولا أساس يعاضده فانها كانت تكون مفتقرة إلى أمثالها إلى غير نهاية وذلك غير محصول فترده أدلة العقول اه وهو معنى بديع جداً لمن ألقى السمع وهو شهيد . واستعمال العرش بمعنى الملك شائع راجع كتاب أصول الدين لعبد القاهر البغدادي.

(٢) ولعن كل من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وأنت قد جربت أن الامام السبكي رحمه الله لايستنزل اللعنات على الناظم إلا عند كلماته الخطرة جداً عامله الله بعدله

فصل

قال : « وخامس عشرها الاجماع من(١) رسل الله حكى اجماعهم عبد القادر

---

(١) فيا للعار والشنار على من يهون اجماع المسلمين فيما يستدلون به عليه من المسائل الفرعية كيف يزعم إجماع رسل الله على محال ؟ وتجد فى الكتب المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر كثيراً مما يرده علماء أصول الدين فى الاعتقاد كما تجد فيها كثيراً من الاحاديث الملفقة الموضوعة فلا يعول على مثل تلك الكتب فى مثل هذا المطلب وقد قال ابن حجر المكى فى فتاويه . إن ذكر الجهة ونحوها مدسوس فى كتب الشيخ عبد القادر ، وذكر مثله اليافعى قبله فى نشر المحاسن وكذلك النجم الاصفهانى قبل اليافعى وهم لا يعتدون بروايات أمثال الذهبى والناظم وشيخه وابن رجب عنه فى هذا الصدد لانهم أظناء عندهم فيما يتعلق بالجهة ومن المقرر عند أهل السنة أن أهل البدع لا تقبل رواياتهم فيما يؤيدون به بدعهم ، فالقائلون بصلاح الشيخ عبد القادر ـ وهم الجمهور ـ يبرئونه من تلك البدع ويعدونها مدسوسة فى كتبه ولا يوجد بين أهل الحق من يعترف له بالصلاح مع فرض ثبوت تلك المخازى عنه فعلى فرض ثبوتها عنه فلا حب ولا كرامة ، ومخارق حفيده عبد السلام المتربى لديه تدعو الباحث إلى غاية من الاحتياط فى حقه، وقد أشار الحافظ أبو شامة المقدسى فى ذيل الروضتين إلى ماجرى بينه وبين أبى الفرج ابن الجوزى الحنبلى والوزير العالم ابن يونس الحنبلى نسأل الله السلامة . وبين المتصوفة من يلهج كثيراً بمرتبة الاطلاق ومراتب التنزل فى المظاهر أخذاً من مذهب السالمية لكن أئمة أصول الدين ليسوا على تصديق التجلى فى الصور الذى يقول به هؤلاء بل يعدون ذلك والحلول على حد سواء، فمن حاول الجمع بين أقوال المتكلمين والمتصوفة والحكماء والحشوية فى ذلك كالبرهان الكورانى فانما حاول المحال والانسلاخ من قيد العقل والنقل معاً نسأل الله العافية وليس بقليل بين الأئمة من جاهر باكفار القائلين بالجهة كما نقلت نص ذلك من شرح مشكاة المصابيح للعلامة ناصر السنة على القارى فيما علقته على «دفع شبه التشبيه» لابن الجوزى (ص ٥٧) وشأن من يخاف الله سبحانه أن ترتعد فرائصه فى موطن جاهر فيه بعض الائمة المتبوعين فى أصول الدين ، بالاكفار .

ولم يرد لفظ الجهة فى حديث ما بل قال أبو يعلى الحنبلى فى « المعتمد فى المعتقد » : ولا يجوز عليه الحد ولا النهاية ولا قبل ولا بعد ولا تحت ولا قدام ولا خلف لأنها صفات لم يرد الشرع بها وهى صفات توجب المكان اه. ولعله آخر مؤلفاته بدليل أن امتحانه فى الصفات كان سنة ٤٢٩ قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة فمن أثبت له تعالى جهة فقد أثبت له أمثالا وأشباها مع أنه لا مثل له ولا شبيه له تعالى قال الله تعالى « ليس كمثله شىء » وقال تعالى « أفمن يخلق كمن لا يخلق » ; فلعائن الله على من يثبت له تعالى مالم يثبت له الكتاب ولا السنة من الجهة ونحوها وأما ابن رشد الحفيد فقيلسوف ظنين يسعى فى إثارة وجوه من التشكيك حول آراء المتكلمين من أهل السنة لينتقم منهم بسبب ردودهم على الفلاسفة إخوانه ولا سيما من أبى المعالى الجوينى وأبى حامد الغزالى فمن طالع فصل المقال ومناهج الادلة لابن رشد وخاصة فى بحث قدم العالم قدما زمانياً وعلم الله بالجزئيات والبعث الجسمانى يتيقن ما قلنا فى حقه على أنه يقول فى فصل المقال (ص ١٣) : إن ههنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تأويله فان كان تأويله فى المبادى فهو كفر وان كان فيما بعد المبادى فهو بدعة وههنا أيضا ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله وحملهم إياه على ظاهره كفر فى حقهم وتأويل غير أهل البرهان له وإخراجه عن ظاهره كفر فى حقهم. ومن هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول اه . وهذا الكلام يهد على رأس ابن تيمية وتلميذه ما يريدان أن يبنيا على كلامه ولو علما مغزى كلامه لأبيا كل الاباء أن يحوما حول كلامه فى مثل هذه الأبحاث . فما يكون كفراً فى حق طائفة عند ابن رشد يكون إيمانا فى حق طائفة أخرى عنده وبالعكس وهذا هو الذى يحتج ابن تيمية فى التأسيس وغيره بقوله فى الجهة من غير أن يعقل مغزى كلامه الطويل فى مناهج الأدلة . وأما ما وقع فى كلام ابن أبى زيد وابن عبد البر مما يوهم ذلك فمؤول عند محققى المالكية ولو كان ابن عبد البر لم يكتف بالطلمنكى فى أصول الدين ورحل الى الشرق كالباجى لم يقع فى كلامه ما يوهم ولم يقع ذكر الجهة فى حق الله سبحانه فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ولا فى لفظ صحابى أو تابعى ولا فى كلام أحد ممن تكلم فى ذات الله وصفاته من الفرق

سوى أقحاح المجسمة وأتحدى من يدعي خلاف ذلك أن يسند هذا اللفظ إلى أحد منهم بسند صحيح فلن يجد إلى ذلك سبيلا فضلا عن أن يتمكن من إسناده إلى الجمهور بأسانيد صحيحة وأول من وقع ذلك في كلامه ممن يدعي الانتماء إلى أحد الأئمة المتبوعين — فيما أعلم — هو أبو يعلى الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨ حيث قال عند إثباته الحد له تعالى في كتابه (إبطال التأويلات لأحاديث الصفات) : « إن جهة التحت تحاذي العرش بما قد ثبت من الدليل والعرش محدود فجاز أن يوصف ما حاذاه من الذات أنه حد وجهة له وليس كذلك فيما عداه لأنه لا يحاذي ما هو محدود بل هو مار في اليمنة واليسرة والفوق والأمام والخلف إلى غير غاية فلذلك لم يوصف واحد من ذلك بالحد والجهة وجهة العرش تحاذي ما قابله من جهة الذات ولم تحاذ جميع الذات لأنه لا نهاية لها اه » . تعالى الله عما يقول المجسمة علواً كبيراً وهو عين ما ينسب إلى المانوية الحرانية من تلاقي النور من جهة الأسفل مع الظلمة وعدم تناهيه من الجهات الخمس — سبحانك ما أحلمك — ثم تابعه أناس من الحنابلة في نسبة الجهة إلى الله سبحانه منهم أبو الحسن علي بن عبيد الله الزاغوني الحنبلي المتوفى سنة ٥٢٧ ووقع بعده في غنية الشيخ عبد القادر وقد سبق رده، وإثبات ذلك له تعالى ليس بالأمر الهين عند جمهور أهل الحق بل قال جمع من الأئمة إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العلم العراقي وقال إنه قول أبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني اه فانظر قول ابن تيمية في التسعينية (ص ٣) : أما قول القائل ، الذي نطلب منه أن ينفي الجهة عن الله والتحيز فليس في كلامي إثبات لهذا اللفظ لأن إطلاق هذا اللفظ نفياً وإثباتاً بدعة اهـ وهذه مغالطة فإن ما لم يثبته الشرع في الله فهو منفي قطعا لأن الشرع لا يسكت عما يجب اعتقاده في الله وقوله سبحانه (ليس كمثله شيء) نص في نفي الجهة عنه تعالى إذ لو لم تنف عنه الجهة لكانت له أمثال لا تحصى تعالى الله عن ذلك — ثم انظر قوله في منهاجه (١ — ٢٦٤): فثبت أنه في الجهة على التقديرين اه » لتعلم كيف رماه الله بقلة الدين وقلة الحياء في آن واحد . وأما ما ينقله الذهبي وغيره من الحشوية من تفسير القرطبي في قوله تعالى : « ثم استوى على العرش » من أنه قال : وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا

ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله فتساهل منه في العبارة فانه لم يرد لفظ الجهة في عبارة السلف ولا في كتاب الله ولو أراد ورود هذا اللفظ لكذبه كتاب الله وسنة رسوله والآثار المروية عن السلف لأن الوارد لفظ (وهو القاهر فوق عباده)و(ثم استوى على العرش) ونحو ذلك بدون تعرض للتكييف بالجهة وهكذا الوارد في السنة وآثار السلف ويعين قوله (كما نطق به كتابه) أن مراده الفوقيــة والعلو بلا كيف وذكر الجهة سبق قلم منه فلايكون متمسك للحشوية فيما ذكره القرطبي في تفسيره كيف وهو القائل فيه:

« متى اختص بجهة يكون في مكان وحيز فيلزم الحركة والسكون اه ».وهو القائل أيضاً في (التذكار في أفضل الأذكار) ص ١٣ : « يستحيل عــلى الله أن يكون في السماء أو في الأرض إذ لو كان في شيء لكان محصوراً أومحدوداً ولو كان ذلك لكان محدثا وهذا مذهب أهل الحق والتحقيق اه » . وفي(ص ٢٠٧) من الـكتاب المــذكور : « ثم متبعوا المتشابه لا يخلو اتباعهم من أن يكون لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الـكتاب والسنة مما يوهم ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن الباريء تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وغير ذلك من يد وعين وجنب وأصبع تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً ، والصحيح القول بتـكفيرهم إذ لافرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور ويستتابون فان تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد . اه » .
فبذلك تبين أن تمسك الحشوية بقول القرطبي السابق من قبيل الاستجارة من الرمضاء بالنار وبه يظهر مــذهب المالـكية فيمن يقول بذلك كما يظهر قول الشافعية فيه من كفاية الأخيار للتقي الحصني ، حيث قال فيها بعــد أن أشار الى كلام الرافعي في كتاب الشهادات : « جزم النووي في صفــة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة : قلت . وهو الصواب الذي لامحيد عنه اه » .
ومن حذاق النظار من استدل على بطلان القول بالجهة بقوله تعالى :«وماكان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق » باعتبار أن فيه استدلالا على بطلان التعدد ببطلان لازمه الذي هو انحياز الاله الى جهة . راجع شعيب الايمان

للحليمي. وفى الاكمال شرح مسلم للقاضى عياض « ثم من صار من دهماء الفقهاء والمحدثين وبعض متكلمي الأشعرية وكافة الكرامية إلى الجهة أول (فى) بـ(على) . ومن أحال ذلك — وهم الاكثر — فلهم فيها تأويلات ... وقد أجمع أهل السنة على تصويب القول بالوقف من التفكر فى ذاته تعالى لحيرة العقل هنالك ، وحرمة التكييف . والوقف فى ذلك غير شك فى الوجود ولا جهل بالموجود فلا يقدح فى التوحيد بل هو حقيقته . وقد تسامح بعضهم فى إثبات جهة تخصه تعالى أو يشار إليه بحيز يحاذيه وهل بين التكييفين [أى التكييف المحرم إجماعا والتكييف بالجهة] فرق ؟ أبدا : وبين التحديد فى الذات والجهة فرق ؟ ! ! . وقد أطلق الشرع أنه القاهر فوق عباده وأنه استوى على العرش فالتمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلى الذى لا يصح فى العقل غيره وهى قوله تعالى ليس كمثله شىء « عصمة لمن وفقه الله تعالى » اهـ. فقد تعقبه الأبى تعقبا جديدا وقال مانسب من القول بالجهة الى الدهماء ومن بعدهم من الفقهاء والمتكلمين لايصح ولم يقع إلا لابى عمر فى الاستذكار [والتمهيد] ولابن أبى زيد فى الرسالة وهو عنهما متأول . ثم نقل عن الفقهاء التونسيين كابن عبد السلام وابن هارون والفاسيين كالسطى وابن الصباغ اتفاقهم على إنكار ذلك فى مجلس الامير أبى الحسن ملك المغرب . راجع شرح مسلم (٢ — ٢٠١) للأبى . أقول : إنما ذكر القاضى عياض من صار من الدهماء الى القول بالجهة وأين فى ذلك نسبة ذلك الى الدهماء على أن لفظ الجهة لم يقع فى كلام أبى عمر ولا فى كلام ابن أبى زيد وإن كان ظاهر كلاميهما يوهم ذلك وقد تأول كلاميهما المالكية ليكونا مع الجمهور فى هذه المسألة الخطرة ولو ترك كلامهما على الظاهر لهويا فى هاوية التجسيم وذلك يجزى عليهم أيضا . وقول القاضى عياض ليس يشمل المشارقة حيث لم يرحل إلى الشرق وإنما قوله بالنظر إلى معنى كلام بعض الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من أهل بلاده من أصحاب الطلمنكى وابن أبى زيد وأبى عمر بل لا أذكر وقوع لفظ الجهة فى كلام أحد منهم وإنما جرى ابن رشد الفيلسوف فى المناهج على التساهل بذكر مالم يجر على ألسنتهم باعتباره معنى كلامهم كما سبق والحاصل أن التكييف غير جائز إجماعا ، ويمكن جمع جزء فى الاثار

وأبو الوليد [ابن رشد الفيلسوف] وأبو العباس (١) الحرانى [ابن تيمية] وله اطلاع ، لم يكن من قبله لسواه من متكلم » .

ونحن نقطع أيضا بإجماعهم (على التنزيه) أما يستحي من ينقل إجماع الرسل على إثبات الجهة والفوقية الحسية لله تعالى؟ وعلماء الشريعة ينكرونها؟ أما تخاف منهم أن يقولوا له إنك كذبت على الرسل؟ .

الواردة فى المنع من التكييف والتشبيه ـ ولا شك أن القول بالجهة تكييف لم يقع إلا فى عبارات أناس هلكى ، وأما تأويل القائلين بالجهة مايوهم كونه فى السماء بمعنى على السماء كما ذكره القاضى عياض فلا ينجيهم من ورطة التجسيم لأن (فى) فى « ولأصلبنكم فى جذوع النخل » لم تزل تفيد تمكين المصلوب فى الجذع كتمكين المظروف فى الظرف وكذلك قوله تعالى « قل سيروا فى الأرض » تحمل لفظ فى على معنى على لايجدى فى الابعاد عن التمكن وإنما التأويل الصحيح ما أشار إليه الباجى من استعمال العرب لفظ (هو فى السماء) يعنون علو شأنه ورفعة منزلته بدون ملاحظة كونه فى السماء أصلا كقول الشاعر :

علونا السماء مجدنا وجدودنا   وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

وظاهر أنه لم يرد إلا علو الشأن . وليس قوله تعالى (أأمنتم من فى السماء) من هذا القبيل بل الظاهر أن المراد خاسف سدوم وعد (فى السماء) بمعنى على السماء ثم جعل على السماء بمعنى (على العرش) باعتبار أن السماء مأخوذة من السمو ، غفلة عن شمولها للسقف والسحابة على هذا التقدير غير المتبادر وتخصيصها بالعرش عن هوى مجرد كما لا يخفى . وفيما ذكرناه كفاية لأهل التبصر .

(١) يوجد من يذكره بلقب شيخ الإسلام ـ وللمبتدعة افتتان بهذا التلقيب لإيهامهم ـ إيهاما للضعفاء فى العلم أن مايدعو إليه هذا الزائغ هو الاسلام الصحيح ويخاف على من يستمر على تلقيبه به بعد أن عرف مخالفاته لشرع الاسلام ومن ذكره بهذا اللقب من أهل السنة إنما ذكره قبل أن يجاهر ذلك المبتدع ببدعه المعروفة وأما من استمر على هذا التلقيب من المتأخرين فإنما استمر جهلا ببدعه التى نقلناها من أوثق المصادر أو ظنا منه أنه تاب وأناب وحافظ على

عهوده وقد توسعنا فى بيان ذلك فيما علقناه على ذيول طبقات الحفاظ . عند ترجمة العلاء البخارى فليراجع هناك ، ولعل فى كتبنا ولاسيما فى هذا الكتاب ما يقنع المنصف فى أمر هذا الزائغ

ومما قال المصنف فى حقه فى فتاويه (٢-٢١٠) فى أثناء رده على فتياه فى الوقف : « وهذا الرجل كنت رددت عليه فى حياته فى انكاره السفر لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى انكاره وقوع الطلاق اذا حلف به ثم ظهر لى من حاله مايقتضى أنه ليس ممن يعتمد عليه فى نقل ينفرد به لمسارعته الى النقل لفهمه - كما فى هذه المسألة - ولا فى بحث ينشئه لخلطه المقصود بغيره وخروجه عن الحد جداً ، وهو كان مكثراً من الحفظ ولم يتهذب بشيخ ولم يرتض فى العلوم بل يأخذها بذهنه مع جسارة واتساع خيال وشغب كثير ، ثم بلغنى من حاله ما يقتضى الإعراض عن النظر فى كلامه جملة وكان الناس فى حياته ابتلوا بالكلام معه للرد عليه ، وحبس باجماع العلماء وولاة الأمور على ذلك ولم يكن لنا غرض فى ذكره بعد موته لان تلك أمة قد خلت ولكن له أتباع ينعقون ولا يعون ونحن نتبرم بالكلام معهم ومع أمثالهم ولكن للناس ضرورات الى الجواب فى بعض المسائل كهذه المسألة .. » اهـ . وهذا مما يزيدك معرفة بالرجل ، ومن جملة هذيانات هذا الزائغ قوله فى (المحصل) للفخر الرازى :

محصل فى أصول الدين حاصله من بعد تحصيله اصل بلادين
أصل الضلالات والشك المبين فما فيه فأكثره وحى الشياطين

هذا رأى الرجل فى معتقد أهل السنة ولأهل العلم ردود عليه وكنت قلت فى معارضته :

محصل فى أصول الدين حصله من اهتدى فغدا محصن الدين
أس الهداية والحق الصراح فمن يرتاب فيه قفا إثر الشياطين

كما قلت فيما سبق فى معارضة بعضهم :

ان كان تنزيه الآله بجهما فالمؤمنون جميعهم جهمى
جل الاله عن الحوادث أن تحل به وعن جهة وعن كم
بخلاف زعم زعيمكم سفها فان تابعتموه فكلكم تيمى

والله سبحانه ولى الهداية .

فصل

قال: «وسادس عشرها إجماع أهل العلم (١) ابن عباس ومجاهد ومقاتل والكلبي ورفيع وأبو عبيدة والأشعري والبغوى ومالك والشافعي والنعمان ويعقوب واحمد وابن المبارك وابن خزيمة وقال يقتل من ينكره وحكى ابن عبد البر اجماع اهل العلم ان الله فوق العرش وابن وهب وحرب الكرمانى وحكى الاجماع ابن أبي زيد والكرجي فى التصنيف الذى شرحه وتفسير عبد ابن حميد والنسائى وعثمان الدارمى وابن أصرم وعبد الله بن أحمد والأثرم (وأبو حاتم وابنه ومحمد بن أبي شيبة) وابن أبي داود وابن أسباط وسفيان وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والبخاري والطبرى اللالكائى الشافعي واسماعيل التيمي والطبرانى والطلمنكى والطحاوى والبلاقلانى وابن كلاب والطبرى فى التفسير والدانى وابن سريج وابو الخير العمرانى صاحب البيان وسواهم والله قطاع الطريق أئمة تدعو الى النيران ما فى الذين حكيت عنهم آنفا من حنبلى واحد بضمان بل كلهم والله شيعة أحمد فأصوله وأصولهم سيان أتظنهم لفظية جهلية هم أهل المعقول فتقذفون أولاء بل أضعافهم من سادة العلماء كل زمان بالجهل والتشبيه والتجسيم والتبديع والتضليل والبهتان ياقومنا الله فى إسلامكم لا تفسدوه لنخوة الشيطان ياقومنا اعتبروا بمصارع من مضى فى هذه الأزمان لم يغن عنهم كذبهم ومحالهم وقتالهم بالزور والتدليس عند الناس والحكام والسلطان وبداهم أنهم على البطلان ما عندهم شكاية ما يشتكى إلا العاجز لبستم معنى النصوص وقولنا أسأتم الظن بأئمة الاسلام ماذنبهم ماالذنب إلا للنصوص لديكم إذ جسمت».

(١) الناظم يروى عن إمامه أحمد بن حنبل فى إعلام الموقعين أن من ادعى الاجماع فهو كاذب. فكيف ساغ له أن يروى هنا الاجماع على الفوقية المكانية على خلاف البراهين العقلية والنقلية القائمة. فابن عباس ومجاهد لم يروعنهما ما يوهم ذلك إلا أناس هلكى لا تقبل أقوالهم فى حيض النساء فضلا عن المسائل

الاعتقادية . ومقاتل بن سليمان المروزى شيخ أهـل التجسيم فى عصره وقد أفسد جماعة من المراوزة . والكلبى هالك عند أهل النقد . وأبو العالية رفيع الرياحى فسر الاستواء بالارتفاع كما ذكره ابن جرير بطريق أبى جعفر الرازى وهو متكلم فيه حتى عند الناظم . وروى الفريابى عن مجاهد تفسير استوى بقوله علا بطريق ورقاء عن ابن أبى نجيح عنه. والكلام فيهما مشهور . ولذا ذكر هذا وذاك البخارى من غير سند ، ومع ذلك أين الدلالة فى هذا وذاك على الفوقية المكانية ؟ وأبو عبيدة معمر بن المثنى الشعوبى ما ذا تكون قيمة كلامه فى مثل هذه الأبحاث ؟ والأشعرى إن كنتم تعتقدون فيـه أنه قائل بالفوقية المكانية فما سبب طعن الحشوية كلهم فيه ؟ وإنما له رأيان أحدهما عدم الخوض فى الصفات مع إثبات ما ثبت فى الكتاب والسنه بدون تشبيه ولا تمثيل والآخر تأويل ما يجب تأويله بما يوافق التنزيه إذا عن ضرورة ، وليس فى هذا ولا فى ذاك القول بالفوقيـة المكانية ، وتأليف الابانة كان فى أوائل رجوعه عن الاعتزال لتدريج البربهارى إلى معتقد أهل السنة ، ومن ظن أنها آخر مؤلفاته فقد ظن باطلا . وقد تلاحقت أقلام الحشوية بالتصرف فيها ولا سيما بعد فتن بغداد فلا تعويل على ما فيها مما يخالف نصوص أئمة المذهب من أصحابه وأصحاب أصحابه . وابن درباس غير مأمون فى روايتها لأنه أفسده شيخه فى التصوف مع تأخر طبقته . . والبغوى الشافعى إنما نقل فى تفسيره ما يروى عن مثل مقاتل بن سليمان والكلبى تعويلا على قول أهل النقد فيهما ودلالة على أن هذا القول قول أهل الزيغ . ومالك قائل بالاستواء بلا كيف وكذا الشافعى وأبو حنيفة وأبو يوسف وأحمد وابن المبارك ، وهم براء مما يوجد فى روايات عبد الله بن نافع الصائغ والعشارى والهكارى وابن أبى مريم ونعيم ابن حماد والاصطخرى وأمثالهم . و (اعتقاد الشافعى) المذكور فى ثبت الكورانى كذب موضوع مروى بطريق العشارى وابن كادش وسيأتيان فى أواخر الكتاب . وابن خزيمة على سعته فى الفقه والحديث جاهل بعلم أصول الدين وقد اعترف بذلك هو نفسه كما فى الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٢٠٠) وكتاب التوحيد له يعده الرازى كتابا فى الشرك . ويستخف عقله وفهمه فى تفسير قوله

تعالى « ليس كمثله شئ » وينقل جزءاً من سخفه ويرد عليه رداً مشبعا فيجب الاطلاع عليه ومن الشافعية من يعد من الشافعية كل من تلقى بعض شئ من بعض الشافعية وهذا ليس بصواب لأن كل متأخر يأخذ عمن تقدمه على أى مذهب كان المتقدم كما لا يخفى على من درس أحوال الرجال. وابن خزيمة هذا وإن تلقى بعض شئ من المزنى فى شبيبته لكن لم يكن شافعيا بل ثبتت مساعدته لمحمد بن عبد الحكم فى تأليفه ذلك الرد القاسي على الشافعي. وعلى فرض أنه شافعي لا محاباة فى المعتقد أيا كان مذهب من زاغ عن السبيل. وهـذا المسكين ممن إذا أصاب مرة فى المعتقد يخطئ فيه مرات، فليسمح لى ساداتنا العلماء أن أعجب غاية العجب من طبع مثل كتاب التوحيد هذا بين ظهرانيهم بدون أن يقوم أحد منهم بالرد عليـه كما يجب. أيقظ الله أصحاب الشأن لحراسة السنة. وابن خزيمة الذى يروى عنه الطحاوى غير ابن خزيمة صاحب كتاب التوحيد وليعلم ذلك. والاجماع الذى يرويه ابن عبد البر إنما يصح فى العلو والفوقية بمعنى التنزه والقهر والغلبة لا بمعنى إثبات المكان له تعالى. وأبو بكر محمد بن وهب شارح رسالة ابن أبى زيد مسكين مضطرب بعيـد عن مرتبة الحجة. وقد ذكرنا ما يتعلق بابن أبى زيد فيما علقناه عـلى تبيين كذب المفترى وقد أغنانا ذلك عن تكرير الكلام. ورأى القاضى أبى بكر بن العربى فيه مدون فى القواصم، وأبو الحسن محمد بن عبـد الملك الكرجى الشافعى صاحب الفصول مجسم صريح كأبى الخير يحيى العمرانى وقـد كفانا مؤنة الرد عليهما ما قاله فيهما ابن السبكى واليافعى الشافعيان. وعثمان الدارمى السجزى صاحب النقض — وهو غير صاحب المسند — قد سبق القول فيه وهو يثبت الحركة لله تعالى كحرب بن إسماعيل السيرجانى. وقد نقلت فيما كتبت على شروط الأئمة الخمسة ما قاله الحافظ الرامهرمزى فى حرب السيرجانى هذا. وخشيش بن أصرم صاحب كتاب الاستقامة يعرف أهل الاستقامة مبلغ انحرافه، ومن جملة ما هذى به قوله: فان زعمت الجهمية فمن يخلفه إذا نزل؟ قيل لهم: فمن خلفه فى الأرض حين صعد؟ اهـ. ولا ينجيه من ورطته كونه من مشايخ أبى داود كما لا ينجى عمران بن حطان كونه من رجال البخارى. وعبد الله بن أحمد إذا

ثبت عنه كتاب السنة المنسوب إليه فلا حب ولا كرامة . وابن أبي حاتم أقر على نفسه بأنه يجهل علم الكلام كما في الأسماء والصفات للبيهقي (ص ١٩٩) وحق مثله أن لا يخوض في أمثال هذه المباحث وأن يهجر قوله إذا خاض . ومحمد بن أبي شيبة صاحب كتاب العرش مشبه كذاب ، ومن جملة تخريفاته في كتابه المذكور ! إن الله تعالى أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش اه تعالى الله عن تخريفات المجسمة . وابن أبي داود كفانا مؤنة الرد عليه كلام أبيه فيه . وابن أسباط لا يحتج به في الرواية فكيف يعول على مثله في الصفات . سامح الله اللالكائي والطلمنكي وإسماعيل التيمي فانهم تكلموا في غير علومهم . والباقون كلهم بخير خلاما أدخل على ابن سلمة ولن يثبت عن هؤلاء سوى أنهم كانوا يقولون : إنه تعالى استوى على العرش بلا كيف وإنه القاهر فوق عباده بلا كيف وأين هذا مما يدعو إليه الناظم ؟ .

ـ تنبيه ـ روى الناظم في اعلام الموقعين عن أحمد : أن من ادعى الاجماع فهو كاذب . ثم حكى هو نفسه في الكتاب نفسه في (١ ـ ٥٦ و ١١٤، ٢٧٥، ٣٨٩) وفي (٢ ـ ٣٣ و ٤٨ و ٥٣ و ٢٤١ و ٢٩٠) وغيرها الاجماع والقول بالاجماع في مسائل عن أحمد وغيره ومثل هذا التناقض لا يصدر الا من مثل الناظم . وذكر أيضا في عدة من كتبه في صدد الرد على من يقول باجماع الصحابة على وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد أنه لم يرو ذلك عن عشر الصحابة بل عن عشر عشرهم بل عن عشر عشر عشرهم بل لا تطيقون أن ترووه عن عشرين نفساً منهم . وهو يرمى بذلك إلى أن إجماع الصحابة لا ينعقد إلا برواية نص عن مائة ألف صحابي مات عنهم النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهذا تخريف لم يقل به أحد قبل الناظم لأن الظاهرية يكتفون باتفاق فقهاء الصحابة إلا أنهم يكثرون عدد الفقهاء منهم ويبلغون عددهم إلى نحو مائة وخمسين صحابيا على خلاف الواقع ـ ثم يناقض نفسه فيقول في إعلام الموقعين (٣ ـ ٣٧٩) : « إن لم يخالف الصحابي صحابيا آخر فاما أن يشتهر قوله في الصحابة أو لا يشتهر فان اشتهر فالذي عليه جماهير الطوائف من الفقهاء أنه إجماع وحجة وقالت طائفة منهم هو حجة وليس باجماع ، وقالت شرذمة من المتكلمين (من أتباع النظام) وبعض الفقهاء المتأخرين

انتهى كلام هذا المدبر وقد تقدم النقل عن مالك رحمه الله بخلاف ما قاله ولكنه اغترهنا بما رواه الحسن بن إسماعيل الضراب[1] فى كتابه الذى صنفه فى فضائل مالك رضى الله عنـه بأسانيده الى مالك رضى الله عنه أنه أتاه رجل فقال ياأبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى [2] فأمسك عنه مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال الكيف منه غير معقول والاستواء فيه غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإنى لأحسبك ضالا ثم أمر به

لايكون إجماعا ولا حجة ، وإن لم يشتهر قوله أو لم يعلم هل اشتهر أم لا فاختلف الناس هل يكون حجة أم لا فالذى عليه جمهور الامة أنه حجة، هذا قول جمهور الحنفية صرح به محمد بن الحسن وذكر عن أبى حنيفة نصا وهو مذهب مالك وأصحابه ، وتصرفه فى موطئه دليل عليه وهو قول إسحاق بن راهويه وأبى عبيد وهو منصوص الامام أحمـد فى غير موضع عنه واختيار جمهور أصحابه وهو منصوص الشافعى فى القديم والجديد أما القديم فأصحابه مقرون به وأما الجديد فكثير منهم يحكى عنه فيه أنه ليس بحجة وفى هـذه الحكاية عنه نظر ظاهر جداً اهـ» . ثم ذكر وجه النظر .

وهذا القول هو الصواب لـكن الناظم يناقض هـذا حينما يؤول كلام أحمد المذكور على خلاف تأويل الجمهور فى (١-٣٣) من إعلام الموقعين وعند ما يشذ عن الجماعـة فى مسائل كالطلاق ونحوه فى كثير من كتبه ويهون أمر الاجماع بل ينكره ويتابعه الجهلة الأغرار من أبناء الزمن وفى ذلك عبرة بالغة تلفت إليها أنظار المنصفين والحق أن الناظم ليس له أصل يبنى عليه وإنما يلبس لـكل ساعة لبوسها كما هو شأن أصحاب الأهواء والله ولى الهداية . والحق أن تـكذيب أحمد لمن يدعى الاجماع على تقدير ثبوته عنه لابد من حمله عـلى ادعاء من لم يتأهل لنقل الاجماع الاجماع فى مسألة والالتناقض كلامه وعمله .

(١) هو أبو محمد محدث مصر المتوفى سنة ٣٩٢ راجع إكمال ابن ما كولا ، وأنساب ابن السمعانى ، وحسن المحاضرة ، والشذرات .

(٢) قال أبو بكر ابن العربى فى القواصم والعواصم : المطلوب هنا ثلاثة معان معنى الرحمن ومعنى استوى ومعنى العرش فالرحمن معلوم والعرش فى العربية جاء

فأخرج. وفى رواية فانى أخاف أن يكون شيطانا.وهذا الكلام صحيح إن صح عن مالك فانه ليس فيه إلا الايمان بآية استوى على العرش كما نطق به القرآن وأن كيفيته غير معقولة ،والسائل عنها ضال مبتدع شيطان وفى ذلك قطع بأن الاستواء ليس على ظاهره المعلوم عند الناس من أنه القعود فان ذلك معقول وليس فيه تصريح بفوقية الذات ولا يلزم من قولنا استوى على العرش ان يكون هو على العرش إلا بعد أن نثبت أن الاستواء هو القعود والجلوس كما فى المخلوق وجل الله عن ذلك فهذا الرجل لم يفهم كلام مالك ولا كلام غيره من العلماء الكثيرين الذين حكى عنهم كلهم . وإنما يؤثر عنهم كلام مقتد بالكتاب يراد به معنى صحيح مع التنزيه ومالا يوهم التشبيه ولا يقتضيه وقد روى الضراب فى هذا الكتاب قال حدثنا عمر بن الربيع ثنا أبو أسامة ثنا ابن أبى زيد عن أبيه عن حبيب[1] كاتب مالك قال: سئل مالك بن انس عن قول النبى صلى الله عليه وسلم (ينزل ربنا تبارك وتعالى الى السماء الدنيا كل ليلة)

لمعان ولفظ استوى معه محتمل خمسة عشر معنى فى اللغة فأيها تريدون أو أيها تدعون ظاهراً منها ولم قلتم أن العرش ههنا المراد به مخلوق مخصوص فادعيتموه على العربية والشريعة . . . فقوله الرحمن على العرش استوى إن علمنا معناه إمنا قولا ومعنى وان لم نعلم معناه قلنا كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة فكيف لو رأى من يفسر تعلقه بالله لا يقال إنه بدعة بل أشد من البدعة عنده فكيف لو سمع من يقول ان الله فوقه فكيف بمن يعين فوقية الذات فكيف بمن يقول إنه يحاذيه ويليه تبا له اهـ . راجع (٢٤ ـ ٢٦) فى الجزء الثانى من الكتاب المذكور .وقد توسع ابن المعلم المحدث فى (نجم المهتدى) فى بيان محتملات الآية الخمسة عشر التى أشار إليها أبو بكر ابن العربى فليراجع هناك .

(١) وعلى روايته فى تفسير النزول عن مالك عول القاضى عياض فى المشارق وقد تكلم فى حبيب هذا أهل النقد إلا أن مالكا رضى الله عنه كان شديد الانتقاد للرجال وقوله هو القول الفصل فى رجال المدينة فلا يطمئن القلب إلى أن يكون كاتبه وقارئ موطئه على جمهور المتلقين من مالك غير مرضى عنده .

قال ينزل أمره كل سحر وأما هو فهو دائم لا يزول وهو بكل (١) مكان .
وروى الضراب أيضاً فى هذا الكتاب باسناده الى عبد الرحمن بن القاسم قال سئل مالك عمن يحدث الحديث الذى قالوا ان الله خلق آدم على صورته وان الله يكشف عن ساقه يوم القيامة وانه يدخل يده فى جهنم حتى يخرج من أراد فأنكر ذلك إنكاراً شديداً ونهي أن يتحدث بها أحد فقيل له إن ناساً من أهل العلم يتحدثون بها فقال من هم قيل ابن عجلان عن أبى الزناد فقال لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء ولم يكن عالما وذكر أبا الزناد فقال لم يزل عاملا لهؤلاء حتى مات وكان صاحب عمل يتبعهم ورواه الضراب

---

(١) وظاهر هذا الكلام غير مراد قطعاً بل المراد أنه لا يوصف بمكان دون مكان حيث تنزه عن الأمكنة ومن هذا القبيل ما يروى عن بعضهم أن علمه بكل مكان وحاشا أن يكون المراد بهما حلول ذاته أو صفته فى الأمكنة تعالى الله عما يظن به الجاهلون . وأما قول الترمذى فى حديث لهبط على الله (وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف فى كتابه) فقد تعقبه ابن العربى فى العارضة وقال : إن علم الله لا يحل فى مكان ولا ينتسب إلى جهة كما أنه سبحانه كذلك لكنه يعلم كل شى فى كل موضع وعلى كل حال فما كان فهو بعلم الله لا يشذ عنه شيء ولا يعزب عن علمه موجود ولا معدوم والمقصود من الخبر أن نسبة البارى من الجهات إلى فوق كنسبته إلى تحت إذ لا ينسب إلى الكون فى واحدة منهما بذاته اهـ. وما يرويه سريج بن النعمان عن عبد الله ابن نافع عن مالك أنه كان يقول : الله فى السماء وعلمه فى كل مكان . لا يثبت قال أحمد عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفا فيه قال ابن عدى يروى غرائب عن مالك قال ابن فرحون : كان أصم أمياً لا يكتب . راجع ترجمة سريج وابن نافع فى كتب الضعفاء وبمثل هذا السند لا ينسب إلى مثل مالك مثل هذا وقد تواتر عنه عدم الخوض فى الصفات وفيما ليس تحته عمل كما كان عليه عمل أهل المدينة على ما فى شرح السنة للالكائى وغيره .

أيضاً من طريق ابن وهب عن مالك . وروى أيضا من طريق الوليد بن مسلم قال سألت مالكا والأوزاعى وسفيان وليثا عن هذه الأحاديث التى فيها ذكر الرؤية فقالوا ارووها كما جاءت . فانظر كلام مالك وكلام غيره لم يصرحوا ولم يبيحوا إلا روايتها لا اعتقاد ظاهرها الموهم للتشبيه ومالك شدد (١) فى روايتها الاما يعلم صحته فيروى مع التنزيه كالقرآن وهذا النحس وأمثاله يروون فى ذلك الجفلاء لأن لهم بدعة لا يبغون عنها حولا وكل هؤلاء الذين نقل عنهم كلامه إما متأول أراد به قائله معنى صحيحاً غير ما أراده هذا المبتدع وإما مختلق عليه وحقه أن يسبر فمن سمي من المتأخرين لم يكن له بصر بالحقائق فزل كما زل شيوخ(٢) هذا المبتدع وقادته ممن لم يكن قدوة .

---

(١) بل قال أبو بكر بن العربى فى العارضة روى عن مالك وغيره أنه إذا روى هذه الأحاديث (أحاديث القبض ونحوه) أحد ومثل بجارحة قطعت اه .

(٢) من حشوية الحنابلة قال العفيف اليافعى فى (مرهم العلل المعضلة فى دفع الشبه والرد على المعتزلة) فى الجزء الثالث منه : « ومتأخرو الحنابلة غلوا فى دينهم غلوا فاحشا وتسفهوا سفهاً عظيما وجسموا تجسيما قبيحا وشبهوا الله بخلقه تشبيها شنيعا وجعلوا له من عباده أمثالا كثيرة حتى قال أبو بكر بن العربى فى العواصم: أخبرنى من أثق به من مشيختى أن القاضى أبا يعلى الحنبلى كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظواهر فى صفاته تعالى . « ألزمونى ما شئتم فانى ألتزمه إلا اللحية والعورة ». قال بعض أئمة أهل الحق وهذا كفر قبيح واستهزاء بالله تعالى شنيع وقائله جاهل به تعالى لا يقتدى به ولا يلتفت إليه ولا متبع لامامه الذى ينتسب إليه ويتستر به بل هو شريك للمشركين فى عبادة الأصنام ، فانه ما عبد الله ولا عرفه ، وإنما صور صنما فى نفسه فتعالى الله عما يقول الملحدون والجاحدون علواً كبيرا اه » .

ومثل ما نقله ابن العربى عن أبى يعلى هذا منقول فى كتب الملل والنحل عن داود الجواربى تعالى الله عن ذلك . ثم قال اليافعى : « ولقد أحسن ابن الجوزى من الحنابلة حيث صنف كتابا فى الرد عليهم ونقل عنهم أنهم أثبتوا لله

فصل

قال : « وسابع عشرها إخباره سبحانه فى القرآن عن موسى ، وفرعون أنكر التكليم والفوقية العليا . ولنا منّا دليل على أنه فوق السماء فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ـ بالله ـ هل حدثتكم قط أنفسكم بذا فسلوا أنفسكم عن الايمان لكن رب العالمين وجنده ورسوله المبعوث بالفرقان هم يشهدون بأنكم أعداء من ذا شأنه أبداً بكل زمان ولأى شئ كان أحمد [١] خصمكم أعنى ابن حنبل الرضى الشيبانى ولأى شئ كان أيضا خصمكم شيخ الوجود العالم الحرانى [٢] » .

صورة كصورة الآدمى فى أبعاضها ، وقال فى كتابه هؤلاء قد كسوا هذا المذهب شيناً قبيحاً حتى صار لايقال من حنبلى الامجسم قال وهؤلاء متلاعبون وما عرفوا الله ولا عندهم من الاسلام خبر ولا يحدثون فانهم يكابرون العقول وكأنهم يحدثون الصبيان والأطفال قال وكلامهم صريح فى التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام وفضحوا التابع والمتبوع انتهى » . والكتاب الذى أشار إليه اليافعى هو (دفع شبه التشبيه) وهو مطبوع فليراجع .

(١) وإنما خصوم أحمدهم الذين انتموا اليه كذبا وخالفوه فى التنزيه وقال الحافظ ابن شاهين (رجلان صالحان بليا بأصحاب سوء جعفر بن محمد الصادق وأحمد بن حنبل) رواه ابن عساكر بطريق أبى ذر الهروى راوية الجامع الصحيح يريد الروافض والمجسمة .

(٢) ونحن معاشر أهل الحق لانبالى بعداء مثله من المبطلين ولاتزال تطن فى آذان رواد الحقائق شواذ ابن تيمية السخيفة باطلاعهم عليها فى مؤلفاته نفسه وفيما رواه ثقات أهل العلم عنه وكلمته فيما رد به على الرازى فى المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدرارى بظاهرية دمشق حيث قال : « لوشاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته فكيف على عرش عظيم » آية من آيات خرقه وحمقه فليصادق من شاء من الخرقى مثله على عدائه لأهل الحق والمراسيم الملكية الصادرة فى حقه بعد ما كتبه أمام جماعة كبار العلماء فى عصره مسجلة

وبالغ هذا الخبيث فى الاقذاع والسفاهة بما هو صفته ونسى قول فرعون: (ما علمت لكم من إله غيرى) وتجرأ على علماء المسلمين بما لو نقلناه لطال ولا يحتمل الابطال .

فصل

قال : « وثامن عشرها تنزيهه سبحانه عن موجب النقصان فلأى شئ لم ينزه نفسه عن الفوقية » .

فنقول قد قال : ليس كمثله شئ .

فى كتب التاريخ وكتب خاصة مثل عيون التواريخ ونجم المهتدى ودفع الشبه وغيرها ولا بأس أن أسجل هنا صورة منها بالنقل من خط الحافظ شمس الدين بن طولون وهى كما رأيتها بخطه رحمه الله : « نسخة مثال شريف سلطانى ملكى تاريخه ثامن عشرى رمضان سنة ٧٠٥ :

الحمد لله الذى تنزه عن الشبيه والنظير وتعالى عن المثال فقال ليس كمثله شئ وهو السميع البصير نحمده على أن ألهمنا العمل بالسنة والكتاب ورفع فى أيامنا أسباب الشك والارتياب ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو باخلاصه حسن العقبى والمصير ونزه خالقه عن التحيز فى جهة لقوله وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى نهج سبيل النجاة لمن سلك طريق مرضاته وأمر بالتفكر فى آلائه ونهى عن التفكر فى ذاته ــ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين علا بهم منار الايمان ورفع وشيد بهم قواعد الشرع وماشرع وأخمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع. وبعد فان العقائد الشرعية وقواعد الاسلام المرعية وأركان الايمان العلية ومذاهب الدين المرضية هى الأساس الذى يبنى عليه والموئل الذى يرجع كل أحد اليه والطريق الذى من سلكها فقد فاز فوزاً عظيما، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذابا أليما فلهذا يجب أن تنفذ أحكامها ويؤكد دوامها وتصان عقائد هذه الملة عن الاختلاف وتزان بالائتلاف وتخمد نوائر البدع ويفرق من فرقها ما اجتمع، وكان التقى ابن تيمية فى هذه المدة قد بسط لسان

قلمه ومد عنان كلمه وتحـدث فى مسائل الصفات والذات ونص فى كلامه على أمور منكرات وتكلم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون وفاه بما تجنبه السلف الصالحون وأتى فى ذلك بما أنكره أئمة الاسلام وانعقد عـلى خـلافه اجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه ما استخف به عقول العباد وخالف فى ذلك فقهاء عصره وعلماء شامـه ومصره وبعث برسائل إلى كل مكان وسمى فتاواه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان فلما اتصل بنا أنه صرح فى حق الله بالحرف والصوت والتجسيم ، قمنا فى الله مشفقين من هذا النبأ العظيم وأنكرنا هذه البدعة وعز علينا ان يشيع عمن تضم ممالـكنا هذه السمعة،وكرهنا ما فاه به المبطلون،وتلونا قوله سبحانه وتعالى عما يصفون،فانه جل جلاله تنزه فى ذاته وصفاته عن العديل والنظير لاتدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير. وتقدمت مراسيمنا باستدعاء التقى ابن تيمية إلى أبوابنا عند ماسارت فتاواه فى شامنا ومصرنا ، وصرح فيها بألفاظ ماسمعها ذوفهم إلا وتلا لقد جئت شيئا نكرا ، ولما وصل الينا تقدمنا بجمع أولى العقد والحل وذوى التحقيق والنقل وحضر قضاة الاسـلام وحكام الأنام وعلماء الدين وفقهاء المسلمين وعقدوا له مجلس شرع فى ملأ من الأئمة وجمع،فثبت عند ذلك جميع مانسب اليه بمقتضى خط يده الدال على سوء معتقده ، وانفصل ذلك الجمع وهم عليه وعلى عقيدته منكرون وآخذوه بما شهد به قلمه قائلين ستكتب شهادتهم ويسئلون،وبلغنا أنه استتيب مراراً فيما تقدم وأخره الشرع لما تعرض اليه وأقدم ثم عاد بعد منعه ولم تدخل تلك النواهى فى سمعه ولما ثبت عليه ذلك فى مجلس الحكم العزيز المالـكى حكم الشرع الشريف أنه يسجن هذا المذكور ويمنع من التصرف والظهور ، ومن يومنا هذا نأمر بأن لايسلك أحد مسلك المذكور من المسالك ، ونهى عن التشبه به فى اعتقاده مثل ذلك ، أو يعود له فى هذا القول متبعا أو لهذه الألفاظ مستمعا،وأن يسرى فى التجسيم مسراه،أويفوه بجهة العلو مخصصا كما فاه أو يتحدث انسان فى صوت أو حرف أو يوسع القول فى ذات أو وصف أو ينطق بتجسيم أو يحيد عن الصراط المستقيم أو يخرج عن رأى الأئمة وينفرد به عن علماء الامة أو يحيز الله تعالى فى جهة أو يتعرض إلى حيث وكيف،فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا إلا السيف ،فليقف كل

واحد على هذا الحد ولله الأمر من قبل ومن بعد، وليلزم كل الحنابلة بالرجوع عما أنكره الأئمة من هـذه العقيدة والخروج من هذه التشبيهات الشريدة ولزوم ماأمر الله به والتمسك بأهل المذاهب الحميـدة فانه من خرج عن أمر الله فقد ضل سواء السبيل ، وليس له غير السجن الطويل مستقر ومقيل فقد رسمنا أن ينادى فى دمشق المحروسة والبلاد الشامية وتلك الجهات مع النهى الشديد والتخويف والتهديد أن لايتبع التقى ابن تيمية فى هذا الامر الذى أوضحناه ، ومن تابعه منهم تركناه فى مثل مكانه وأحللناه ووضعناه عن عيون الأمة كما وضعناه ، ومن أعرض عن الامتناع وأبى إلا الدفاع أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم وإسقاطهم من مراتبهم ، وأن لايكون لهم فى بلادنا حكم ولا قضاء ولا إمامة ولا شهادة ولا ولاية ولا إقامة ، فاننا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد وأبطلنا عقيدته التى ضل بها العباد أوكاد ، ولتثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك ولتسير الينا المحاضر بعـد إثباتها عـلى قضاة الممالك فقد أعذرنا حيث أنذرنا ، وأنصفنا حيث حذرنا وليقرأ مرسومنا هذا على المنابر ليكون أبلغ واعظ وزاجر وأجمل ناه وآمر ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه . الحمد لله . صلى الله على سـيدنا محمـد وآله وسلم » انتهى مارأيته بخط الحافظ ابن طولون فى المجموعة الحسيبية التى كان فيها الدرة المضية والمقالة المرضية فى الرد على من ينكر الزيارة المحمدية للتقى الأخنائى والاعتبار فى بقاء الجنة والنار ودفع شبه من شبه وتمرد وغـيرها ، ونص المرسوم المقروء على الجمهور على منبر جامع القاهرة بعد صلاة الجمعة وعلى منبر جامع الفسطاط بعد العصر سلخ رمضان مدون فى نجم المهتدى لابن المعلم القرشى . وماقرئ على منبر جامع دمشق بعد وصول ابن صصرى القاضى من مصر به فى اليوم السادس عشر من شهر ذى القعدة سنة سبعمائة وخمس مدون فى دفع الشبه للتقى الحصنى وما نقلناه هنا من المراسيم التى قرئت على منابر البلاد الشامية وألفاظ تلك المراسيم كلها متقاربة فى المعنى وفى ذلك كله عبر بالغة فماذا علينا من عداء مثل هذا الفاتن المفتون ، ومن أحاط علماً بما نقلناه فى هذا الكتاب وغيره من نصوص عباراته وتأكد من الأصول صدق النقل واستمر

فصل

قال : « وتاسع عشرها إلزام المعطل لأى شيء لم يصرح النبي صلى الله عليه وسلم بنفى هذا [١] » .

ثم استمر هذا السفيه على سفهه .

فصل

قال : « والعشرون نصوص الاستواء (٢) سبع والفوق ثلاث والعلو خمسة والنزول أكثر من سبعين نصا ، والسماء منفطر به لم يسمح المتأخرون بنقله جبنا (٣) وضعفاً بل قاله المتقدمون » .

على مشايعته وعلى عده شيخ الاسلام فعليه مقت الله وغضبه ومن اشتبه فى شيء مما نقلناه فنحن على استعداد أن نسهل عليه سبيل الاطلاع على الاصول إن كان لا يكفيه ما يراه بنفسه فى منهاجه ومعقوله ونحوهما من كتبه المطبوعة والله سبحانه هو الهادى إلى سواء السبيل .

(١) ما للنقائص من آخر فهل تدون مجلدات فى نفى كل نقيصة نقيصة عنه تعالى بالرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وكفى قوله تعالى (ليس كمثله شيء) والمحتاج إلى الاثبات هو المثبت دون المنفى ، وكلمة هذا الرجل هذه تقول إن الله تعالى مثبت له من النقائص ملايين الملايين مما لم ينص النبي صلى الله عليه وسلم على نفيه بلفظ خاص وهل يقول هذا عاقل فضلا عن فاضل فضلا عن إمام يعتقد تابعوه أنه وحيد الأمة فضلا وعلماً .

(٢) ألفت نظر القارىء الكريم إلى أن الاستواء لم يذكر فى تلك الآيات إلا بصيغة الفعل المقرونة بأداة التراخى فى بعضها ، وذلك نص على أن الاستواء فعل من أفعال الله سبحانه لا صفة ذات له تعالى ، وجل الاله أن تحدث له صفة بعد أن لم تكن ومن قال إنه مستو نطق بما لم يأذن الله به كائنا كان ومن زاد وقال استوى بذاته بمعنى استقر فهو عابد وثن خيالى إن لم يكن عامياً .

(٣) وروى الحشوية فى تفسيره ألفاظاً وهى (ممتلىء به) و (مثقلة به) و (مثقلة به موقرة) و (يئط من ثقل الذات) وركبوا لها أسانيد فمن أثبت

هذا الرجل كما قال الله فيتبعون ما تشابه منه .

فصل

قال : « والحادي والعشرون إتيان رب العرش ومجيئه (١) من أين يأتى لا يأتى إلا من العلو » .

لله سبحانه ثقلا لم يدع مالم يفه به فى التجسيم والناظما ستنكر إمساك المتأخرين عن ذلك حتى باح بما فى نفسه ويحاول شيخه أن يجعل قول كعب الأحبار فى ذلك مما يمكن أن يكون سمعه من الصحابة فحاشاهم عن ذلك وفى جزء المنبجى تلميذ الناظم فى هذا الصدد مخاز ، ومن علم الحالة العامة عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم من عراقة البيئة فى الوثنية ومنازع الأمم المحدقة بها فى التشبيه والتجسيم كما أشرت إلى بعض ذلك فى مقدمة تبيين كذب المفترى لايصعب عليه معرفة وجه اندساس أعداء الدين بين الجمهور من عهد التابعين لبث ماعندهم من صنوف الزيغ بين أعراب الرواة وبسطاء مواليهم حتى وجدت تلك الأساطير من يذيعها بين الامة خلفاً عن سلف قاتلهم الله، ولولا قيام علماء أصول الدين فى كل قرن بكشف الستار عن وجوه هؤلاء المخذولين لاستفحل أمرهم وله الحمد فى الآخرة والأولى ، وهذا الناظم وشيخه قد جددا الكرة بسلاح جديد بتلبيس معتقدهما الزائغ بلباس النظر والتفلسف تارة على طريقة صاحب المعتبر أبى البركات البغدادى اليهودى وبلباس الرواية والأثر تارة أخرى وأمرهما كما ترى مكشوف مفضوح فى الحالتين بفضل الله وتوفيقه ولا عذر للمنخدعين بهما بعد ماسردناه فى هذا الكتاب .

(١) قال ابن حزم : روينا عن الامام أحمد فى قوله تعالى (وجاء ربك) إنما معناه وجاء أمر ربك كقوله تعالى هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك والقرآن يفسر بعضه بعضا . وهكذا نقله ابن الجوزى فى تفسيره زاد المسير ، وقال البيهقى فى مناقب احمد أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمى أبا عبدالله يعنى أحمد يقول : احتجوا على يومئذ — يعنى يوم نوظر فى دار أمير المؤمنين — فقالوا تجىء سورة البقرة يوم القيامة وتجىء سورة تبارك فقلت لهم إنما هو الثواب قال الله تعالى وجاء

ما كفاه إثبات الفوقية حتى أثبت الحركة فى الاتيان .

فصل

فى الاشارة الى ذلك من (١) السنة » .

قال : « لما قضى الله الخليقة ربنا كتبت يداه كتاب ذى إحسان »

أين لفظ كتبت يداه ؟

قال : « ولقد أشار نبينا فى خطبة نحو السماء بأصبع وبنان » .

تقدم جوابه .

ربك انما يأتى قدرته وإنما القرآن أمثال ومواعظ . قال البيهقى وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد فى المجئ الذى ورد به الكتاب والنزول الذى وردت به السنة انتقالا من مكان إلى مكان كمجئ ذوات الأجسام ونزولها وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته فانهم لما زعموا ان القرآن لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجئ والاتيان فأجابهم أبو عبد الله بانه إنما يجئ ثواب قراءته التى يريد إظهارها يومئذ فعبر عن اظهاره إياها بمجيئه اه وقال اليافعى بعد أن ساق ذلك قال العلماء وقد يقتضى الحذف من التعظيم والتفخيم مالا يقتضيه الذكر وشواهده من الكتاب كثيرة كقوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله او (إن الذين يؤذون الله ورسوله) وقد اجمع المسلمون على تقدسه تعالى عن التأذى والضرر اى يحاربون عباد الله وأولياءه ويوضحه قوله تعالى (فأتى الله بنيانهم) ليس المراد الاتيان بذاته بالاتفاق وإنما هو أمره ويشهد له قوله تعالى (أتاها امرنا ليلا أو نهاراً) اه والناظم وشيخه يدعيان الانتماء الى أحمد ولا يتابعانه فى التنزيه كما رأيت نصوص أهل العلم عن أحمد فلا ينخدع عن الموفق بثرثرتهما المفضوحة وتهويلهما المصطنع وإنما ذلك وقاحة منها قاتلهما الله ما أجرأهما على الله تعالى .

(١) قد أجمع أهل الحق على أنه لا يجوز إثبات صفة لله سبحانه بدون دليل يفيد العلم ولهم فى ذلك أدلة ناصعة قال أبو سليمان الخطابى فى (الناصحة) لا يجوز أن يعتمد فى الصفات إلا على الأحاديث المشهورة التى قد ثبتت صحة

قال : « ولقد أتى فى رقية المرضى نص بأن الله فوق (١) سمائه وخبر رواه العباس ان الله فوق العرش (٢)

أسانيدها وعدالة ناقليها اهـ ثم أقام النكير على قوم من أهل الحديث تعلقوا برواية المفاريد والشواذ فى الصفات ونكتفى بهذه الاشارة هنا . ولم يقع كتبت يداه فى الصحيح عند ذكر حديث سبقت رحمتى غضبى ، وأما مافى ابن ماجه فبطريق ابن عجلان وقد ضعفه البخارى ولم يكن مالك يرضاه فى الصفات فلا حجة فى رواية مثله على أن لفظه (كتب ربكم على نفسه بيده قبل ان يخلق الخلق رحمتى سبقت غضبى) قال الله تعالى : كتب ربكم على نفسه الرحمة . فكتب اذا تعدى بلفظ على يكون بمعنى أوجب فيكون معنى الحديث أوجب على نفسه بذاته لا بايجاب أحد سواه واستعمال (بيده) بمعنى بذاته شائع كثير والايجاب على النفس بمعنى الوعد والوجوب عن الله لا الوجوب على الله . فليس هناك خط ولا مخطوط ومن الدليل على ما قلنا أن الخط حادث مخلوق فكيف يتصور أن يكون قبل الخلق خلق فلا تغفل مع الغافلين .

(١) ولفظ الحديث (ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك) يدور هذا اللفظ بين أن يكون بمعنى انه تقدس اسمه فى السماء لأن اهل السماء كلهم منزهون بخلاف أهل الأرض وبين أن يكون بمعنى أنه فى السماء واستحالة الثانى تعين الأول والناظم غير اللفظ وادعى أنه نص تحريفا للكلم على أن فى سنده زيادة بن محمد وهو منكر الحديث والناظم يستدل بالمنكر فى الصفات مع تغيير نص الرواية والحديث مخرج فى سنن أبى داود .

(٢) فى رواية عبد الرزاق (والله فوق ذلك) ولفظ فوق العرش انما وقع فى بعض الروايات كما سبق على أن الحديث انفرد به سماك . وشيخه عبدالله ابن عميرة لم يدرك الاحنف كما نص عليه البخارى فضلا عن أن يدرك عباساً مع كونه مجهول الصفة وتحسين الترمذى باعتبار أنه مروى عن سماك بطرق لا بمعنى انه محتج به حيث قال حسن غريب ثم ذكر وقفه عن شريك عن سماك فتكون فى رفعه علة أيضا ويحيى بن العلاء فى مسند عبد الرزاق متروك هكذا تكون حجج الناظم فى السنة لا يبالى ان يكون الحديث من المفاريد او أن

واذكر حديث حصين (١) بن المنذر الثقة الرضى أعنى أبا عمران اذ قال ربى
فى السماء لرغبتى ولرهبتى أدعوه كل أوان فأقره الهادى البشير ولم يقل أنت

يكون فيه منكر أو مجهول أو انقطاع .دعنا من تخريج الضياء وقد عرف الناس
مذهبه فى الصفات وقال ابن العربى فى العارضة عن حديث الأوعال هذا :وروى
غير ذلك ولم يصح شئ منه وانما هى أمور تلقفت من أهل الكتاب ليس لها
أصل فى الصحة وقد روى ان النبى عليه السلام أنشد قول امية بن أبى الصلت:

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للأخرى وليث مرصد

ولم يصح اه .

(١) غلط الناظم فى اسم والد حصين كما يظهر من الكتب المؤلفة فى الصحابة
واسلام حصين صاحب القصة مختلف فيه ووصفه بالثقة الرضى مطلقا مجازفة
وأقل ما يقال فيه إنه لم يكن ثقة ولا رضى حين الحادثة على تقدير ثبوت الخبر.
ولسنا فى صدد استقصاء جهالات الناظم ويريد بحديث حصين ما رواه أحمد
ابن منيع عن أبى معاوية عن شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران بن حصين
قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى: « كم تعبد اليوم إلها؟ فقال ستة فى الأرض
وواحدا فى السماء ،قال: فأيهم تعده لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذى فى السماء. قال
يا حصين اما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك، فلما أسلم قال يارسول الله
علمنى الكلمتين، قال قل اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى». وأخرجه
عثمان بن سعيد السجزى الدارمى عن ابن منيع الى « الذى فى السماء» فقط فى
كتاب النقض محتجا به على اثبات الحد والنهاية والمكان له تعالى حتى قال:
فلم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم على الكافر اذ عرف أن إله العالمين فى السماء
لحصين الخزاعى فى كفره يومئذ كان أعلم بالله من المريسى وأصحابه . . . وقد
اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله فى السماء وحدوه بذلك . . وكل
احد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية اه » راجع معقول ابن تيمية فى هامش
منهاجه (٢ — ٣٠) تجده ينقل ذلك عنه بنصه وفصه بدون استنكار. والناظم
أتبع له من ظله فى كل صغير وكبير ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور .
وعثمان الدارمى هذا مجسم قح كما ترى وهو إمام الناظم وشيخه وإسلام عمران

المجسم قائل بمكان واذكر شهادته لمن قال ربي في السماء (١) بالايمان ، وشهادة المعطل له بالكفران ، وحديث (٢) الأطيط ، وحديث النزول (٣)

ابن حصين أيام خيبر وهذه الحادثة وقعت قبل الهجرة وحصين مشرك ولا يكون من التقرير في شيء ما يشاهده النبي صلى الله عليه وسلم في المشرك وسكت عليه وكيف يتصور عاقل أنه أقره على ما يدعيه الناظم ؟ إذ من المحال أن يقره على ستة في الارض . على أن عرضه الاسلام يدل على استنكار ماقاله حصين وعلى أنه كان على شر وضلال فيما قال وشبيب بن شيبة ضعفه النسائي وغيره ومثل هذا السند لا يستدل في الأعمال فضلا عن الاستدلال به في المعتقد وأما ما أخرجه ابن خزيمة في التوحيد فبلفظ آخر زيد فيه كلمة انقاذا للموقف لكن في سنده عمران ابن خالد وحاله أسوأ من أن يقال انه ضعيف بل هو مكشوف الأمر والروايتان مختلفتان فلا تجمعان ولا تلفقان ولا ينقذ هذا الموقف بمثل ذلك الترقيع فليتق الناظم رب العالمين من أن يسوق في صفات الله سبحانه أمثال تلك الروايات .

(١) وليس في رواية يحيي الليثي عن مالك لفظ (فانها مؤمنة) في حديث الجارية وقد سبق بيان اضطراب هذا الحديث سنداً ومتناً وعدم صلاحية مثله للاحتجاج إلا في الأعمال دون المطالب الاعتقادية وقد حمل الشريف الجرجاني لفظ (اين) في الحديث على السؤال الاستكشافي ، ومن أهل العلم من قال إن العامي الذي يعلو عن مداركه التنزيه عن المكان يؤخذ بالرفق ويعذر لهذا الحديث بخلاف من عنده بعض إلمام بالعلم ، وجعل ابن رشد الحفيد لصاحب البرهان شأنا غير شأن العامي في ذلك وقد سبق بسط ذلك كله .

(٢) قال الذهبي في كتاب العلو : لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت اهـ . وقد ألف الحافظ أبو القاسم بن عساكر جزءاً سماه (بيان التخليط في حديث الأطيط) بين فيه وجوه التخليط في روايات الأطيط فلا حاجة لتكلف التأويل بعد ثبوت بطلان تلك الروايات .

(٣) وقد سبق بيان ما فيه كفاية في هذا الصدد فلا نعيد الكلام بدون موجب

وحديث (١) ابن رواحة ، والمعراج (٢)

(١) يشير به إلى ماينسب إلى عبد الله بن رواحة رضى الله عنه من أنه أنشد

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

إيهاما لامرأته أنه يتلو القرآن دفعاً لما اتهمته به من نيله جارية له حتى قالت زوجته آمنت بالله وكذبت عينى اه وهذه قصة تذكر فى كتب المحاضرات والمسامرات دون كتب الحديث المعتمدة ولم ترد فى كتب أهل الحديث بسند متصل ولو من وجه واحد وأما ما وقع فى الاستيعاب من قول ابن عبد البر (رويناه من وجوه صحاح) فسهو واضح من الناسخ وأصل الكلام (من وجوه غير صحاح) فسقط لفظ (غير) فتتابعت النسخ على السهو إذ لم يجد أهل الاستقصاء سنداً واحداً يحتج بمثله فى هذه القصة بل كل ما عندهم فى هذا الصدد أخبار منقطعة وما يكون فى عهد ابن عبد البر مرويا بطرق صحيحة كيف لا يكون مرويا عند من بعده ولو بطريق واحد صحيح ؟ وهذا يعين ما قلناه من سقوط لفظ (غير) فى الكتاب . ولم يتمكن الذهبى بعد بذل جهده من ذكر سند واحد غير منقطع فى القصة وأفعال الصحابة كلها جد وجل مقدار مثل هذا الصحابى عن أن يوهم صحابية أنه يتلوا القرآن بانشاده الشعر لها . وإيهام كون الشعر من القرآن ليس مما يقر عليه النبى صلى الله عليه وسلم فمتن الخبر نفسه يدل على البطلان . على أن الحافظ ابن الجوزى ذكر فى كتاب الأذكياء أنه قال :

وفينا رسول الله يتلو كتابه كما انشق مرموق من الصبح ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استقلت بالمشركين المضاجع

وأين هذا الشعر من ذاك الشعر والحكاية هى هى . ولا مجال لتعدد القصة لأن المرأة لا تنخدع بمثل ذلك مرتين .

(٢) يحيل الناظم فى حديث المعراج الذى يريد أن يستدل به هنا على ما كتبه هو نفسه فى زاد المعاد فى الأوهام الواقعة فى حديث شريك فى المعراج وقد

وقريظة (١) ، وصعود الروح (٢) عند الموت ، وسخط الله (٣) على المرأة التى تهجر زوجها ، وحديث جابر في أهل الجنة إذا بنور (٤) ساطع فاذا هو الرحمن

بسط أهل العلم أغلاطه فيه .

(١) يعنى ما يروى عنه عليه السلام أنه قال لسعد بن معاذ حين حكم فى بنى قريظة بأن يقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم : « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة » وفى سند النسائى محمد بن صالح التمار ليس بقوى قال أبو بكر ابن العربى فى القواصم : لم يصح اه على أن حكم الله يطلع عليه الملائكة باطلاعهم على اللوح المحفوظ فيكون معنى كون حكمه فى السماء كون حكمه فى اللوح المحفوظ الذى هو فى السماء .

(٢) أخرجه أحمد وابن خزيمة وفيه لفظ « حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الرب ». وليس السند إليهما كالسند إلى الاصول الستة وقد أعرض عن تخريجه أصحاب الاصول الستة وهذا اللفظ منكر والظاهر أنه من تغيير بعض الرواة وقد أجمع المسلمون على أن الله سبحانه لا تحويه السماء ولا الأرض وأنه منزه عن المكان قال الخطيب البغدادى فى الفقيه والمتفقه : إذا روى الثقة المأمون خبراً متصل الاسناد رد بأمور أحدها أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول وأما بخلاف العقول فلا اه. وأما هذا فمخالف للكتاب والسنة والمعقول فى آن واحد .

(٣) ولفظ مسلم « كان الذى فى السماء ساخطا عليها » وليس فى هذا اللفظ التصريح بما يرمى اليه الناظم ومثل هذا الحديث من أخبار الآحاد يحمل على المحكمات وليس فى الحديث . ذكر الرب سبحانه وحمله عليه تقول وعلى فرض حمله عليه ليس معنى كونه فى السماء الاستقرار والتمكن فيها باتفاق بل معنى ذلك علو الشأن كما سبق .

(٤) أخرجه ابن ماجه بطريق العبادانى وهو منكر الحديث وفضل الرقاشى ممن لا يكتب حديثه وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وأقر الذهبي

وحديث فضل [1] يوم الجمعة ، وأمين[2] من فى السماء ، واذكر حديث أبى رزين [3] وبطوله ساقه ابن إمامنا والطبرانى وأبو بكر بن زهير واذكر كلام مجاهد فى قوله أقم الصلاة فى سبحان فى ذكر تفسير المقام

بكونه ضعيف الاسناد وبمثله يحتج الناظم !! .

(١) غير صالح للاحتجاج بالمرة ولا سيما فى مثل هذا المطلب ولابن عساكر الحافظ جزء سماه (القول فى جملة الأسانيد الواردة فى حديث يوم المزيد) وبين فيه وجوه الوهى فيها وقال إن لهذا الحديث عن أنس عدة طرق فى جميعها مقال . وفى بعض طرق الحديث ما يخيل إلى الناظر أنه فى احتفاء باحد رجالات العرب تعالى الله عما اختلقه أعداء الدين وركبوا له أسانيد ما أنزل الله بها من سلطان .

(٢) وهو أمين من فى الأرض من المؤمنين وأمين سكان السماوات كلهم فماذا فى هذا الحديث مما يرمى إليه الناظم .

(٣) سبق الكلام فى حديث أبى رزين ونود أن نعلم هل كان الناظم يعتقد صحة جميع ما فى كتاب السنة المنسوب إلى عبد الله بن أحمد فاذ ذاك يسقط التابع والمتبوع وجل مقدار أحمد أن يصح عنه جميع ما فى الكتاب المذكور ومن طالعه من أهل العلم لايتردد أنه ليس بكتاب يحتج بجميع مافيه ومن جملة ما فيه : رآه على كرسى من ذهب يحمله أربعة : ملك فى صورة رجل وملك فى صورة أسد وملك فى صورة ثور وملك فى صورة نسر فى روضة خضراء دونه فراش من ذهب . ومنها : كله بصوت يشبه الرعد . ومنها : أوحى الله إلى الجبال إنى نازل على جبل منك . ومنها : ان الرحمن ليثقل على حملة العرش من أول النهار إذا قام المشركون حتى إذا قام المسبحون خفف عن حملة العرش ومنها « السماء منفطر به » مثقل وممتلئ به . ومنها : أنه ليقعد عليه فما يفضل منه الاقيد أربع أصابع . ومنها فأصبح ربك يطوف فى الأرض . إلى آخر ماتجده فى النسخة المطبوعة من كتاب السنة . وقوله « نازل على جبل منك » يذكرنا ما أخرجه أبو إسماعيل الهروى فى الفاروق عن كعب : إن الله نظر

لأحمد (١) إن كان تجسيما فان مجاهداً هو شيخهم بل شيخه الفوقانى ولقد أتى ذكر الجلوس به » .

هذه الأحاديث كلها قد ذكرها الأئمة وذكروا تأويلاتها من قديم الزمان وإلى الآن.

إلى الأرض فقال إنى واطىء على بعضك فاستبقت له الجبال وتضعضعت الصخرة فشكر لها ذلك فوضع عليها قدمه فقال هذا مقامى . . . اه . وهذا الهروى الخرف يروى فى ذم الكلام عن بعض قادته أنه لا تحل ذبائح الأشعرية لأنهم ليسوا بمسلمين ولا بأهل كتاب اه . والله ينتقم منه . وأما الطبرانى فمن المعروف عند أهل النقد أنه من الذين يروون الحديث الموضوع والضعيف بدون بيان كونه موضوعا أو ضعيفا بل ينسب اليه تصحيح حديث عكرمة فى الرؤية على صورة شاب أمرد . . . فلا حب ولا كرامة .

(١) مروى عنه بطرق ضعيفة وتفسيره بالشفاعة متواتر معنى عن النبى صلى الله عليه وسلم فأنى يناهضه قول تابعى على تقدير ثبوته عنه ؟ ومن يقول إن الله سبحانه قد أخلى مكانا للنبى صلى الله عليه وسلم فى عرشه فيقعده عليه فى جنب ذاته فلا نشك فى زيغه وضلاله واختلال عقله رغم تقول جماعة البربهارية من الحشوية وكم آذوا ابن جرير حتى أدخل فى تفسيره بعض شىء من ذلك مع أنه القائل :

سبحان من ليس له أنيس ولا له فى عرشه جليس

ولو ورد مثل ذلك بسند صحيح لرد وعدّ أن هذا سند مركب فكيف وهو لم يرفع إلى النبى صلى الله عليه وسلم أصلا بل نسب إلى مجاهد بن جبر نعم لا مانع من أن يكون الله سبحانه يقعده على عرش أعده لرسوله فى القيامة اظهاراً لمنزلته لا أنه يقعد ويقعده فى جنبه تعالى الله عن ذلك . إذ هو محال يرد عنله خبر الآحاد على تقدير وروده مرفوعاً فكيف ولم يرد ذلك فى المرفوع حتى قال الذهبى : لم يثبت فى قعود نبينا على العرش نص بل فى الباب حديث واه. وقال أيضاً : ويروى مرفوعاً وهو باطل . فما ذكره ابن عطية من التأويل

« فصل »

في جناية التأويل (١) على ما جاء به الرسول » .

فذكر أن التأويل أصل كل بلية ثم قال : «والتأويل الصحيح هو تفسيره

وسايره الآلوسي فليس في محله لأن أصحاب الاستقراء لم يجدوه مرفوعاً حتى نحتاج إلى محاولة التأويل بما يمجه الذوق ومن ظن أنه يوجد في مسند الفردوس ما يصح في ذلك لم يعرف الديلمي ولا مسنده وأرسل الكلام جزافا. جزى الله الواحدي خيراً حيث رد تلك الاخلوقة رداً مشبعاً وكذا ابن المعلم القرشي و أما ما يروى عن أبي داود أنه قال من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم . فبطريق النقاش صاحب شفاء الصدور وهو كذاب عند أهل النقد وقال ابن عبد البر إن لمجاهد قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما تأويل المقام المحمود بهذا الاجلاس والثاني تأويل(إلى ربها ناظرة)بانتظار الثواب. وفتنة أبي محمد البربهاري ببغداد في الاقعاد وصمة عار يأبى أهل الدين أن يميلوا إليها لاستحالة ذلك وتضافر الأدلة على تفسير المقام المحمود بالشفاعة وإنما هذه الاسطورة تسربت إلى معتقد الحشوية من قول بعض النصارى بأن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء وقعد في جنب أبيه تعالى الله عن ذلك فحاولوا أن يجعلوا للنبي صلى الله عليه وسلم مثل ما جعله النصارى لعيسى عليه السلام مسابقة لهم تعالى الله عن ذلك فعليك أن تتهم من يقول إني أتهم من ينفي حديث الاقعاد في جنب الله عز وجل .

(١) من كلام العرب مايفهم منه مراد المتكلم بمجرد سماعه بدون احتياج إلى التدبر ومنه مالا يفهم المراد منه إلا بعد التأمل فيما يؤول إليه ذلك الكلام والتأويل تبيين ما يؤول إليه الكلام بعد التدبر فمن نفى التأويل جملة وتفصيلا فقد جهل الكتاب والسنة ومناحي كلام العرب في التخاطب . وأبو يعلى الحنبلي المسكين — من أئمة الناظم — ألف كتابا سماه (إبطال التأويلات في أخبار الصفات)أتى فيه بكل طامة حتى قال عنه أبو محمد رزق الله التميمي الحنبلي: لقد بال أبو يعلى على الحنابلة بولة لا يغسلها ماء البحار . كما ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، ولفظ ابن الاثير في الكامل أقطع وأما لفظ

وظهور معناه كقول عائشة يتأول القرآن وحقيقة التأويل معناه الرجوع إلى.

ابن الجوزى فى دفع الشبه فرواية بالمعنى وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى الحنبلى فى دفع شبه التشبيه كثيراً من مخازيه بل فى تأسيس ابن تيمية نقول كثيرة من كتاب (إبطال التأويلات) منها إثبات الحد له تعالى من الجانب الأسفل تعالى الله عن ذلك . ويأسف الانسان كل الاسف أن يضل مثل أبى يعلى هذا الضلال وما ذلك الا من عدوى خلطائه فلو كان والده الذى كان من أخص أصحاب أبى بكر الرازى الجصاص رأى ما آل إليه أمر ابنه اليتيم عنه لبكى بكاء مراً وتبرأ منه ومن عقائده . ومما زاد فى ويلات الكتاب اعتداده بكل خبر غير مميز بين المختلق وغيره .ولأبى يعلى هذا كتاب المعتمد فى المعتقد وهو قريب إلى السنة ونرجو أن يكون هذا آخر مؤلفاته ليكون قاضياً على ما سلف منه وإلا فيا للعار والنار من مسايرة الأشرار فمن أول فى كل موضع فهو قرمطى كافر ومن أبى التأويل فى كل آية وحديث . فهو حجرى زائغ كابن الفاعوس الحنبلى الذى لقب بالحجرى حيث كان يقول إن الحجر الاسود يمين الله حقيقة . قال أبو بكر بن العربى عن الظاهرية :

قالوا الظواهر أصل لايجوز لنا * عنها العدول إلى رأى ولا نظر

بينوا عن الخلق لستم منهم أبداً * ما للانام ومعلوف من البقر

اه . وقد قال ابن عقيل الحنبلى «هلك الاسلام بين طائفتين الباطنية والظاهرية والحق بين المنزلتين وهو أن نأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع » وللغزالى جزء لطيف سماه قانون التأويل وهو يقول فيه عند البحث فيما اذا كان بين المعقول والمنقول تصادم فى أول النظر وظاهر الفكر : « والخائضون فيه تحزبوا إلى مفرط بتجريد النظر إلى المنقول وإلى مفرط بتجريد النظر إلى المعقول وإلى متوسط طمع فى الجمع والتلفيق والمتوسطون انقسموا إلى من جعل المعقول أصلا والمنقول تابعا وإلى من جعل المنقول اصلا والمعقول تابعا وإلى من جعل كل واحد أصلا» : ثم شرح هؤلاء الأصناف الخمسة شرحاً جيداً لا يستغنى عنه باحث حفظنا

الله سبحانه من الافراط والتفريط وسلك بنا سواء السبيل وفى الاطلاع على جزء الغزالى هذا فوائدفى هذا الصدد .

وأما قول ابن حجر فى فتح البارى « إنه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أحد من الصحابة بطريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شئ من ذلك ـ يعنى المتشابهات ـ ولا المنع من ذكره ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه ربه وينزل عليه (اليوم أكملت لكم دينكم) ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه تعالى مما لا يجوز مع حثه على التبليغ عنه بقوله (ليبلغ الشاهد الغائب) حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وما فعل بحضرته فدل على أنهم اتفقوا على الايمان بها على الوجه الذى أراده الله تعالى منها ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى (ليس كمثله شئ) فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم وبالله التوفيق اه » فليس مما يستطيع الحشوى أن يتخذه سنداً فى ترويج مزاعم المشبهة ـ رغم محاولة بعضهم ذلك لأن فى سياق كلامه ما يحتم التفويض مع التنزيه وهو مذهب جمهور السلف وليس أحد من أهل العلم يمنع من إجراء المتشابه فى الكتاب والسنة المشهورة على اللسان بدون خوض فى المعنى فمن خاض وحمل على ماينافى التنزيه فهو الذى خالف سبيلهم بل الصحابة كلهم أجمعوا على تنزيه الله سبحانه عن مشابهة المخلوقات فى ذاته وصفاته وأفعاله ومن ضرورة ذلك صرف الالفاظ المستعملة فى الخلق عن معانيها المتعارفة بينهم إلى معان تتسامى عنها عند نسبة تلك الالفاظ إلى الله سبحانه على مقتضى قوله تعالى (ليس كمثله شئ) وهو تأويل إجمالى وأما تعيين تلك المعانى المتسامية تفصيلا بقرائن قائمة فما يختلف مبلغ انتباه أهل العلم إليه على اختلاف ما آتاهم الله من الفهم فمن بان له وجه الكلام كوضح الصبح يسلك طريق التبيين بل يدخل هذا المتشابه فى حقه فى عداد المحكم ـ وذلك كالنظرى بالنسبة إلى الحدسى وكم من نظرى مستصعب عند أناس يكون حدسيا مكشوفاً عند أناس آخرين ـ فأحاديث النزول مثلا إبعادها عن معان توجب التشبيه والنقلة موضع اتفاق بين أهل الحق سلفاً وخلفاً وحملها على المجاز فى الطرف أو على الاسناد المجازى استعمال عربى صحيح وموافق للتنزيه

وقد يترجح عند بعضهم الأول وعند بعضهم الثانى ، ولكن الذى صح عنده رواية الانزال أو اطلع على صحة حديث ابى هريرة فى سنن النسائى (إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فيستجاب له) يجزم بإرادة الاسناد المجازى فى باقى الروايات فيخرج حديث النزول فى نظره من عداد المتشابه ويدخل فى عداد المحكم حيث رده إليه . قال الامام المجتهد ابن دقيق العيد : « إن كان التأويل من المجاز البين الشايع فالحق سلوكه من غير توقف ، أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه ، وإن استوى الأمران فالاختلاف فى جوازه وعدم جوازه مسألة فقهية اجتهادية والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين اه » .

وهذا كلام نفيس جداً ينبئ عن علم جم ، وصراحة فى بيان الحق ، وتوسط حكيم بخلاف كلام الذين يسعون فى إرضاء الطوائف بكلام معقد متشابه يفتح باب التقول لمن بعدهم من الزائغين فى المتشابهات وأين هؤلاء من ابن دقيق العيد فى التروى والامانة والصراحة والتحقيق والجمع بين الأصلين الفقه والحديث ؟ . وعن ابن دقيق العيد هذا يقول ابن المعلم : (كان مبارزاً لأهل البدع من الحشوية والصوتية والقائلين بالجهة . . . منكراً عليهم بيده ولسانه ولفظه وجنانه يغرى ويؤلب عليهم ولا يدع لهم رأسا قائمة الا اقتطعها ولا شجرة يخشى شرها الا اقتلعها) فتبين من ذلك أن المسلم فى سعة من التفويض والتأويل فالأول فى حينه أسلم والثانى بشرطه أحكم فلا يتصور أن ينقل التصريح بوجوب التأويل التفصيلى عن الصحابة لأنه لو نقل لوجب التأويل التفصيلى على العالم والجاهل على حد سواء وهذا مما يبرأ منه الشرع الحنيف .

وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم لايخوضون فى المعضلات حرصا منهم على معتقد الذين قرب عهدهم بالجاهلية وتدريباً لهم على الاعمال النافعة دون المماحكات الفارغة، لأن الخوض فيها يضر ولا ينفع فى شخص دون شخص وفى وقت دون وقت — وعمل الفاروق رضى الله عنه فى صبيغ معروف — ولم يتقاعس الصحابة عن الاجابة عند حدوث ضرورة كما فعل ابن عباس رضى الله عنهما مع نافع بن الازرق فلا يكون المؤول بشرطه مخالفا للصحابة رضى الله

عنهم بل مقتديا بهم وقد سرد المحدث النظار الفخر بن المعلم القرشي الشافعي فى (نجم المهتدى) فى باب خاص منه نماذج كثيرة من التأويلات المروية عن الصحابة والتابعين وقد اكتظت كتب التفسير بالرواية بما روى عنهم فى هذا الصدد ، وكانت الصحابة يفهمون بسليقتهم كلام الله وكلام رسوله ولم يكن يصعب عليهم فهم ما يستعصى فهمه على كثير ممن تأخر زمنه عن زمن الوحى ولم يقع فى كلام أحد منهم شئ ينافى التنزيه أصلا وأما ما وقع فى بعض الروايات مما يوهم ذلك فمن تغيير أعراب الرواة وأعاجمهم والرواية بالمعنى من غير فقهاء الرواة فى حاجة إلى التنقيب والنظر وحيث كان غالب ألفاظ الروايات ألفاظ الرواة — على حسب فهمهم المعانى — لا يعول محققو علماء العربية فى اللغة على ألفاظ الحديث المروى بالمعنى فكيف يتصور أن يتخذ علماء أصول الدين ألفاظ هؤلاء الرواة — على حسب أفهامهم — حجة فى دين الله من غير نظر فيما إذا كان مخالفاً للتنزيه والبراهين القائمة ؟ . والحاصل أن التفويض مع التنزيه مذهب جمهور السلف لانتفاء الضرورة فى عهدهم والتأويل مع التنزيه مذهب جمهور الخلف حيث عن لهم ضرورة التأويل لكثرة الساعين فى الاضلال فى زمنهم ، وليس بين الفريقين خلاف حقيقى لأن كليهما منزه ومن أهل العلم من توسط بين هؤلاء وهؤلاء كما أشرت اليه .

وأما المشبهة فتراهم يقولون : نحن لا نؤول بل نحمل آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها . وهم فى قولهم هذا غير منتبهين إلى أن استعمال اللفظ فى الله سبحانه بالمعنى المراد عند استعماله فى الخلق تشبيه صريح وحمله على معنى سواه تأويل على أن الأخبار المحتج بها فى الصفات إنما هى الصحاح المشاهير دون الوحدان والمفاريد والمناكير والمنقطعات والضعاف والموضوعات مع أنهم يسوقون جميعها فى مساق واحد فى كتب يسمونها التوحيد أو الصفات أو السنة أو العلو أو نحوها .

ومن الأدلة القاطعة على رد مزاعم الحشوية فى دعوى التمسك بالظاهر فى اعتقاد الجلوس على العرش خاصة قوله تعالى (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب) وقوله تعالى (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقوله تعالى (واسجد

واقترب) وقوله تعالى (والله بكل شئ محيط) وقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) إلى غير ذلك مما لا يحصى فى الكتاب والسنة المشهورة مما ينافى الجلوس على العرش وأهل السنة يرونها أدلة على تنزه الله سبحانه عن المكان كما هو الحق فلا يبقى للحشوية أن يعملوا شيئاً إزاء أمثال تلك النصوص غير محاولة تأويلها مجازفة أو العدول عن القول بالاستقرار المكانى فأين التمسك بالظاهر فى هاتين الحالتين ؟ . وهكذا سائر مزاعمهم على أن من عرف أقسام النظم باعتبار الوضوح والخفاء وأقر بكون آيات الصفات وأخبارها من المتشابه كيف يتصور فى هذا المقام ظاهراً يحمل المتشابه عليه ؟ . وإنما حقه أن يحمل المتشابه فى الصفات على محكم قوله تعالى (ليس كمثله شئ) بالتأويل الاجمالى ومن الحشوية من يزعم أن الآية المذكورة متشابهة ليتنكب الحمل المذكور ، بل منهم من بلغ به الكفر إلى حد أن يقول (له ساق كساقى هذه والمراد بالآية نفى المماثلة فى الالهية لا فى كل أمر) كما تجد ذلك فى ترجمة العبدرى الظاهرى فى تاريخ ابن عساكر . وهذا كفر بواح ، فتلاوة المشبه الآية المذكورة لا تفيد بمجردها التنزيه بالمعنى الذى يفهمه أهل الحق من الآية فلا تغفل ولا تنخدع . فمن المضحك المبكى تمسكهم مرة فى نفى العلم بالتأويل بقوله تعالى (وما يعلم تاويله الا الله) باعتبار الوقف على الاسم الكريم مع دعوى الحمل على الظاهر ، وزعمهم أخرى أن التأويل بمعنى التفسير مع الوقف على (والراسخون فى العلم) مدعين أنهم يعلمون تأويل المتشابه باعتبار أنهم من الراسخين فى العلم ومجترئين على النطق بكلمات فى المتشابهات لا ينطق بمثلها من يخاف مقام ربه وأما أهل الحق فلا يدعون معرفة جميع التأويل بل يفوضون علمه إلى الله ويردون المتشابه إلى المحكم جملة وتفصيلا ولا يحملون لفظ التأويل فى تلك الآية على خلاف معناه المعلوم من السياق بل يحمل بعض المحققين منهم النفى فى الآية — بالوقف على لفظة الله كما هو المؤيد دراية ورواية — على سلب العموم دون عموم السلب بالنظر إلى أن التأويل مصدر مضاف فيكون من ألفاظ العموم فبانصباب النفى على العموم يكون المعنى : ما يعلم غيره تعالى بنفسه جميع التأويل وهذا لا يمانع معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم جميع التأويل بتعليم الله سبحانه وحيا ولا يمنع أهل العلم من الأمة من السعى فى

معرفة مادون الجميع من التأويل كما هو حكم رفع الايجاب الكلي ، ومنهج كثير من السلف الذين اختاروا الوقف على لفظة الله فضلا عن الخلف وبهذا تعرف قيمة ما أطال به ابن تيمية الكلام في تفسير سورة الاخلاص متظاهراً بالمسايرة مع الخلف مخادعة منه في صدد توهين الوقف على لفظة الله مع إخراج التأويل عن معناه ليتمكن من حمل المتشابهات على معتقد الحشوية فاذا تدبرت كلامه الطويل هناك تحت نور هذا البيان تجده يضمحل ويذهب هباء ومن الطريف تأويل التأويل ممن ينكر التأويل ويدعى الأخذ بالظاهر .

ثم إني أوصي الشحيح بدينه أن لا يلتفت إلى كلام مثل البرهان الكوراني (وله أمثال) ممن ضاع صوابه بين نزعات متضاربة من حشوية وتصوف وفلسفة وكلام حيث أطلق عنان الهذيان في التلفيق بينها من غير أن يستبحر في علم منها والكلام بعد الاستطراف المجرد موقع في التخريف ومصداق ذلك في (الأمم لايقاظ الهمم) له في (ص ٢٣ — ٢٦) منه فما يرويه فيه عن كتب تنسب إلى الاشعري على خلاف ماهو مدون في كتب أصحابه وأصحاب أصحابه ليس بموضع تعويل لمنافاته لنقل الكافة ولابادة الحشوية لكتبه في فتن بغداد ولتصرفهم في البقية الباقية التي يذيعونها بما يخالف نقل الكافة ولعدم روايتها سماعا بطريق أهل السنة كما بينت ذلك في موضع آخر . وأما مايرويه عن عبد الغني المقدسي بسنده عن الشافعي من الاعتقاد فباطل موضوع وفي سنده العشاري وأبو العز بن كادش وسيأتي حالهما في أواخر الكتاب وعبد الغني نفسه ليس ممن يقبل قوله في الصفات راجع ذيل الروضتين . فلا يعول على مثل هذا السند الا مثل الكوراني . وقول الكوراني بالتجلي في الصور مجون في مجون وجنون ليس فوقه جنون وقال أبو بكر ابن العربي في القواصم والعواصم (٢ — ٢٨) فيمن يحمل حديث (. . . فيأتيهم في صورة ثم يأتيهم في صورة أخرى ...) على التبدل والانتقال والتحول : إنه ليس من أهل القبلة بل حكم بخروجه أصلا وفرعا من الملة . وحمل الصورة على ظاهرها فضيحة ليس فوقها فضيحة والله هو الهادي .

الحقيقة لاخلف بين أئمة التفسير فى هذا، تأويله هو عندهم تفسيره بالظاهر(١) ما قال منهم قط شخص واحد تأويله صرف عن الرجحان ولا نفى الحقيقة ».

قال الله فى المتشابه . ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله : فكيف يكون تأويله تفسيره بالظاهر والمتشابه لاظاهر له وقوله ماقال منهم أحد إن التأويل صرف عن الرجحان : كذب بل خلق قالوا ذلك وينطلق التأويل أيضاً على تدبر القرآن وتفهم معناه .

« فصل »

فيما يلزم مدعى التأويل »

ثم قال : « دليل صارف واحتمال اللفظ وتعيين المقصود » .

---

(١) وحمل التأويل على معنى التفسير فى باب المتشابهات تحريف للكلم عن مواضعه وملاحظة ظاهر للمتشابه جهل يأباه كثير من العامة فضلا عن الخاصة وقد رضى الناظم لنفسه بهذا الجهل وأنى يتصور ظاهر فى متشابه ؟ فالظاهر فى اللغة يقابل الخفى فلايتصور حيث لايكون المدلول عليه واضحا فلا يعقل أن يلاحظ هذا المعنى فى المتشابه الذى هو غاية فى الخفاء، وأما فى أصول الفقه فهو بمعنى الراجح من الاحتمالين بالوضع أو بالدليل وهو من أقسام الوضوح المقابل للخفاء الذى من أقسامه المتشابه فلا يتصور اجتماعهما فى لفظ ويطلق الظاهر أيضا على ما يدل على المراد باحدى الدلالات المعتبرة عند أهل اللسان فيكون مقابلا للباطن الذى ابتدعه القرامطة ولاشأن لهذا المعنى فى هذا المبحث وقد يطلق الظاهر بمعنى المستفيض المشهور وهو مراد من يقول من أهل السنة (باجراء أخبار الصفات على ظاهرها) حيث يريد اجراء اللفظ المستفيض عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صفات الله على اللسان كما ورد مع التفويض أو التأويل على ما سبق وهذا المعنى هو المراد فى قول الفقهاء (هذا ظاهر الرواية) يعنون أنه المروى عن صاحب المذهب بطريق الاستفاضة والشهرة . وفيما علقت على الاختلاف فى اللفظ (ص ٤٥) : « أما ما يروى عن بعض السلف من إجراء أحاديث الصفات وامرارها على ظاهرها

هذا كثرة كلام فى أمر سهل مفروغ منه .

« فصل »

« فى طريقة ابن سينا (١) وذويه من الملاحدة فى التأويل » .

ذكر ابن سينا والملاحدة هنا للتنفير وإلا لما جاء بابن سينا والملاحدة معنا قال : « ويقول تأويلى كتأويل الفوقية والصفات والعلو تأويله أشد من تأويل القيامة وحدوث العالم » .

ليس مقصود هذا الناظم إلا أن يقطع مقالات خصومه من الفقهاء وأهل

فليس بمعنى الظاهر المصطلح فى اصول الفقه الذى يبقى حين ترجح الاحتمال الآخر بالدليل كالنجم عند شروق الشمس ولا بمعنى ما يظهر للعامة من اللفظ بل بالمعنى المقابل للغريب الذى ينفرد بلفظه راو فى إحدى الطبقات فيكون بمعنى تجويز امرار اللفظ على اللسان واجرائه عليه إذا كان اللفظ مرويا بطريق الظهور والشهرة فى جميع الطبقات كما وقع اطلاق الظاهر بهذا المعنى فى كلام الامام مالك رضى الله عنه وغيره وقد يغالط بعضهم فى ذلك فيضل ويضل فلزم التنبيه على ذلك اهـ » .

(١) ذكر الغزالى مخالفته لما عليه أهل الحق فى نحو عشرين مسألة أكفره بثلاث منها وبدعه فى الباقى فى كتاب التهافت فقدم العالم وإنكار الحشر الجسمانى ومسألة العلم بالجزئيات هى المكفرات عنده لكن الناظم وشيخه قائلان بالقدم النوعى ولا يقولان باعادة الأجزاء المعدمة بل ولا بجمع الأجزاء المفرقة — راجع تفسير سورة الاخلاص لشيخه — وقولهما فى العلم بالمتجددات معروف — راجع ما سننقله من مفردات ابن تيمية من ذخائر القصر — فهما من أوقع الناس فى شبكة التفلسف عن جهل ، على أن قول ابن رشد فى تهافت التهافت ومناهج الأدلة وقول الرازى فى المطالب العالية وقول الدوانى فى شرح العضدية مما يثير اهتمام الباحث بتلك المسائل . وقد صرح ابن سيناء فى بعض كتبه بأن العقل لا يدرك غير الحشر الروحانى وأما البعث الجسمانى فطريق معرفته وحى الرسل وليس فى هذا انكار للبعث الجسمانى .

العلم ويجعلها فى قلوب العامة أقبح من مقالات الفلاسفة لتشتد نفرتهم عنها واندفع في مخارق وسفه ودعاوى لا حقيقة لها .

« فصل »

قال : « هذا وثم بلية مستورة وبث المحرف من اليهود وأنى الى حزب الهدى وأعظام شبه اليهود قال استوى استولى وذا من جهله عشرون (١) وجها تبطله أفردت بمصنف تصنيف حبر عالم ربانى وشبه النون التى زادتها اليهود في حطة بلام تعطيل الجهمية » .

وهذا من الخرافات .

« فصل »

قال : « ومن العجائب قولهم فرعون مذهبه العلو وفرعون قال إن موسى كاذب إذ ادعى فوقية الرحمن » .

أين ادعى موسى فوقية الرحمن ؟ .

« فصل »

قال :« تركيب استوى مع حرف الاستعلاء نص فى العلو بوضع كل لسان»

نص فى العلو أما فى الذات فلا ، فقولك : استوى قيس عـلى العراق . لا يستلزم أن يكون إذ ذاك في العراق بل ملكه فيها وعليها .

« فصل »

كله دعاوى وفقاقع فارغة.

« فصل »

---

(١) وقد سبق إبطال جميع تلك الوجوه ، والمصنف ذ كر فيما سبق وجه حسن استعمال استوى مجازاً عن استولى بحيث لا يدع لقائل مقالا ، على أن الاستعارة التمثيلية فى هذا المقام أقعد وأوقع فيكون المجاز على هذا التقدير فى المركب دون أن يسرى فى مفرداته كما هو مدون فى محله وقد أشرت إلى اختيار ذلك فيما علقته على الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة (ص ٤١) .

فيه إنكار المجردات (١) .

« فصل »

سوى فيه بينهم وبين المنافقين والقرامطة وجعل المجسمة مقابل الجميع ، وأن ما ثم إلا التجسيم أو التعطيل وقد تقدم مثله ، وإنما زاد التكرير والتفظيع ليزرع الريبة في القلوب .

« فصل »

قال : « الاستواء ونحوه والمشيئة ونحوها كلاهما من صفات الأجسام — وطلب الفرق بينهما — والله لو نشرت شيوخك كلها لم يقدروا أبداً على فرقان »

انظر هذا الجلف الجازي على مالا يعلم ، وكل عاقل يعلم أن الاستواء بمعنى القعود أقرب إلى صفات الأجسام من المشيئة والقدرة .

قال : « قال زعيمهم في الفرق هذه الصفات بالعقل والقرآن فيقال إن نفى العقل التجسيم فانفوها وانسلخوا من القرآن وإن أثبته فلم الفرار ؟ وإن نفاه في وصف وأثبته في وصف فما الفرق ؟

انظر هل بعد هذا الكلام شيء في التجسيم (٢) ؟ .

---

(١) القول بتجرد الروح مما ذهب اليه إمام الهدى أبو منصور الماتريدى والحليمى والراغب والغزالى والبيضاوى وغيرهم من كبار علماء السنة وبه يزول كثير من الاشكالات وإن خفيت أدلة ذلك على جمهور المتكلمين فضلا عن مكسرى الحشوية .

(٢) وشيخه أصرح منه وأجهر صوتاً في ذلك حيث يقول فيما رد به على اساس التقديس : « ومن المعلوم بالاضطرار ان اسم الواحد في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات — يريد ما يشمل المجيء ونحوه — ولا سلب ادراكه بالحواس ولا نفى الحد والقدر ونحو ذلك من المعانى التى ابتدع نفيها الجهمية وأتباعهم ، ولا يوجد نفيها في كتاب ولا سنة اهـ » . وهذا صريح جداً لعلك لا تحوجنى الى شرح ذلك راجع الكواكب الدرارى لابن زكنون الحنبلى المحفوظ بظاهرية دمشق في المجلد رقم ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ منه رده على اساس

« فصل »

كله سفاهة .

« فصل »

حكى مذاهب خصومه بأقبح ما يكون ثم قال : «جربت هذا كله ووقعت في تلك الشباك وكنت ذا طيران حتى أتاح لى الآله بفضله من ليس تجزيه يدى ولسانى حبر أتى من أرض حران فيا أهلا بمن قد جاء من حران [١] » .

التقديس وفيه فوق ماتقدم التصريح بأنه يمكنه التزام قدم بعض الأجسام يريد البارى سبحانه فهل يتصور أن ينطق مبتدع مارق بأصرح من هذا فى وسط المسلمين والناظم متقلد مذهبه بدون تفكير والله سبحانه ينتقم منهما عما أثارا من الفتن بين العوام .

(١) وكم أضل من خلطائه ولهم معه موقف يوم القيامة لا يغبط عليه وهو الذى جاهر بقيام الحوادث بذاته تعالى بعزو ذلك الى أئمة أبرياء من مثل هذا الالحاد وبالقدم النوعى ، وبالجهة والحركة والثقل وتجويز الجسمية والاستقرار فى جانب الله سبحانه مع التطاول على كثير من الائمة والشذوذ عما عليه جمهور اهل العلم فى كثير من المسائل الفرعية ، والرد على كبير العلماء وصغيرهم حتى الصحابة وتلبيس ذلك بمذهب السلف خيانة وكذبا ومما يجب التنبه اليه أن من وجوه تحيل الناظم وشيخه ومن على شاكلتهما من المتشبعين بما لم يعطوا تتبع مادون ضد الائمة المتبوعين من مؤاخذات فى مسائل واتخاذ تلك المؤاخذات وسيلة للتهجم عليهم كلما شاءوا لأجل أن يظهروا بمظهر أنهم من السعة فى العلم بحيث تضيق علوم الأئمة عن علومهم ويجب حجر آراء هؤلاء إلى أهوائهم هذا شأنهم فى أئمة علوم الشرع وهكذا صنيعهم مع علماء باقى العلوم بدون تفرغ لعلم ولا شك أن كل عالم مهما علت منزلته فى علمه لابد وأن تقع منه هفوات تكون مدونة فى كتاب لأحد نقاد هذا العلم المتفرغين للتمحيص فيه خاصة اذ لا عصمة لغير الأنبياء عليهم السلام فمن تعود أن يجمع تلك المؤاخذات من مظانها كالباب الخاص فى مصنف أبى شيبة فى مخالفات أبى حنيفة لأحاديث

صحيحة صريحة فى نظر صاحب المصنف ، وكتاب ابراهيم بن علية فى مالك ، وكتاب محمد بن عبد الحكم فى حق الشافعى ، وكتاب الكياهراسى فى مفردات احمد وكتاب الأهوازى فى الأشعرى ونحوها وأخذ يتحامل على الأئمة بتوجيه تلك المؤاخذات اليهم متظاهراً بأنها من بنات أفكاره داساً فى غضون كلامه ما شاء من الأباطيل يظن به من لا بصر له بالحقائق من العامة ان له من العلم ما يجعله فوق الائمة فهما وتحقيقا وإحاطة مع أنه لابس ثوبى زور وقد رد على غالب تلك المؤاخذات فى كتب خاصة بحيث لاتقوم لها قائمة لكن الذى يجهل ذلك ينخدع بخزعبلاته ويقع فى المهالك إذا تقاعس علماء أهل الحق عن البحث والتنقيب والرد على الشذاذ بمثل أسلحتهم كما يجب والله سبحانه يتولى هدانا بمنه وكرمه وأيقظنا جميعا من رقدتنا وألهمنا طريق حراسة مذاهب أهل الحق فى الأصول والفروع وأشعرنا عظم المسئولية فى الآخرة ووقانا شر التساهل فى ذلك انه سميع مجيب .

قال الحافظ ابن طولون فى « ذخائر القصر فى تراجم نبلاء العصر » عند ذكره سبب انتقال الشيخ عبد النافع بن عراق من المذهب الحنبلى الى المذهب الشافعى بعد أن جعله والده حنبليا : « قال الحافظ صلاح الدين العلائى [وقل من أفضله عليه من متأخرى الشافعية فى الجمع بين الفقه والحديث كما يجب] ذكر المسائل التى خالف فيها ابن تيمية الناس فى الأصول والفروع . فمنها ما خالف فيها الاجماع ، ومنها ما خالف فيها الراجح فى المذاهب : فمن ذلك يمين الطلاق قال بانه لا يقع عند وقوع المحلوف عليه بل عليه فيها كفارة يمين ، ولم يقل قبله بالكفارة فيها واحد من فقهاء المسلمين ألبتة ودام افتاؤه بذلك زمانا طويلا وعظم الخطب ووقع فى تقليده جم غفير من العوام وعم البلاء ، وأن طلاق الحائض لا يقع وكذلك الطلاق فى طهر جامع فيه زوجته ، وأن الطلاق الثلاث يرد إلى واحدة ، وكان قبل ذلك قد نقل إجماع المسلمين فى هذه المسألة على خلاف ذلك وإن من خالفه فقد كفر ، ثم إنه أفتى بخلافه وأوقع خلقا كثيراً من الناس فيه ، وان الصلاة إذا تركت عمداً لا يشرع قضاؤها ، وأن الحائض

تطوف فى البيت من غير كفارة وهو مباح لها ، وأن المكوس حلال لمن أقطعها واذا أخذت من التجار أجزأتهم عن الزكاة وان لم يكن باسم الزكاة ولا على رسمها، وان المايعات لا تنجس بموت الفأرة ونحوها فيها، وأن الجنب يصلى تطوعه بالليل بالتيمم ولا يؤخره الى أن يغتسل عند الفجر وان كان بالبلد. وقد رأيت من يفعل ذلك ممن قلده فنعته منه ، وسمعته حين سئل عن رجل قدم فراشاً لامير فيجنب بالليل فى السفر ويخاف إن اغتسل عند الفجر أن يتهمه أستاذه فأفتاه بصلاة الصبح بالتيمم وهو قادر على الغسل [و مسألة أبى يوسف غير هذه] ، وسئل عن شرط الواقف فقال غير معتبر بالكلية بل الوقف على الشافعية يصرف إلى الحنفية وعلى الفقهاء إلى الصوفية وبالعكس وكان يفعل هكذا فى مدرسته فيعطى منها الجند والعوام ولا يحضر درساً على اصطلاح الفقهاء وشرط الواقف بل يحضر فيها ميعاداً يوم الثلاثاء ويحضره العوام ويستغنى بذلك عن الدرس وسئل عن جواز بيع أمهات الأولاد فرجحه وأفتى به ، ومن المسائل المنفرد بها فى الاصول مسألة الحسن والقبح التى يقول بها المعتزلة [بل أربى عليهم بتحكيم العقل فى الخلود راجع المعتمد لابى الحسين البصرى المعتزلى فى المسألة وكلام ابن تيمية فيها حتى تعلم مبلغ مجازفته وتهوره] فقال بها ونصرها وصنف فيها وجعلها دين الله بل ألزم كل ما يبنى عليه كالموازنة فى الاعمال (فيالته حينما حكم العقل حكم العقل السليم ولم يحكم عقل نفسه الظاهر اختلاله جدا بما فاه به فى ذات الله وصفاته تعالى الله عما يقول الجاهلون]

وأما مقالاته فى أصول الدين فنها أن الله سبحانه محل للحوادث تعالى الله عما يقول علوا كبيراً ، وأنه مركب مفتقر الى (اليد والعين والوجه والساق ونحوها) افتقار الكل إلى الجزء ، وان القرآن محدث فى ذاته تعالى ، وان العالم قديم بالنوع ولم يزل مع الله مخلوق دائما فجعله موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار — سبحانه ما أحلمه — ومنها قوله بالجسمية والجهة والانتقال — وهو منزه عن ذلك — وصرح فى بعض تصانيفه بأن الله بقدر العرش لا أكبر ولا أصغر تعالى الله عن ذلك ، وصنف جزءاً فى أن علم الله لا يتعلق بما لا يتناهى كنعيم أهل الجنة وأنه لا يحيط بغير المتناهى وهى التى زلق فيها الامام

[يعنى ابن الجوينى فى البرهان] ومنها أن الانبياء غير معصومين وأن نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ليس له جاه ولا يتوسل به أحد إلا وأن يكون مخطئا وصنف فى ذلك عدة أوراق ، وأن إنشاء السفر لزيارة نبينا صلى الله عليه وسلم معصية لا تقصر فيها الصلاة وبالغ فى ذلك ولم يقل به أحد من المسلمين قبله ، وإن عذاب أهل النار ينقطع ولا يتأبد (وجزء التقى السبكى فى الرد عليه مطبوع) ومن أفراده أيضاً أن التوراة والانجيل لم تبدل الفاظهما بل هى باقية على ما أنزلت وإنما وقع التحريف فى تأويلهما وله فيه مصنف (هذا يخالف كتاب الله والتاريخ الصحيح ، ومافى البخارى عن ابن عباس من الكلام الطويل فى ذلك بين صدره وعجزه كلام مدرج ، ماأسنده أحد وفيه الايهام فلا يصح أن يتمسك به أحد على خلاف كتاب الله وخلاف ماصح عن ابن عباس نفسه فى البخارى نفسه) آخر مارأيت وأستغفر الله من كتابة مثل هذا فضلا عن اعتقاده انتهى ما نقله ابن طولون عن الصلاح العلائى ».
وصاحب هذه الطامات هو الذى يرحب به الناظم ويتخذه قدوة فتباً لهذا التابع وهذا المتبوع . ومما ذكره ابن رجب فى مفرداته ارتفاع الحدث بالمياه المعتصرة كماء الورد ونحوه ، وجواز المسح على كل ما يحتاج فى نزعه من الرجل الى معالجة باليد أو بالرجل الاخرى ، وعدم توقيت المسح على الخفين مع الحاجة ، وجواز التيمم خشية فوت الوقت لغير المعذور وفوت الجمعة والعيدين وإنه لاحد لأقل الحيض ولا لأكثره ولا لسن الاياس ، وأن قصر الصلاة يجوز فى قصير السفر وطويله ، وان البكر لا تستبرئ ولو كانت كبيرة وانه لا يشترط الوضوء لسجود التلاوة ، وانه يجوز المسابقة بلا محلل ، واستبراء المختلعة بحيضة وكذا الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث تطليقات وغيرها اهـ فكم له من شواذ نحو ما تقدم . وقد ذكر ابن حجر الهيتمى فى الفتاوى الحديثية كثيراً من شواذ ابن تيمية وقال عنه : « عبد خذله الله وأخزاه وأصمه وأعماه » وقد حاول الشيخ نعمان الآلوسى — باشارة صديق خان الذى كان له به صلة مادية — متينة الرد عليه فى (جلاء العينين) متوخيا تبرئة ساحة ابن تيمية من غالب تلك الشواذ لكن سقط فى يده حيث فضحت هذه

« فصل »

قال : « ومن العجائب قولهم حشوية [١] سمي به ابن عبيد » فيه سفه

« فصل »

قال : « كم ذا مجسمة ، وإذا سببتم بالمحال فسبنا بأدلةوحجاج ذي برهان لحقيقة التجسيم إن يك عندكم وصف الاله بصفاته العليا فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا فى كل مجتمع وكل مكان أنا مجسمة بفضل الله وليشهد بذلك معكم الثقلان » .

نقول له أنت أبديت لنا اعتقادك ووصفت بأمور يمتحن فيها كل عاقل منصف إذا عرضت على خال من الأغراض كلها من امرأة أو صبي أو أعجمي أو عربي عامى وعموم الناس هـل يفهمون من الاستواء والقعود والنزول والمجيء والاتيان والوجه [٢] واليد والساق والقدم والجنب والعين والانتقال

المرحلة من الدعاية لابن تيمية بطبع كتب له فيما بعد تصرح بما نفي هوعنه بل ربما تطبع له كتب أخرى مثل (التأسيس فى رد أساس التقديس) بالنظر الى ان بعض صنائع الحشوية نقله حديثا فيخربون بيوتهم بأيديهم وايدى المسلمين وفيما ذكرناه كفاية فى لفت النظر الى نماذج من مفرداته والشيخ نعمان المذكور ناقض نفسه حيث يناقض كلامه فى الكتاب المذكور ما سطره هو فى (غالية المواعظ) لكن قاتل الله المادة ما دخلت فى شيء إلا أفسدته وهو ليس بأمين عـلى طبع تفسير والده ولو قابله أحدهم بالنسخة المحفوظة اليوم بمكتبة راغب باشا باصطنبول ـ وهي النسخة التى كان المؤلف أهداها الى السلطان عبد المجيد خان ـ لو جد ما يطمئن إليه . نسأل الله السلامة .

(١) فهل تلقيب عمرو بن عبيـد لابن عمر رضى الله عنـه بالحشوى إفكا وزوراً على تقدير ثبوت ذلك عنه يمنع من تلقيب الحسن البصرى لطوائف المجسمة حشوية حقا وصدقاً فاضحك ثم اضحك على عقل من يأبى هذا التلقيب وهو متلبس بهذه الوصمة الشنيعة بشهادة نفسه .

(٢) ليس بخاف على ملم باللغة العربية وبمناحى الـكلام فى اللسان العربى

فى الدرجات وغير ذلك مما قد ذكرته معنى الجسم ويرسم ذلك فى نفسه أولا
فان قال إنه لا يفهم منها إلا معنى الجسم فيكفيك إثماً عند الله إضلال مثل هؤلاء
وحملهم على اعتقاد التجسيم الذى تزعم أنت بلسانك أنك لا تقول به فالمحقق
منك إضلال أكثر العالم، وأما أنت في نفسك فان كذبت فى إنكارك التجسيم
فقد جمعت إلى فساد الاعتقاد الكذب ، وإن صدقت فى زعمك فقد لبست
عليك نفسك وخيلت لك فرقا أو كان عندك فرق الله أعلم به ، هذا فى الباطن
الذى أمره إلى الله فى الآخرة وأما فى الدنيا فان فى قبول قولك عندنا نظراً
فان قبل أو لم يقبل - وإن كنا لم نقل بالتكفير ولا بالقتل - فلا أقل من القدر
الذى ينكف به ضررك عن المسلمين. وهذه الأشياء التى ذكرناها هى عند أهل
اللغة أجزاء لا أوصاف، فهى صريحة فى التركيب والتركيب للاجسام، فذكرك
لفظ الأوصاف تلبيس وكل أهل اللغة لا يفهمون من الوجه والعين[1] واليد

المبين أن لكل كلمة مع صاحبتها شأنا ليس لها مع كلمة أخرى فمن جمع ما فرقه
الله سبحانه فى كتابه من الصفات العليا أو فرق ما جمعه فقد خان الله حيث جعل
صفات الله سبحانه عرضة لتقولات المتقولين من أصحاب الأهواء وكذلك ما
ورد فى السنة من الصفات والأفعال. وكم بين المجسمة من ألف فيما يسمونه
التوحيد أو السنة أو الصفات أبوابا فى اليد والعين والساعد والاصبع واليمين
والذراع والكف والجنب والقدم والحقو والصدر ونحوها . جمعاً لما تفرق فى
الروايات المختلفة لمختلف الرواة لهوى فى نفوسهم، وليس تفريق المجموع وجمع
المفرق فى هذا الباب من شأن من يخافه سبحانه ، وأنت علمت معانى تلك
الصفات على مذهب أهل الحق .

(١) ومن ذكر من السلف أن العين واليد صفتان تبرأ بهذا اللفظ عن
القول بالجارحة بل يكون قائلا بأن المراد بالعين معنى قائم بالله وكذلك اليد
لكن لا أعين ذلك المعنى المراد بان أقول إنه الرؤية أو الحفظ ، والقدرة أو
النعمة أو العناية الخاصة لكون تعيين المراد من بين المحتملات الموافقة للتنزيه
تحكما على مراد الله وتسميته لهما صفتين تدل على أنه جازم بأنهما ليستا من

والجنب والقدم إلا الأجزاء ولا يفهم من الاستواء بمعنى القعود إلا أنه هيئة وضع المتمكن فى المكان ولا من المجيء والاتيان والنزول إلا الحركة الخاصة بالجسم، وأما المشيئة والعلم والقدرة ونحوها فهي صفات ذات وهى فينا ذات أمرين أحدهما عرض قائم بالجسم والله تعالى منزه عنه والثانى المعانى المتعلقة بالمراد والمعلوم والمقـدور وهي الموصوف بها الرب سبحانه وتعالى وليست مختصة بالأجسام فظهر الفرق .

فصل

قبيل أجزاء الذات تعالى الله عن ذلك ، ومن قال وله يدبها يبطش وعين بها يرى جعلهما من قبيل الجوارح وخالف السلف الصالح . وقـد قال الترمـذى عند الـكلام على حـديث (يمين الرحمن ملأى سحاء . . .) · وهـذا حديث قد روته الأئمة نؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم، هكذا قال غير واحد من الأئمـة منهم الثورى ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك أنه تروى هـذه الأشياء ويؤمن بها فلا يقال كيف اهـ » . وأين هـذا من عمل الناظم وشيخه ؟ . نعم قـد يقع فى كلامهما ذكر الوجـه والعين واليد وغيرها بأنها صفات لكن السياق والسباق فى كلامهما يناديان أنهما أرادا بها أجزاء الذات لا المعانى القائمة بالله سبحانه كما يقول السلف ، واصطلحا فى الصفة على معنى يجامع الجزء على خلاف المعروف بين أهل العلم وإلا لما بقى وجه لتشددهما ضد أهـل الحق ، وشيخ النـاظم يقول فى الأجوبة المصرية : « إن الله يقبض السموات والأرض باليدين اللتين هما اليدان » فماذا يجدى بعد هذا التصريح أن يسميها صفات ؟ والله سبحانه هو الهادى . وأهل العلم من الخلف يحملون القبض على أنه مجاز عن إخراج السموات من الاظلال والأرض من الاقلال وإيقافهما عن أن تكونا صالحتين لتناسل المتناسلين كما يشير إلى ذلك البيضاوى وهو القابض الباسط أى الموقف عن المسير متى شاء والمجرى للأمور كما يشاء . راجع العارضة فى شرح الأسماء الحسنى . والسلف يفوضون مع التنزيه ، وأما حمل القبض على القبض الحسى فقول بالتجسيم والجارحة تعالى الله عن ذلك .

قال : « ياوارد القلوط » (١)

فأتى ببضعة عشر بيتا من هذا القبيل فهل سمع أحد بأن هذا كلام أهل العلم ، وما دعانى الى الوقوف على هذا الوسخ ؟ . ينبغى أن يأتى له (مجلى) مثله يتكلم معه زيبق المشاعلى أو غرير المرقد أو أهل جعفر او عماد فكيف بابن حجاج ؟ .

« فصل »

فيــه أكثر من تسعين بيتا . . . وقال فى أو اخره : « من قال بالتعطيل فهو مكذب بجميع رسل الله والفرقان، إن المعطل لا إله له سوى المنحوت بالافكار فى الأذهان وكذا إآله المشركين نحيتة الأيدى هما فى نحتهم سيان ، لكن إآله المرسلين هو الذى فوق السماء مكون الأكوان » .

المعطل فى الاصل من ينفى الصانع وهــذا الرجل يسمى خصومه معطلة لأنهم نفوا الصانع الذى يقول هو به ويصفه بتلك الصفات بزعمه ويجعلهم يعبدون آلها آخر ويكفرهم كالمشركين العابدين للأصنام فياخيبة المسلمين ان كان يكفر بعضهم بعضا،ولم لا يقول هذا الجاهل ان الكل يقرون بالله ووحدانيته ويغلط بعضهم فى وصفه ولا يخرجهم ذلك الغلط عن الاسلام؟ وإن كان ولا بد من الاخراج فمن اولى به ؟ ومن أولى بعبادة ما نحته ذهنه ؟ من ركب أجزاءا مقصودة معقولة أو من قال أعبد إآلها واحداً أنا عاجز عن معرفته وعن كنه ذاته فهو كما وصف به نفسه،وفوق مايصف به عباده ،وعقلى يقصر عن سبحات وجهه وعلمى يضــل فى علمه ويتضاءل دون عظمته وملكوت سلطانه وقدرته وقهره لا شريك له سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، كل ما تصوره الذهن فالله بخــلافه لو اجتمعت عقول العالمين كلها لم تبلغ معرفة

---

(١) لفظة عامية لاينطق بها من العوام إلا من هو بالغ الوقاحة فضلا عن أهل العلم فنأبى شرح هذه الــكلمة القذرة المنتنة .

حقيقة ذاته ولاكنه صفاته، وانما علموا منها ما دلهم على التوحيد وأمر السيد العبيد وأنعم عليهم بالرسول أرشدهم الى ما فيه صلاحهم وأنزل عليهم كتاباً كلفهم فيه بتكاليف إن عملوا بها وصلوا إلى دار السلام فلا ينبغي لهم الاشتغال بغيرها — فاشتغالهم بغيرها فضول — وإن فكروا فكروا فى آلائه لا فى ذاته فان هناك تضل العقول وانظر الى هذه الصفات التى يثبتها هـذا المبتدع لم تجئ قط فى الغالب مقصودة وإنما فى ضمن كلام يقصد منه أمر آخر وجاءت لتقرير ذلك الأمر وقد فهمها الصحابة ولذلك لم يسألوا عنها النبى صـلى الله عليه وسلم لأنها كانت معقولة عندهم بوضع اللسان وقرائن الأحوال وسياق الكلام وسبب النزول ومضت الأعصار الثلاثة التى هى خيار القرون عـلى ذلك حتى حدثت البدع والأهواء فيجئ مثل هذا المتخلف يجمع كلمات وقعت فى أثناء آيات أو أخبار فهم الموفقون معناها بانضمامها مع الكلام المقصود فجعلها هـذا المتخلف فى أمثاله مقصودة وبالغ فيها فأورث الريب فى قلوب المهتدين وانظر الى أكثرها لا تجـده مقصوداً بالكلام بل المقصود غيره إما بسباق قبله او بسياق بعده، أو بأن يكون المحدث عنه معنى آخر والمحدث به ويكون ذلك مذكوراً على جهة الوصف المقوى لمعنى ما سيق الكلام لاجله وما مثل المشتغلين بذلك وبالكلام إلا مثل سرية أتاها كتاب السلطان يأمرهم بما يعتمدونه فى الغزاة التى ندبهم لهـا ويوصيهم بأمور مهمة لما بين أيديهم وينهاهم عن أمور وينبههم على مكان لعدوهم وعدوه حتى يحترزوا عن غوائلها فأخـذوا يتأملون فى ذلك الكتاب ويفكرون فيمن كتبه وفى حروفه ومتى كتب وأين كان السلطان حين كتبه وعلم عليه، وهل كان فى القلعة او فى غيرها وربما كان فيهم من لم ير السلطان قط فصـار يسأل عن صفته وشغلوا الزمان بذلك وبسؤال حامل الكتاب عنه وبالفكرة فيه واشتغلوا به عماهم بصدده من الجهاد الذى أمرهم به وعن تلك الامور التى وصاهم بها فى الكتاب وأمرهم

بها ونهاهم عنها وما كفاهم ذلك حتى أداهم اختلافهم فى صفة السلطان وفى أين كان لما كتب ومن كتب الكتاب عنه إلى أن قال كل فريق منهم عن الآخر الذى وصفه بخلاف ما وصفه به رفيقه أنه أنكر السلطان وقال انه لا سلطان له فهل يكون لهؤلاء عقل اللهم انا نسألك أن لا تضل عقولنا ولا تزيغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وتحفظ علينا ديننا يامتقلب القلوب يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك .

« فصل »

أكثر من مائة بيت كلها إغراء بخصومه والله ينتقم لهم منه ثم إنه يناقض قوله فينكر على خصومه تكفيره فلم لا ينكر على نفسه تكفيرهم بعين ما كفروه به

« فصل »

مختصر فى معناه .

« فصل »

قريب منه .

« فصل »

قال : « اسمع سراً عجيبا كان مكتوما منـذ زمان [١] جيم وجيم ثم جيم معهما مقرونة مـع أحرف بوزان فيها لدى الأقوام طلسم متى تحلله تحلل ذروة العرفان فاذا رأيت الثور فيه تقارن الجيمات بالتثليث شر قران دلت على أن النحوس جميعها سهم الذى قد فاز بالخذلان جبر وارجاء وجيم تجهم فتأمل المجموع فى الميزان فاحكم لطالعها لمن حصلت له بخلاصه من ربقة الايمان » .

وأخذ يذكر مفاسد المذاهب الثلاثة « وقياد الجبر [٢] الى الكفر والبتهان

(١) هذا من الدليل على أنه من ورثة علوم الصابئة عبدة الأجرام العلوية كاد أن يبوح بما عنده من عزائم الكواكب كما فعل عبد السلام الجيلى، راجع ترجمته من طبقات ابن رجب وذيل الروضتين لأبى شامة الحافظ .

(٢) والجبر الذى يريده الناظم هو قول الاشعرى إن العبد كاسب والرب

والارجاء كذلك بالجد فى العصيان وشتم الرسل ومن أتوا من عنده والسجود للصنم فاذا أضفت الى الجيمين جيم تجهم أين الصفات والجهم اصلها جميعا والوارثون له أصحابها لا شيعة الايمان لكن نجا أهل الحديث المحض أتباع الرسول وتابعوا القرآن » .

فصل

قال : « وسل المعطل ماذا يقول لربه » .

وساق ما يقولونه كله بقبح وانهم يخاطبون به الله يوم القيامة ، وعن طائفته ما يقولونه ومخاطبتهم به وهاتان طائفتان من المسلمين يعرفون عظمة الله تعالى وكل أحد قد بذل جهده وطاقته فيما اعتقده ويخاف ويفرق ، ويوم القيامة يكون أشدخوفاً يوم لا يتكلم إلا الرسل ويود كل من دونهم ان ينجو كفافاً فتصوير مخاطبة الله تعالى بذلك فى ذلك الموقف العظيم إنما يصدر عن قلب فارغ .

« فصل »

في تحميل أهل الاثبات للمعطلين شهادة تؤدى عند رب العالمين » قال : «يا أيها الباغى على أتباعه قد حملوك شهادة فاشهد بها ان كنت مقبولا لدى

سبحانه هو الخالق وحده وأين الجبر فى ذلك ؟ نعم جهم بن صفوان كان يقول بالجبر لكن ليس له من يتابعه بعده، وأما الارجاء الذى يريده فهو القول بان الايمان هو الاعتقاد الجازم كما نص عليه الحديث الصحيح (الايمان أن تؤمن بالله . . .) ومن جعل الاعمال من أركان الايمان حقيقة فقد تابع الخوارج من حيث يعلم أو لا يعلم ـ راجع (ص ٢٧) ـ وأما التجهم الذى يذكره فمراده به نفى حلول الحوادث فى الله سبحانه وتنزيهه تعالى عن قيام الحوادث به سبحانه كما هو مذهب أهل الحق فظهر أنه ينبز بتلك الألقاب السيئة جمهور أهل الحق افتراء منه عليهم والا فلا وجود للجبرية حقيقة ولا للارجاء بالمعنى البدعى ولا للجهمية فى عصر الناظم والله سبحانه ينتقم منه .

الرحمن فاشهد عليهم إن سئلت بأنهم قالوا إله العرش والأكوان فوق السموات العلى حقا على العرش استوى والأمر ينزل منه وإليه يصعد ما يشاء وإليه صعد الرسول وعيسى بن مريم والأملاك تصعد دائما من هنا اليه وروح العبد بعد الموت وأنه متكلم بالقرآن سمع الأمين كلامه منه هو قول رب العالمين حقيقة لفظا (١) ومعنى وأنهم وصفوا الآله بكل ما جاء فى القرآن وأن قول الرسول نص (٢) يفيد علم اليقين » .

(١) قد سبق إبطال القول بالفوقية الحسية والنزول الحسى والجلوس على العرش ونحوها مما هو معتقد المجسمة إبطالا لامزيد عليه، وقوله هنا فى الكلام إعادة لزعمه الحرف والصوت فى كلام الله وقد سبق إبطال ذلك أيضا ومن الغريب أن يؤلف مثل الموفق بن قدامة (الصراط المستقيم فى إثبات الحرف القديم) وكفى ما سبق فى إبطاله . وابن بطة صاحب الابانة فضح نفسه بان يزيد فى رواية حديث موسى عليه السلام (من ذا العبرانى الذى يكلمنى من الشجرة ؟) ليجعل كلام الله من قبيل كلام الخلق لجمع بين الاختلاق وسوء المعتقد. وابن بطة هذا من أئمته الناظم ولست فى صدد استقصاء أهل الكذب والزيغ من أئمته. والسفارينى المتأخر زمنا وعلما كلمات جوفاء فى تزويق مزاعم الحشوية فى تلك المسائل، ومن ظن به أنه أتى بشئ جديد غير الجمع بين الحشوية والتصوف السالمى الهاذى بالتجلى فى الصور فقد ولى فهمه وأدبر علمه وكم من مصاب فى عقله ودينه يتكلم فى هذه الأبحاث بدون علم ولافهم ولا تقى نسأل الله المعافاة .

(٢) قول الرسول القطعى الثبوت والقطعى الدلالة نص يفيد علم اليقين من غير خلاف واما ماهو ظنى الدلالة منه فلا كما تقرر فى الأصول ودعوى إفادة خبر الآحاد العلم من هواجس الظاهرية إلا إذا كان محتفا بقرائن وقد بينا الحق فى ذلك فى تعليقاتنا المهمة على شروط الأئمة فليراجع هناك. والحشوية يحشرون فى كتبهم فى المعتقد المنقطعات والوحدان وروايات المجاهيل والضعفاء والوضاعين ويقولون عنها انها قول الرسول عليه السلام مع انها مما لا يحتج به

فمن ينازع فى ذلك ؟ وإن أراد الآحاد أو الذى جوزت اللغة احتمال لفظه فحكمه عليه بافادة علم اليقين جهل منه .

قال : « وانهم قابلوا التعطيل والتمثيل بالنكران ان المعطل والممثل ما هما متيقنين عبادة الرحمن ذا عابد المعدوم لاسبحانه أبداً وهذا عابد الأوثان وانهم يتأولون حقيقة التأويل وان تأويلاتهم صرف عن المرجوح (١) للرجحان وانهم حملوا النصوص على الحقيقة لا على المجاز إلا اذا اضطروا للمجاز بحس أو برهان وانهم لا يكفرونكم بما قلتم من الكفران إذ أنتم أهل الجهالة عندهم لستم أولى كفر ولا ايمان (٢) » .

فالبالغ المكلف الذى بلغته الدعوة إما كافر وإما مؤمن فكيف ينتفيان.

فى باب الاعتقاد أصلا بل لا يتمسك بها فى باب الاعمال ايضا ، وتوثيق مثل ابن حبان لرجل لا يخرجه من الجهالة عند من يعرف مصطلح ابن حبان فى التوثيق . وانما الحجة فى باب الاعتقاد هى الكتاب المنزل والصحاح المشاهير من الحديث .

(١) صرف اللفظ عن الاحتمال المرجوح الى الراجح مما لا معنى له لان اللفظ منصرف بنفسه الى الراجح من الاحتمالين واللفظ ظاهر بالنسبة الى الراجح مطلقا سواء كان بالوضع أو بالدليل كما ذكره ابو الخطاب فى التمهيد فى اصول الحنابلة فما يرى مرجوحا بالنظر الى الوضع فقط قد يكون راجحا بالنظر الى الدليل فيكون اللفظ حينذاك ظاهراً فى احتمال قد ترجح بالدليل حيث لايكون هذا الاحتمال مرجوحا عند قيام الدليل على الرجحان فقولهم بالظهور فى جانب الوضع انما هو بالنظر الى حالة عدم قيام دليل مرجح للاحتمال المقابل . والحاصل أن الظاهر بالوضع هو مالا يقارنه دليل يرجح الاحتمال الآخر فلا ظاهر بالوضع عند ترجح الاحتمال الثانى بالدليل ، فاطلاق الظاهر على ما بالوضع عند قيام الدليل المرجح للاحتمال الثانى ماهو إلا تسامح فليعرف ذلك

(٢) وهذا بظاهره قول بالمنزلة بين المنزلتين كما هو معتقد المعتزلة الذين هم من أبغض خلق الله اليه . واخراج اهل الحق من الايمان محض هذيان .

عنه والجهل ليس عذراً فى ذلك .

قال : « لا تفرقون حقيقة الكفران بل لا تفرقون حقيقة الايمان إلا إذا عاندتم ورددتم قول الرسول لأجل قول فلان فهناك أنتم أكفر الثقلين واشهد عليهم أنهم فاعلون حقيقة والجبر عندهم محال هكذا نفى القضاء » .

قد أشهد على نفسه بالفوقية وباللفظ والله يعلم ما تصوره قلبه منهما وبمعنى التأويل وأين هذا من التابعين الذين قيل فيهم ما منهم إلا من يخاف النفاق على نفسه كانوا مع صحة الاعتقاد والاجتهاد فى العمل يخافون النفاق ونحن اليوم مع البعد ـ وشتان ما بيننا وبينهم ـ بيننا من يتجاسر هذه الجسارة ويدل هذا الادلال .

فصل

فى عهود المثبتين مع الله رب العالمين

قال : « ياناصر الاسلام اشرح لدينك صدر كل موحد وانصر به حزب الهدى فوحق نعمتك التى أوليتنى وأريتنى البدع المضلة لأجاهد لك عداك ما أبقيتنى ولأجعلن لحومهم ودماءهم فى يوم نصرك أعظم القربان» .

هذا يقتضى أنه يعتقد كفرهم وسفك دمائهم وقد حملهم فى الفصل الذى قبل هذا شهادة انه لا يكفرهم فيناقض كلامه وقال هناك إنهم جهال لا كفار ولا مؤمنون فلعله يرى أنهم كالبهائم لكنه صرح هنا بأنهم أعداء الله وغير الكافر ليس عدو الله .

فصل

قال : «إنا تحملنا الشهادة بالذى قلتم تؤديها لدى الرحمن ما عندكم فى الأرض (١) قرآن كلام الله حقاً يا أولى العدوان كلا ولا فوق السموات العلى

---

(١) تلك الثلاثة هى أقانيم اختلافهم على الأشعرى وأصحابه ، لهج بها أبو نصر الوائلى السجزى صاحب الأبانة وابن مت صاحب ذم الكلام ومن تابعهم

رب [١] مطاع ولا فى القبر[٢] عندكم من يرسل فالروح عندكم عرض قائم بجسم الحي وكذا صفات الحي قائمة به مشروطة بالحياة فاذا انتفت الحياة انتفى مشروطها ورسالة المبعوث مشروطة بها كصفاته بالعلم والايمان فاذا انتفت تلك الحياة فكل مشروط بها عدم ».

قوله ما فى الأرض قرآن شهادة زور ونحن نطلق القرآن على ما فى المصحف وهو إن كان لا يطلقه عليه لزمه ما ألزمنا وإن كان يقول إنه فى المصحف حقيقة فهو قد قال فيما تقدم إن الصوت من العبد مخلوق فالخبط بطريق الاولى

فى البهت على أئمة الدين . ومن قال إن القرآن القائم بالله ، فى الأرض فهو حلولى زائغ وهذا ظاهر جداً .

(١) نعم هم لا يعتقدون صنماً متمكنا بمكان وإنما يؤمنون بآله العالمين الذى ليس كمثله شئ وله الأسماء الحسنى تعالى الله عما يقول الجاهلون من الجاهلية بعد الاسلام .

(٢) وقال إمام الحرمين فيما رد به على السجزى السابق ذكره فى مقدمة المصنف : ما كنت أظن أن هذا الجاهل يبلغ حمقه وخرقه هذا المبلغ [وهو زعمه أن من مذهب الأشعرية أن النبوة عرض لا يبقى زمانين وإذا مات النبي زالت نبوته] وهذا الذى حكاه لم يقل به قائل ولم ينقله قبله ناقل ولو سئل هذا الاحمق عن النبوة وحقيقتها ومعناها لتبلد فى غمه وتردد فى غيه ولم يتمسك إلا بدهش الحيرة كما نسب اليها غيره فليست النبوة عرضا من الأعراض باتفاق من المحققين وإطباق من المحصلين ـ ثم ذكر الدليل على أن النبوة ليست عرضاً ثم قال ـ فبطل المصير إلى أن النبوة عرض ووجب القضاء بان النبوة هى حكم الله تعالى برسالة رسول وإخباره عن سفارته وأمره إياه بتبليغ الشرائع وشرع الأحكام وقد حكم الله تعالى بنبوة الأنبياء عليهم السلام فى حياتهم وبعد مماتهم وكونهم مرسلين وعلم ذلك منهم فى السابقة والعاقبة فهذا مذهب أهل الحق ودينهم ، فعلى من يصفهم بغير ذلك لعنة الله ولعنة الملائكة والناس أجمعين . انتهى ما ذكره امام الحرمين وهو نص مانقله اللبلى عنه .

وعندنا أن القرآن مكتوب فى المصاحف ولهذا يحرم على المحدث حمل المصحف ومتلو بالألسنة ومحفوظ فى الصدور .

«فصل»

فى حياة الأنبياء » .

قال : « ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيمه يا كثرة الخلقان قال الرسول بقبره حى » (١) .

وذكر اربعين نبيا في انكار ذلك وقد صنف البيهقى (٢) جزءاً فى حياة الأنبياء ولكن هذا المدبر بعيد عن التوفيق .

فصل

قال : « فان احتججتم بالشهيد » .

وذكر غيره أشياء من حججنا .

فصل

قال في الجواب : « إن الشهيد حياته منصوصة مع النهي عن أن ندعوه ميتا ، ونساؤه حل لنا من بعده وماله مقسوم وهو مع ذلك حى فادح قلتم فالرسل أولى » .

فانظر الى قلب الدليل عليهم ما قلب شيئاً قلب الله قلبه .

قال : « ورؤيته موسى مصليا فى قبره فى القلب منه حسيكة هل قاله ولذلك أعرض البخارى عنه عمداً والدار قطنى أعله ورأى أنه موقوف على أنس لكن تقلد مسلماً لكن هذا ليس مختصا به روي ابن حبان صلاة العصر فى قبر الذى مات مؤمنا فتمثل الشمس التى قد كان يرعاها لأجل الصلاة عند

---

(١) الناظم وشيخه ينفيان التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم باعتبار تفرقتهما بين حالتيه صلى الله عليه وسلم حال حياته وحال وفاته وباخراجهما للحديث الصحيح فى التوسل عن دلالته الصريحة بالرأى عن هوى ، وقد أقام قاضى قضاة الشافعية العلامة علاء الدين القونوى الشافعى النكير على ابن تيمية بمنف فى

---

(٢) وجزء البيهقى فى حياة الأنبياء مطبوع فاستغنينا به عن الكلام فى ذلك .

هذه المسألة فى كتابه (شرح التعرف) وهو من مخطوطات التيمورية، وعدّ ذلك مأخوذاً من اليهود مع أنه كان من المثنين عليه قبل هـذه الحادثة وفى الاطلاع على شرح التعرف هذا تنوير المسألة . وقد أغنانا عن بسط ذلك هنا مانقله التقى الحصنى منه فى كتاب (دفع الشبـه) وهو مطبوع . وفى كتاب الروح للناظم كثير مما ينافى ماذكره هنا، والتناقض شأن من أصيب فى عقله أو دينه نسأل الله السلامة والمعافاة . وأما كلمة ابن حزم فى الفصل فاغترار منه بتقولات الرواة من الحشوية فى حق الأشعرى كما بينت ذلك فيما علقته عـلى تبيين كذب المفترى لابن عساكر . وقد بلغ بالناظم وشيخه الغلو فى هذا الصدد الى حـد تحريم شد الرحل لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وعـد السفر لاجل ذلك سفر معصية لاتقصر فيه الصلاة فأصدر الشاميون فتيا فى ابن تيمية وكتب عليها البرهان ابن الفركاح الفزارى نحو أربعين سطرا بأشياء إلى أن قال بتكفيره ووافقه على ذلك الشهاب بن جهبل ، وكتب تحت خطه كذلك المالكى ، ثم عرضت الفتيا لقاضى قضاة الشافعية بمصر البدر بن جماعة فكتب على ظاهر الفتوى الحمـد لله هـذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله إن زيارة الانبياء والصالحين بدعة وما ذكره من نحو ذلك وأنه لا يرخص بالسفر لزيارة الانبياء باطل مردود عليه، وقد نقل جماعة من العلماء أن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وسنة مجمع عليها ، وهذا المفتى المذكور — يعنى ابن تيمية — ينبغى أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء ، ويمنع من الفتاوى الغريبة، ويحبس إذا لم يمتنع من ذلك ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به .

وكتبه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعى ؟

وكذلك يقول محمد بن الجريرى الانصارى الحنفى لكن يحبس الآن جزما مطلقا ؟

وكذلك يقول محمـد بن أبى بكر المالكى ويبالغ فى زجره حسبما تندفع تلك المفسدة وغيرها من المفاسد ؟

وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسى الحنبلى راجع دفع الشبه (٤٥ـ٤٧). وهؤلاء الأربعة هم قضاة قضاة المذاهب الأربعة بمصر أيام تلك الفتنة فى سنة ٧٢٦.

غروب يخاف فوت صلاته فيقول للملكين تدعانى حتى أصلى العصر قالا
تفعل ذلك بعد الآن هذا مع الموت المحقق لا الذى حكيت لنا بثبوته القول لأن
وثابت البنانى دعا أن لا يزال مصليا في قبره وحديث ذكر حياتهم بقبورهم
ا يصح وظاهر النكران ونحن نقول إنهم أحياء عند ربهم كالشهيد » . يعنى
ننكر حياتهم فى قبورهم .

قال : « هذي نهايات لأقدام الورى فى ذا المقام الضنك والحق فيه ليس
يحمله عقول بنى الزمان لغلظة الأذهان ولجهلهم بالروح هل فى عقولهم أن
لروح فى أعلى الرفيق مقيمة بجنان، وترد أوقات السلام عليه وأجواف الطير
لحضر مسكنها لدي الجنات ، من ليس يحمل عقله هذا فاعذره على النكران
لروح شأن غير ذى الأكوان، وهو الذى حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد
فى الأزمان هذا وأمر فوق ذا لو قلته بادرت بالانكار والعدوان فلذاك أمسكت
لعنانى ولو أرى ذاك الرفيق جريت فى الميدان، وقولى انها مخلوقة وليست كما
قال أهل الافك لا داخلة فينا ولا خارجة عنا ـ والله ـ لا الرحمن أثبتم ولا
رواحكم . عطلتم الأبدان من أرواحها والعرش عطلتم من الرحمن » .

استشكال معرفة الروح صحيح لكنه ما أظنه يفهمه وإنما قاله تقليداً

بالنهى عن شد الرحل الى غير المساجد الثلاثة فى الحديث باعتبار أنه لا مضاعفة
ثواب المصلى فى غيرها ولا علاقة له أصلا بمثل زيارة القبور وهذا ظاهر جدا
نعنى الحديث النهى عن شد الرحل الى مساجد غير المساجد الثلاثة التى يضاعف
بها الثواب حيث لا داعى الى تجشم المشاق والاستثناء المفرغ يقدر فيه المستثنى
منه بقدر أدنى ما يصح الاستثناء لأن التقدير ضرورة فلا يزيد على القدر
الضرورى فى تصحيح الكلام ـ ومازاد على ذلك ليس مما يعتبره أهل العلم
كما لا يخفى على أن شد الرحل لأجل العلم أو الجهاد أو التجارة أو الاعتبار
أو استعادة الصحة ونحو هذا لا يتصور أن يتناوله النهى فى الحديث فلا يصح
تقدير المستثنى منه من أعم ما يتناول المستثنى ومن تصور خلاف ذلك فقد
غلط غلطا فاحشاً واستعجم عليه الحديث .

والأحاديث فى زيارته صلى الله عليه وسلم فى غاية من الكثرة وقد جمع طرقها الحافظ صلاح الدين العلائى فى جزء كما سبق وعلى العمل بموجبها استمرت الأمة إلى أن شذ ابن تيمية عن جماعة المسلمين فى ذلك قال على القارى فى شرح الشفاء : « وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثانى أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما اجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه . . . اه » .

فسعيه فى منع الناس من زيارته صلى الله عليه وسلم يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف يتصور الاشراك بسبب الزيارة والتوسل فى المسلمين الذين يعتقدون فى حقه عليه السلام « أنه عبده ورسوله » وينطقون بذلك فى صلواتهم نحو عشرين مرة فى كل يوم على أقل تقدير ادامة لذكرى ذلك . ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع فى كل شئونهم ويرشدونهم إلى السنة فى الزيارة وغيرها إذا صدرت منهم بدعة فى شئ ولم يعدوهم فى يوم من الايام مشركين بسبب الزيارة أو التوسل ، كيف وقد انقذهم الله من الشرك وأدخل فى قلوبهم الايمان وأول من رماهم بالاشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودماءهم لحاجة فى النفس ولم يخف ابن تيمية من الله فى رواية عد السفر لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة عن الامام أبى الوفاء ابن عقيل الحنبلى ، وحاشاه عن ذلك - راجع كتاب التذكرة له تجد فيه مبلغ عنايته بزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم والتوسل به كما هو مذهب الحنابلة - وانما قوله بذلك فى السفر الى المشاهد المعروفة فى العراق لما قارن ذلك من البدع فى عهده وفى نظره .

واليك نص عبارته فى التذكرة المحفوظة بظاهرية دمشق تحت رقم ٨٧ فى الفقه الحنبلى « فصل . ويستحب له قدوم مدينة الرسول صلوات الله عليه فيأتى مسجده فيقول عند دخوله بسم الله اللهم صل على محمد وآل محمد وافتح لى

ابواب رحمتك وكف عنى ابواب عذابك الحمد لله الذى بلغ بنا هـذا المشهد وجعلنا لذلك أهلا الحمد لله رب العالمين . ثم تأتى حائط القبر فلا تمسه ولا تلصق به صدرك لأن ذلك عادة اليهود واجعل القبر تلقاء وجهك وقم مما يلى المنبر وقل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم صل عـلى محمد وعلى آل محمد الى آخر ما تقوله فى التشهد الأخير ثم تقول اللهم أعط محمـداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذى وعدته اللهم صل على روحه فى الارواح وجسده فى الأجساد كما بلغ رسالاتك وتلا آياتك وصدع بامرك حتى أتاه اليقين اللهم انك قلت فى كتابك لنبيك صلى الله عليه وسلم ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجـدوا الله توابا رحيما وانى قـد أتيت نبيك تائبا مستغفراً فأسالك أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته اللهم انى أتوجه اليك بنبيك صلى الله عليه نبى الرحمة يارسول الله إنى أتوجه بك الى ربى ليغفر لى ذنوبى اللهم انى أسألك بحقه ان تغفرلى ذنوبى اللهم اجعل محمداً اول الشافعين وأنجح السائلين واكرم الاولين والآخرين اللهم كما آمنا به ولم نره وصـدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا فى زمرته وأوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا صافيا رويا سائغا هنيا لانظمأ بعده ابدا غـير خزايا ولا نا كثين ولا مارقين ولا مغضوبا علينا ولا ضالين واجعلنا من اهل شفاعته . ثم تقدم عن يمينك فقل السلام عليك يا أبا بكر الصديق ، السلام عليك ياعمر الفاروق اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الاسلام خـيرا اللهم اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالايمان الآية وتصلى بين القبر والمنبر فى الروضة وان أحببت تمسح بالمنبر وبالحنانة وهو الجذع الذى كان يخطب عليه صلى الله عليه وسـلم فلما اعتزل عنه حن اليه كحنين الناقة ، وتأتى مسجد قباء فتصلى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصده فيصلى فيه وإن أمكنك فأت قبور الشهداء وزرهم وأكثر من الدعاء فى تلك المشاهد حتى كانك الى مواقفهم واصنع عند الخروج ما صنعت عند الدخول » .

ويقال عن كتاب الفنون لا بن عقيل الحنبلى هذا إنه فى ثمانمائة مجلد ويقول الذهبي عنه انه لم يصنف فى الدنيا اكبر من هذا الكتاب . ومن هو نظير ابن

وإنكاره حياة الأنبياء ليس له عليه حامل صحيح (١) .

عقيل هذا بين الحنابلة فى الجمع والتحقيق ؟ وأنت رأيت نص عبارته فى المسألة على خلاف ما يعزواليه ابن تيمية .

(١) وعن انس مرفوعا (الانبياء أحياء فى قبورهم يصلون) رواه ابو يعلى الموصلى والبزار قال الهيثمى ورجال أبى يعلى ثقات . والحياة البرزخية الثابتة للانبياء فوق الحياة الثابتة للشهداء ويغنينا عن الكلام فى حياة الانبياء جزء البيهقى المطبوع ، نعم انقطعت حاجتهم الى الأكل والشرب من مآكل هـذه الدار ومشاربها ، ولذلك صح وصفهم بالموت (انك ميت وانهم ميتون) وحامل الناظم على انكار حياتهم البرزخية هو التذرع بذلك الى تحريم التوسل بهم عن هوى وفى دفع الشبه للتقى الحصنى ووفاء الوفاء للنور السمهودى وغيرهما أحاديث وآثار كثيرة فى الندب اليه ، وليس هذا موضع سرد لتلك الاحاديث وله موضع آخر وفى المطالب العالية للرازى وفى شرح المقاصد للتفتازانى وفيما علقه الشريف الجرجانى على شرح المطالع ما يسكن اليه صدور المقتدين بأئمة أصول الدين من البيان فى هذه المسألة، وكنت بسطت المسألة قبل سنين متطاولة فى (ارغام المريد) الذى كنت ألفته سنة ١٣٢٠ ولا بأس فى أن أورد هنا بعض ما كنت نقلته فيه ، مما قاله الفخر الرازى والسعد التفتازانى، والشريف الجرجانى فى هذا الصدد فانهم أئمة فى أصول الدين يميزون بين الحق والباطل والتوحيد والاشراك حق التمييز، ولا يرميهم أحد من أهل الحق بنزعة تخالف مذهب أهل الحق فى هذه المسألة ومن الغريب رمى أهل التجسيم لأهل الحق بالاشراك بوسيلة التوسل وفيما ننقله عن أئمة أصول الدين فى هـذا الصدد قمع من يرمى اهـل الحق بدائه وهم من أبعد الناس عن الاشراك بخلاف من يقول بالجهة والتحيز وسائر لوازم الجسمية تعالى الله عن ذلك .

قال الامام فخر الدين الرازى بعـد بسط مقدمات فى الفصل الثامن عشر من كتابه المطالب العالية وهو من أمتع مؤلفاته فى علم اصول الدين: «وإذا عرفت هذه المقدمات فنقول ان الانسان اذا ذهب الى قبر انسان قوى النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه من تلك التربة

حصل لنفس الزائر تعلق بتلك التربة وقد عرفت أن لنفس الميت تعلقا بتلك التربة أيضا، فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الانسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من واحـدة منهما الى الاخرى فكل ما حصل فى نفس هـذا الزائر الحى من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضى بقضاء الله، ينعكس منه نور الى روح ذلك الانسان الميت وكل ما حصل فى نفس ذلك الانسان الميت من العلوم المشرقة والآثار العلوية الكاملة فانه ينعكس منه نور الى روح هـذا الزائر الحى ، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سببا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور ، فهذا هو السبب الاصلى فى مشروعية الزيارة، ولا يبعد أن يحصل فيها اسرار اخرى أدق وأحق مما ذكرناه، وتمام العلم بالحقائق ليس إلا عند الله ا هـ » . واما بقاء النفس مدركة لبعض الجزئيات فقد بينها الرازى فى الفصل الخامس عشر من الكتاب المذكور .
وقال الرازى أيضا فى تفسيره : « ان الارواح البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية ، المشتاقة الى الاتصال بالعالم العلوى، بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب الى عالم الملائكة ومنازل القدس، ويظهر منها آثار فى أحوال هذا العالم فهى المدبرات أمراً، أليس الانسان قد يرى أستاذه فى المنام ويسأله عن مشكلة فيرشده اليها ا هـ » .

وقال العلامة سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد عند اثبات إدراك بعض الجزئيات للميت رداً على الفلاسفة : « لما كان إدراك الجزئيات مشروطاً عند الفلاسفة بحصول الصورة فى الآلات فعند مفارقة النفس وبطلان الآلات لاتبقى مدركة للجزئيات ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط وعندنا لما لم تكن الآلات شرطاً فى إدراك الجزئيات إما لانه ليس بحصول الصورة لا فى النفس ولا فى الحس وإما لأنه لايمتنع ارتسام صورة الجزئى فى النفس بـل الظاهر من قواعد الاسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات متجددة جزئية واطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء ، ولاسيما الذين كان بينهم وبين

فصل

قال : « ما معناه منجنيق المعطلة ما يدعونه من التركيب وللتركيب ستة معان أحدها التركيب من متباين كتركيب الحيوان من هذه الأعضاء وتركيب الاعضاء من الأركان الأربعة ، الثاني تركيب الجوار من اثنين يفترقان ، الثالث التركيب من متماثل يدعى الجواهر الفردة ، الرابع الجسم المركب من هيولى وصورة عند الفيلسوف والجواهر الفرد ليس ممكنا ، الخامس التركيب

الميت تعارف فى الدنيا ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات فى استنزال الخيرات واستدفاع الملمات فان للنفس بعد المفارقة تعلقا بالبدن وبالتربة التى دفنت فيها، فاذا زار الحى تلك التربة وتوجهت تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات ا هـ » .

وقال العلامة الشريف الجرجانى فى أوائل حاشية شرح المطالع معلقاً على ماذكره شارح المطالع فى صدد بيان الحكمة فى التوسل والصلاة على النبى وآله صلى الله عليه وآله وسلم : « فان قيل هذا التوسل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالابدان وأما إذا تجردوا عنها فلا إذلا جهة مقتضية للمناسبة ، قلنا يكفيه أنهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية فان أثر ذلك باق فيهم ولذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده أصحاب البصائر اهـ». ورأيت بخط الحافظ الضياء المقدسى الحنبلى فى كتابه ـ الحكايات المنثورة ـ المحفوظ تحت رقم ٩٨ من المجاميع بظاهرية دمشق أنه سمع الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى يقول إنه خرج فى عضده شىء يشبه الدمل فأعيته مداواته، ثم مسح به قبر أحمد بن حنبل فبرئ ولم يعد إليه ، وفى تاريخ الخطيب (١ ـ ١٢٣) بسنده إلى الشافعى رضى الله عنه أنه قال : « إنى لأتبرك بأبى حنيفة وأجىء إلى قبره كل يوم ـ يعنى زائراً ـ فاذا عرضت لى حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عنى حتى تقضى ا هـ » .

فمن الذى يستطيع أن يعد هؤلاء قبوريين يتعبدون الضرائح ؟ ! ! ! .

من ذات وأوصاف سموه تركيبا وليس بتركيب ، السادس التركيب من ماهية ووجودها واختلفوا هل الذات الوجود أو غيره فيكون تركيباً محالاً أو يفرق بين الواجب والممكن حتى أتى من أرض آمد ثور كبير (١) بل حقير الشان قال الصواب الوقف فقصاراه أن شك فى الله » .

جوابه أنه لم يشك في الله وإنما شك فى الوجود هل هو زائد أولا ولا يجوز أن يقال له ثور ولا أنه حقير الشان وقد اعترف فى التركيبين الأخيرين بالامتناع فيسأل من أهل اللغة هل القدم واليد والجنب أعضاء (٢) اوصفات .

---

(١) سيف الدين الآمدى المعروف بين الفرق ببالغ الذكاء ذنبه عند الحشوية أنه نشأ حشويا ثم هـداه الله الى مذهب الأشاعرة ولأجل ذلك يرى متقشفو الحشوية من تمام ورعهم اختلاق حـكايات فى حقه ويسعى ابن تيمية جهده فى مناقشته فى معقوله ، ويقوم الذهبي بخطـه فى الاختلاق عليه فى ميزانه . وتآليفه الخالدة فى أصول الدين وأصول الفقـه والجدل هى آية كونه ثوراً كبيراً فى نظر الناظم فليعتبر .

(٢) فان اعترف بعد السؤال من أهل اللغة بأنها أعضاء يكون المركب منها من القسم الأول فيكون عابد جسم ذى أعضاء وان لم يعترف بأنها أعضاء بل قال إنها مجـازات عن صفات ثابتة له تعالى فقد ترك مذهبه وكان جهاده فى غير عدو ولـكن أنى يعترف بأنها مجازات مع الغلو المشهود فى نحلته؟. ومن ألطف النـكت الجارية مجرى الالزامات الظاهرة على المجسمة ماذكره الفخر الرازى فى تفسيره (٧ ـ ١٤٨) حيث قال : إن من قال إنه مركب من الأعضاء والأجزاء فاما أن يثبت الاعضاء التى ورد ذكرها فى القرآن ولا يزيد عليها وإما ان يزيد عليها ، فان كان الاول لزمه اثبات صورة لايمكن أن يزاد عليها فى القبيح لانه يلزمه إثبات وجه بحيث لايوجد منه إلامجرد رقعة الوجه لقوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) ويلزمه أن يثبت فى تلك الرقعة عيونا كثيرة لقوله تعالى (تجرى باعيننا) وان يثبت له جنبا واحدا لقوله تعالى (ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله) وان يثبت على ذلك الجنب أيدى كثيرة لقوله تعالى

فصــل

قال : «ودلالة الاسماء مطابقة وتضمن والتزام فالمطابقة يفهم منها ذات الآله والوصف والتضمن دلالته على أحدهما واللازم دلالته على الصفة التي اشتق الاسم منها كالرحمن ، فالذات والرحمة مدلولاه تضمنا ودلالته على الحياة بالالتزام».

مقصوده بهذا المبالغة فى القول بالتركيب فى المعنى (١) وإن أنكره باللفظ فيما تقدم، ومدلول الرحمن فى اللغة ذو الرحمة وهو شئ واحد لا مركب وان كان يقتضي ان له رحمة وكذا ضارب ، مدلوله شئ له الضرب ولا نقول بأن الضرب بعض مدلوله وان كان قاله بعض الأصوليين من جهة تركيب العقل مادل عليه اللفظ لا من جهة ان الواضع وضعه لهما كما أشعر به كلام هذا القدم،

(مما عملت أيدينا) وبتقدير أن يكون له يدان فانه يجب أن يكون كلاهما على جانب واحد لقوله عليه السلام (و كلتا يديه يمين) وإن يثبت له ساقا واحدا لقوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) فيكون الحاصل من هذه الصورة مجرد رقعة الوجه ويكون عليها عيون كثيرة وجنب واحد ويكون عليه أيد كثيرة وساق واحد ومعلوم أن هـذه الصورة أقبح الصور ولو كان هـذا عبدا لم يرغب أحـد فى شرائه فكيف يقول العاقل ان رب العالمين موصوف بهـذه الصورة وان كان الثانى وهو أن لا يقتصر على الاعضاء المذكورة فى القرآن بل يزيد وينقص عـلى وفق التأويلات فحينئذ يبطل مـذهبه فى الحمل عـلى مجرد الظواهر ولابد له من قبول دلائل العقل اهـ .

(١) لأن كلام أهل العربيه فى الدلالات الثلاث (دلالة اللفظ على تمام ما وضع له مطابقة وعـلى جزئه تضمن وعلى الخارج اللازم التزام) والاجتراء على إجراء ذلك فى الاسماء المقدسة مبالغة فى القول بالتركيب فى المعنى باثبات الجزء فى دلالتها كما قال المصنف على أن ابن حزم قطع على الحشوية سبيل التقول بالمرة بأن قال إن الاسماء الحسنى أسماء أعلام للذات العلية لا تدل على الصفات باعتبار أن الله سماها أسماء . فضاقوا ذرعا من كلامه هذا جداً وليس هذا موضع توسع لبيان ماله وما عليه ، وكفى للبصير مجرد الاشارة اليه .

واستعماله فى الأسماء المقدسة جرأة جرأتها عقيدة سوء ميالة الى معنى التركيب.

فصــل

قال : «الملحدون ثلاثة المشركون واخوانهم الاتحادية والثانى المعطلة يقولون ماثم غير الاسم عطل حرف ثم أول وانفها واقذف بتجسيم وبالكفران للمثبتين فان احتجوا عليك فقل مجاز فان غلبت عن المجاز فقل الألفاظ لا تفيد اليقين فان غلبت عن تقريره فقل العقل مقدم على النقل والثالث منكر الخالق الصانع لا يوحشنك غربة بين الورى قل لى متى سلم الرسول وصحبه وتظن أنك وارث لهم ولا جاهدت فى الله حق جهاده» .

هذا الرجل قال قبل ذلك إنه لم ينكر أحد الخالق وقد ناقض هنا وجعل القسم الثانى من الملحدة خصماءه ووصفهم بما قال وهم هداة الأمة

« فصل

فى النوع الثانى من توحيد المرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين» .

قال : «وهو أن لا تعبد غير الله فالمشركون اتخذوا أندادا يحبونهم كحب الله ولقد رأينا من فريق يدعى الاسلام شركا جعلوا له شركاء سووهم به فى الحب بل زادوا لهم حبا ـ والله ـ ماغضبوا إذا انتهكت محارم ربهم حتى إذا ما قيل فى الوثن الذى يدعونه مافيه من نقصان فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب ومن شتم ومن عدوان وضرب وتعزير وسب وتسجان قالوا تنقصت الأكابر والامر ـ والله العظيم ـ يزيد فوق الوصف ، وإذا ذكرت الله توحيداً رأيت وجوههم مكسوفة الألوان وإذا ذكرت بمدحة شركاء هم يستبشرون ـ والله ـ ماشموا روائح دينه» . انتهى ثناؤه على المسلمين قبحه الله .

« فصل

فى صفة العسكرين وتقابل الصفين واستدارة رحى الحرب العوان وتصاول الأقران » .

ابصر كيف يوقع الملعون العداوة بين المسلمين .

فذكر جماعة ثم قال : « وخيار عسكرهم فذاك الأشعري القدم » او القرم « ذاك مقدم الفرسان » .

سواء أقال القدم أو القرم قد جعله من عسكر الملحدين .

قال . « لكنكم ما أنتم على إثباته صفوا الجيوش وعبئوها وابرزوا للحرب واقتربوا من الفرسان فهم إلى لقيا كم بالشوق كي يوفوا بنذرهم من القربان ، تبا لكم لو تستحون لكنتم خلف الخدور كأضعف النسوان ، من أين أنتم والحديث وأهله ما عندكم إلا الدعاوى والشكاوي وشهادات على البهتان هذا الذي والله نلنا منكم قبح الاله مناصبا وما كلا قامت على البهتان والعدوان » .

أيكون أقبح من هذا الاغراء .

« فصل

فى الهدنة بين المعطلة والاتحادية حزب جنكسخان »

قال : « يا قوم صالحتم نفاة الذات ولأجل ذا كنتم مخانيثاً لهم » .

ينبغى أن يعرض عن كلام هذا المتخلف .

« فصل

فى مصارع المعطلة بأسنة الموحدين »

قال : « وإذا أردت ترى مصارع من خلا من أمة التعطيل وترى وترى وترى فاقرأ تصانيف الامام حقيقة شيخ الوجود العالم الربانى أعنى أبا العباس [1] واقرأ كتاب العقل

---

(١) وعن هذا الشيخ الذى يطريه الناظم يقول صاحب الدرة المضيئة : « قد أحدث ابن تيمية ما أحدث فى أصول العقائد ونقض من دعائم الاسلام الأركان والمعاقد ، بعد ان كان متسترا بتبعية الكتاب والسنة ، مظهرا أنه داع إلى الحق هاد إلى الجنة ، فخرج عن الأتباع إلى الابتداع ، وشذ عن جماعة المسلمين بمخالفة الاجماع ، وقال بما يقتضى الجسمية والتركيب فى الذات المقدسة وبان الافتقار إلى الجزء ليس بمحال وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى وأن القرآن

(١) والنقل ، والمنهاج ، والتأسيس وغـيرها وقرأت أ كثرها عليه فزادنى

محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن وأنه يتكلم ويسكت ويحدث فى ذاته الارادات بحسب المخلوقات ، وتعدى فى ذلك إلى استلزام قدم العالم بالقول بأنه لا أول للمخلوقات ، فقال بحوادث لا أول لها فأثبت الصفة القديمـة حادثة والمخلوق الحادث قديما،ولم يجمع أحد هذين القولين فى ملة من الملل ولا نحلة من النحل فلم يدخل فى فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التى افترقت عليها الأمة وكل ذلك وإن كان كفرا شنيعا مما تقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث فى الفروع فان متلقى الأصول عنـه وفاهم ذلك منه هم الاقلون والداعى إليـه من أصحابه هم الأرذلون ، وإذا حوققوا فى ذلك أنكروه . .وأما ما أحدثه فى الفروع فأمر قد عمت به البلوى . . وقـد بث دعاته فى أقطار الأرض لنشر دعوته الخبيثة وأضل بذلك جماعة من العوام ومن العرب والفلاحين . . ولبس عليهم.. اهـ» والدرة المضية هذه مطبوعة ضمن المجموعة السبكية ونسخـة مخطوطة منها موجودة فى مكتبة ايا صوفيا فى اصطنبول . ومثل هذا الضال المضل اتخذه الناظم قدوة فى فتنه عاملهما الله تعالى بعدله . ولم يكن بغض علماء أهل الحق لهما إلا بغضا فى الله شأنهم مع كل زائغ ، ومن حمل ذلك على الحسد لم يعرف سيرة الرادين عليه ولا مبلغ زيغ الناظم وشيخه فمثل هـذا القول ينبىء عن جهل قائله أو زيغه

(١) مطبوع فى هامش منهاجه،وأما التأسيس فى رد أساس التقديس فقد فضح ابن تيمية به نفسـه وهو فى ضمن الـكواكب الدرارى لابن زكنون الحنبلى فى المجـلدات (رقم ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) بظاهرية دمشق وقد سبق أن وصفت الكواكب فيما علقته على المصعد الاحمد لابن الجزرى فلو قام بطبع التأسيس أحدهم لما بقى من أهل البسيطة أحد لم يعلم دخائل ابن تيمية . وقد نقلت منه نصوصا كثيرة فيما علقت على هذا الـكتاب كما سبق فى مواضع على أن مبلغ زيغه ظاهر من الكتابين المذكورين لمن ألقى السمع وهو شهيد، ويتبجح بهما هذا الزائغ كتبجحه بالتأسيس،هكذا شأن مقلدة الزائغين يثنون على الزيغ

ـ والله ـ فى علم وفى إيمان ، هذا ولو حدثت أنه قبلى يموت لـكان غير الشان
وله المقامات الشهيرة أبدى فضائحهم (١) وبين جهلهم وأصارهم تحت نعال أهل
الحق ، كانت نواصينا بأيديهم فصارت نواصيهم بأيدينا وغدت ملوكهم مماليكاً
والقدم يوحشنا وليس هنا كم لحضوره ومغيبه سيان »

وهذا الفصل تسعون بيتا ماذا تضمن من الـكذب الذى يدل عـلى أن
قائله خرق جلباب الحياء .

« فصل »

يزيد على مائة وعشرين بيتا مما يهيج ويوقع العداوة وليس فيه قط إفادة

« فصل » في كسر الطاغوت الذي نفوا به الصفات » .

ثمانية وثمانون بيتا كلها تهييج وإشلاء وسفاهة .

من جملتها « فتعين الالزام حينئذ على قول الرسول ومحكم القرآن وجعلتم
أتباعه ما نسترا خوفاً من التصريح بالـكفران ـ والله ـ ما قلنا (٢) سوى ماقاله
فجعلتمونا جنة والقصد مفهوم فنحن وقاية القرآن » .

ويزدادون غواية . وقد أشرت إلى بعض ما فى سناجه ومعقوله فى « الاشفاق
على أحكام الطلاق » فليراجع هناك .

(١) كلا بل فضح نفسه وأذنابه وقادته وأصارهم تحت نعال أهل الحق بجهله
وخرقه ولم يزل ينقل من محبس إلى محبس ومن هوان إلى هوان حتى أفضى
إلى ماعمل وخلف شواذه وصمة الأبد ، لـكن قاتل الله الوقاحة تحاول
قلب الحقائق .

(٢) اتق الله لاتحلف به كذبا هذا الـكذب المـكشوف أين قال الله أو قال
رسوله إن الله متمكن على العرش تمكن استقرار أو إن الحوادث تقوم به؟ أو
إن الحوادث لا أول لها وإن من لم يقل ذلك معطل ملحد و إنه فى جهة العلو
من رؤس العباد أو إنه تكلم بحرف وصوت إلى آخر تلك المخـازى أو أين
قال الله أو قال رسوله إن المنزهين لله من المادة والماديات والجسم والجسمانيات
من حزب جنكزخان .

ما يحسن أن يتخيل أحد فى مسلم أنه يقصد الرد على القرآن والرسول .

ثم قال : « والله لو نشرت لكم أشياخكم عجزوا ، إن كنتم فحولا فابرزوا ودعوا الشكاوى حيلة النسوان وإذا اشتكيتم فاجعلوا الشكوى إلى الوحيين [1] لا القاضى ولا السلطان » .

« فصل

فى مبدأ العداوة بين الموحدين والمعطلين » .

قال : « يا قوم تدرون العداوة بيننا من أجل ماذا ؟ إنا تحيزنا إلى القرآن والنقل الصحيح والعقل الصريح فاشتد ذاك الحرب بين فريقنا وفريقكم وتأصلت تلك العداوة من يوم أمر إبليس بالسجود فأبى التلاميذ الوقاح فانظر إلى ميراثهم ذا الشيخ هذا الذى ألقى العداوة بيننا » .

« فصل

فى أن التعطيل أساس الزندقة »

قال : « من قال إن الله ليس بفاعل فعلا يقوم [2] به وليس أمره قائما به

---

(١) إن كان يريد بهما الكتاب والسنة فقد ظهر ظهوراً لا مزيد عليه بما بسطناه فى هذا الكتاب من تحاكمنا إليهما أننا على الحق وخصومنا على الزيغ والضلال المبين وإن كان يريد بهما وحى شياطين الجن ووحى شياطين الأنس على ماهو الظاهر من تلبيساته فلسنا نتحاكم معه إلى الطواغيت وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ولا بأس أن أهمس فى أذنه وآذان أشياعه أنه لم يبق فى غالب البلاد سلطان لأحكام الشرع يخاف الفاتنون جانبه بسبب تلك الفتن الدامية التى كانت الحشوية يثيرونها على طول القرون فى أخطر أيام الأسلام حتى تركوا الشرع لاسلطان له إلا على قلوب المسلمين حقاً وأصبح الأسلام بالحالة التى نراها والله سبحانه وتعالى ينتقم من هؤلاء الفاتنين الدائبين على السعى فى تفريق كلمة المسلمين وتوهين سلطان الدين وأعاد إلى الدين سلطانه ، إنه قريب مجيب

(٢) كم يكرر الناظم قيام الفعل به تعالى وهو الذى دعاه وشيخه إلى القول .

وليس فوق عباده فثلاثة لا تبقى من الايمان حبة خردل وقد استراح من القرآن والرسول وشريعة الاسلام وتمام ذاك جحوده للصفات وتمامه الارجاء وتمامه قوله فى المعاد (١) » .

« فصل

فى بهت أهل الشرك والتعطيل »

قال : « قالوا تنقصتم رسول الله واعجبا ، ونظيره قول النصارى أنا تنقصنا المسيح » .

هذه الفصول كلها كما ترى .

فصل

قال : « ولنا الحقيقة من كلام إلهنا ونصيبكم منه المجاز الثانى وخيامنا

بحوادث لا أول لها وهذا من الخطورة بمكان قال الامام أبو منصور عبد القاهر فى أصول الدين : وأما جسمية خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم بأن الله له حد ونهاية من جهة السفل ومنها يماس عرشه ولقولهم بأن الله محل للحوادث وإنما يرى الشىء برؤية تحدث فيه ويدرك مايسمعه بادراك يحدث فيه ولولا حدوث الادراك فيه لم يكن مدركا لصوت ولا مدركا لمرئى وقد أفسدوا باجازة حلول الحوادث فى ذات الله تعالى لانفسهم دلالة الموحدين على حدوث الأجسام بحلول الحوادث اهـ . وأنت عرفت مذهب الناظم فى تلك المسائل .

(١) ثم قال : (وتمام هذا قولكم بفناء دار الخلد فالداران فانيتان) مع أن الناظم يقول فى كثير من كتبه بنفى الخلود للكفار فى النار وبهذا حكم على نفسه بالكفر انظر كلامه فيمن لا يرى قيام الحوادث بالله والفوقية المكانية له تعالى . وجعل العمل جزءاً من الايمان حقيقة مؤد إلى تكفير مرتكبى الكبائر كما هو مذهب الخوارج . ونفى قيام الافعال الحادثة به تعالى يعده نفى الصفات والله ينتقم منه .

مضروبة بمشاعر الوحيين وخيامكم (١) مضروبة فى التيه فالمكان كل ملدد حيران ، هذه شهادتهم على محصولهم عند الممات والله يشهد أنهم أيضا كذا ولنا المسانيد والصحاح ولكم تصانيف الكلام ونقول : قال الله قال رسوله فى كل تصنيف وكل مكان لكن تقولون : قال ارسطو وقال ابن الخطيب (٢) وقال ذو العرفان شيخ لكم يدعى ابن سينا ، وخيار ماتأتون قال: الأشعرى

---

(١) بل أهل السنة هم الذين جمعوا بين الكتاب والسنة وآثار السلف والبراهين العقلية التى هى من حجج الله سبحانه ، من غير إهمال شىء منها، مراعين مراتب الادلة ووجوه الدلالة وإنما مذهب السلف عدم الخوض فى الصفات مع التنزيه العام وهم من أبعد الناس عن حمل ماقى كتاب الله وماصح فى السنة على مايوهم التشبيه فاذا تكلموا إنما يتكلمون بما يوافق التنزيه وهم الذين يقولون فيما صح لفظه : « أمروه كما جاء بدون تفسيره بل تفسيره قراءته بلا كيف ولا معنى » كماتواتر ذلك عن السلف ولا سيما عن أحمد وقد ذكرنا بعض نصوص لهم فى ذلك وأما أصحاب الناظم فهم الذين جمعوا بين الاسرائيليات والجاهليات وأنواع الخرافات والأخبار الموضوعات كما يظهر من كتبهم فى العلو والسنة والتوحيد والنحل أين فى الصحاح والسنن (ينزل بذاته) و (يستوى على العرش استواء استقرارا وجلوس) و (يتحرك) و (يتكلم بصوت)؟ فلو وقفوا حيث وقف الكتاب والسنة والبرهان العقلى وأبوا الخوض فى الصفات بعقولهم الضئيلة لكانوا على الهدى لكنهم حادوا وزادوا قاتلهم الله ما أوقحهم وأشنع إفكهم على أهل الحق .

(٢) هو الامام فخر الدين الرازى سيف الله المسلول على المجسمة وهو من أبغض أهل العلم إليهم لانه تمكن ببيانه الواضح وبرهانه الدامغ من إزالة شرور المجسمة من بلاد الشرق كما أجهز على المجسمة الذين أووا الى الشام بكتابه (أساس التقديس) وهو كتاب يحق أن يكتب بماء الذهب وأن يجعل من كتب الدراسة فى بلاد تشيع فيها مخازى المشبهة وهو كاف فى قمعهم ، والله سبحانه يكافيه على ذلك وتفسيره الكبير من أهم الكتب فى الرد على الحشوية

وتشهـدون (١) عليه بالبهتان ، والـكفر عنـدكم خلاف شيوخكم ووفاقهم لحقيقة الايمان » .

انتهى يكفيه أن ينسب القائلين عند موتهم بالعجز عن حقيقة الادراك إلى الـكفر وهى كلمة الصديق الأكبر (إن العجز عن حقيقةالادراك إدراك)

« فصل »

أنكر فيه على خصومه تكفيرهم اياه وقال : « اسمع إذن يامنصفاحكميهما وانظر إذن هل يستوي الحـكان هم عنـدنا قسمان أهل جهالة ومعاند فالمعاند كافر والجاهل نوعان أحـدهما متمكن من العلم فهو فاسق وفى كفره قولان والوقف عندى فيهم لست الذى بالكفر أنعتهم ولا الايمان،والله أعلم بالبطانة منهم لكنهممستوجبون عقابهقطعا لأجل البغى والعدوان،النوع الثانيعاجز عن بلوغ الحق مع قصد وايمـان وهم ضربان أحـدهما قوم دهاهم حسن ظنهم بشيوخهم فمعذورون إن لم يظلموا أو يكفروا والآخرونطالبون للحقلكن صدهم عن علمـه شيئان أحـدهما طلب الحقائق من سوي أبوابها فأولاء بين الذنب والأجرين فانظر الى أحكامنا فيهم وأحكامهم فينا » .

انتهي كلامهوهو كلاممنيعتقد أنخصومه خارجون بتكفيره وخصومه يقولون لاتكفر أحداً من أهل القبلة

« فصل

فى أذان اهل السنة بصريحها جهراً على رؤس منابر الاسلام »

قال : « شبهتم الرحمن بالأوثان (٢) فى عدم الـكلام هم أهل تعطيل وتشبيه

وفى ذلك مايكون كفارة لما بدر منه من بعض أغلاط،سامحه الله،وأعلى منزلته فى الجنة .

(١) ومذهبه هو مافى كتب أصحابه وأصحاب أصحابه كأبي منصور عبد القاهر البغدادى والقشيرى وابن الجوينى ونحوهم وقد أفنى الحشوية مؤلفات الامام فى فتن بغداد وتصرفوا فيمابالايدى من كتبهودسوا ماشاءوا قاتلهم الله

(٢) بل من قال إن كلام معبوده حرف وصوت قائمان به فهو الذى نحت.

معاً بالجامدات تسمون وجها يبطل المعنى الذي قلتم هو النفس [١] للقرآن » .
ولا وجه واحد . (وتسمون الى آخره ساقطة من المطبوع)
قال : « واليه قد عرج الرسول حقيقة » .

عجلا جسداً له خوار يحمل أشياعه على تعبده ، قال أبو بكر ابن العربي فى العارضة : « لا يحل لمسلم أن يعتقد أن كلام الله صوت وحرف لا من طريق العقل ولا من طريق الشرع فأما طريق العقل فلأن الصوت والحرف مخلوقان محصوران وكلام الله يجل عن ذلك كله ، وأما من طريق الشرع فلانه لم يرد فى كلام الله صوت وحرف من طريق صحيحة ولهذا لم نجد طريقا صحيحة لحديث ابن أنيس وابن مسعود اه » . وأنت تعلم مبلغ استبحار ابن العربي فى الحديث . جزء الصوت للحافظ أبي الحسن المقدسي لا يدع أى متمسك فى الروايات فى هذا الصدد لهؤلاء الزائغين ومن رأى نصوص فتاوى العز بن عبد السلام وابن الحاجب والجمال الحصيري والعلم السخاوى ومن قبلهم ومن بعدهم من أهل الحق كما هو مدون فى نجم المهتدى ودفع الشبه وغيرهما يعلم مبلغ الخطورة فى دعوى أن كلام الله حرف وصوت قائمان به تعالى وقد سبق نقل بعض النصوص منها ولا تصح نسبة الصوت إلى الله إلا نسبة ملك وخلق لكن هؤلاء السخفاء رغم تضافر البراهين ضدهم ودثور الآثار التى يريدون البناء عليها يعاندون الحق ويظنون أن كلام الله من قبيل كلام البشر الذى هو كيفية اهتزازية تحصل للهواء من ضغطه باللهاة واللسان تعالى الله عن ذلك ويدور أمرهم بين التشبيه بالصنم أو التشبيه بابن آدم أولئك كالأنعام بل هم أضل .

(١) وقد صح عن أحمد فيما جاوب به المتوكل وغيره كما هو مذكور فى كتاب السنة وعيون التواريخ وغيرهما أنه كان يقول القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق فالقرآن غير مخلوق وهذا دليل على أنه كان يريد بالقران ما هو قائم بالله وتابعه ابن حزم فى الفصل . فقوله تعالى (فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا) فقال إما بدل من أسر أو استئناف بيانى وعلى التقديرين تدل الآية على أن للنفس كلاما لقوله فى نفسه (أنتم شر مكانا)

وكذلك قوله تعالى : (إنا نسمع سرهم ونجواهم) وفى الحديث السر ما أسره ابن آدم فى نفسه وقوله تعالى (. . . يقولون لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا) أى يقولون فى أنفسهم بدليل السياق وقوله تعالى (واذكر ربك فى نفسك) كل ذلك من أدلة الكلام النفسى وحديث أم سلمة فى الطبرانى فى رجل سأل النبى صلى الله عليه وسلم قائلا (إنى لأحدث نفسى بالشئ لو تكلمت به لأحبطت أجرى) فقال عليه السلام : لا يلقى ذلك الكلام إلا مؤمن . وما فى الحديث القدسى (فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى) من أدلة الكلام النفسى أيضا وقد أقر الذهبى بحجية الأخير فى ذلك فى كتاب العلو له، ومن الدليل على ذلك أيضا قوله تعالى (ويقولون فى أنفسهم) فقوله تعالى (بألسنتهم) و (بأفواههم) فى قوله تعالى (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) و (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) لم يجعل القول باللسان مجازاً حتى يظن المجازية فى القول فى النفس تمسكا بلفظ (فى أنفسهم) كما توهم بعض أهل الأهواء وقول عمر الفاروق (زورت فى نفسى كلاما) أشهر من نار على علم فمن رد أن يكون كلام فى النفس رد على تلك الأدلة الصريحة والحامل لأهل الحق على القول بالكلام النفسى هو إجماع التابعين على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق فخرجوا إجماعهم هذا على هذا الوجه المعقول وإلا لما صح قولهم . وتسفيه أحلام التابعين جميعا لا يصدر إلا من مجازف فالفرق بين ما هو قائم بالخلق والمعنى القائم بالله سبحانه هو المخلص الوحيد فى هذه المسألة فاللفظى حديث والنفسى قديم كما أشار إلى هذا وإلى ذاك إمام الأئمة أبو حنيفة وتابعه أهل الحق. ويتضح بهذا البيان الواضح أن قول بعض زهاد الحشوية فى هذا البحث « نحن نستدل فى الحرف والصوت بقوله تعالى كهيعص ونحوه وقول النبى صلى الله عليه وسلم (يجمع الله الخلائق يوم القيامة ..) وخصومنا يستدلون بقول الأخطل النصرانى (إن البيان لفى الفؤاد) بتحريف البيان إلى الكلام هواء بعيد عن الحقيقة بعد الأرض عن السماء وهراء لا يصدر إلا من السفها ومثل هذا السفه حمل بعض الشافعية أن يشترط فى مدرسة بناها بدمشق أ لا يطأ أرضها يهودى ولا نصرانى ولا حشوى حنبلى كما فى الدارس فى تار المدارس وقانا الله شر الغلو .

أين فى القرآن إليه؟ .

: « قال والله أكبر من أشار رسوله حقاً إليه باصبع وبنان »

أين فى الحديث إليه ؟ .

: «قال والله فوق العرش والكرسى » .

اين فى القرآن إن الله فوق العرش ؟ .

فصـل

فى تلازم التعطيل والشرك »

: « قال واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ كانا هما لا شك مصطحبان أبداً

فكل معطل هو مشرك » .

سواء أراد بالتعطيل الانكار للذات او إنكار الصفات او بعضها هو مباين

للشرك .

قال :«والناس فى ذا ثلاث طوائف إحدى الطوائف مشرك بآلهه فاذا دعاه

دعا إلهاً ثانى وثانيها جاحد يدعو سوى الرحمن هو جاحد للرب يدعو غيره

شركا وتعطيلا له قدمان» .

هذا ما يستقيم يا هذا .

قال :« وثالث هذه الاقسام خير الخلق فعطل الاوصاف ذو شرك كذا

ذو الشرك فهو معطل الرحمن » .

فصـل

قال : « لكن أخو التعطيل شر من أخي الاشراك بالمعقول والبرهان »

والله لا معقول ولا برهان وأخذ يبينه بما لا يصح وإن كان فيه شئ كثير

من الصحيح لا يحصل به مقصوده بل يلبس به .

ثم قال : « لكن أخو التعطيل ليس لديه إلا النفى أين النفى من ايمان »

« فصل

فى مثل المشرك والمعطل »

قال : « أين الذى قد قال فى ملك عظيم لست فيناقط ذا سلطان » فذكر ثمانية أبيات من هذا الخطاب الذى قد خرق حجاب الهيبة ثم قال : « هـذا وثان قال أنت مليكنا إذ حزت أو صاف الكمال ولقد جلست على سرير الملك متصفا بتدبير عظيم الشان »

هذا تصريح بالجلوس [١] . (وفى المطبوع وقد استويت) .

---

(١) يعجب المصنف كيف يصرح الناظم بالجلوس . ولأحد تلامذته الأخصاء جزء فى إثبات المماسة رداً على من ينزه الله سبحانه عن ذلك وماينطوى عليه هؤلاء أفظع بكثير من فلتات لسانهم فلو كانوا بين قوم على معتقدهم لـكنت تراهم يصرحون بكل ماتكن صدورهم . قال ذلك التلميذ أعنى محمـداً المنبجى صاحب الفرج بعد الشدة فى الجزء المـذكور : قال الخـلال فى كتاب السنة حدثنا أحمد بن الحسين الرقى ثنا إبراهيم بن المنذر ثنا محمد بن فليح حـدثنى أبى عن سعيد بن الحارث عن عبيد بن حنين قال بينما أنا جالس فى المسجد إذ جاءنى قتادة بن النعمان يحدث وثاب اليه الناس فقال سمعت رسول الله صـلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الاخرى وقال إنها لاتصلح لبشر » . قال الحافظ الذهبى وغيره اسناده على شرط البخارى ومسلم اهـ ولعلك علمت بذلك قيمة كتاب السنة للخلال ، وفى ذلك الجزء من المخازى ما يضاهى ما نقلناه آنفاً ، ولابن بدران الدشتى جزء فى إثبات الحد والجلوس لله سبحانه ويسوق فيه الحديث المذكور بطرق كما ذكرت ذلك فيما علقت على ذيول طبقات الحفاظ قاتلهم الله ما أجرأهم عـلى الله . ولعلك علمت بذلك أيضا قيمة تهويلهم بأنهـم يتابعون السنة كما علمت قيمة تصحيحهم للروايات المطابقة لزيغهم .

« تنبيه » الذهبى يبعد عن رشـده ويفقد صوابه إذا جاء دور الـكلام على أحاديث فى الصفات أو فى فضائل النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أهل بيته عليهم السـلام وكذلك حينما يترجم لشافعى من الأشاعرة أو حنفى مطلقا رغم تظاهره بالانصاف والبعد عن التعصب فى كثير من المواضع على سعة علمه فى

الحديث ورجاله . فهل يتصور من عالم يعقل ما يقول أن يصحح مثل هذا الحديث الذى بطلانه أظهر من الشمس فى ضحوة النهار ؟ فطالب الحق لا يعير سمعاً لأقواله فيما ذكرناه . وهو شافعى الفروع إلا أنه مجسم اعتقاداً رغم تبريه منه فى كثير من المواضع وعنده نزعة خارجية وإن كان أهون شراً بكثير من الناظم وشيخه فى ذلك كله، ومن لا يكون متساهلا فى أمر دينه ، لا يثق بكلام مثله فيما ذكرناه بعد أن عرف دخائله . والتاج ابن السبكى أطراه غاية الاطراء حينما ترجم له فى طبقات الشافعية الكبرى أداء لحق التلمذة عليه لكن لم يمنعه ذلك من الاشارة إلى ما ينطوى عليه من البدع والأهواء فى مواضع من كتابه حيث قال فى الكتاب المذكور (١ — ١٩٧) : وأما تاريخ شيخنا الذهبى فانه على حسنه وجمعه مشحون بالتعصب المفرط، لا آخذه الله فلقد أكثر الوقيعة فى أهل الدين — أعنى الفقراء الذين هم صفوة الخلق — ، واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين ومال فأفرط على الأشاعرة ومدح فزاد فى المجسمة اه حتى عده لا يعول على تراجمه لهؤلاء ، وقال أيضاً فى حقه فى (٢ — ٢٤٩) من الكتاب المذكور : وتأتى أنت تتسكع . فى ظلم التجسيم الذى تدعى أنك برئ منه وأنت من أعظم الدعاة إليه وتزعم أنك تعرف هذا الفن (يعنى علم أصول الدين) وأنت لاتفهم منه نقيراً ولا قطميراً اه .

وقال أيضاً فى ترجمة ابن جرير ناقلا عن الحافظ صلاح الدين العلائى أنه قال عن الذهبى مانصه : « لا أشك فى دينه وورعه وتحريه فيما يقوله عن الناس ولكنه غلب عليه مذهب الاثبات ومنافرة التأويل والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك فى طبعه انحرافا شديدا عن أهل التنزيه وميلا قويا الى أهل الاثبات فاذا ترجم واحداً منهم يطنب فى وصفه بجميع ماقيل فيه من المحاسن ويبالغ فى وصفه ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن ، واذا ذكر أحداً من الطرف الآخر كامام الحرمين والغزالى ونحوهما لايبالغ فى وصفه ويكثر من قول من طعن فيه ويعيد ذلك ويبديه ويعتقده دينا وهو لايشعر ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها واذا ظفر لاحد منهم بغلطة ذكرها و كذلك يفعل فى أهل عصرنا اذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول فى ترجمته والله

يصلحه ونحو ذلك وسببه المخالفة فى العقائد انتهى » .

قال التاج ابن السبكى عقب ماتقــدم مانصه : « والحال فى شيخنا الذهبى أزيد مما وصف وهو شيخنا ومعلمنا غير أن الحق أحق أن يتبع وقد وصل من التعصب المفرط الى حد يسخر منه وأنا أخشى عليه يوم القيامــة عند من لعل أدناه عنده أوجــه منه فالله المسئول أن يخفف عنه وأن يلهمهم العفو عنه وان يشفعهم فيه،والذى أدركنا عليه المشايخ النهى عن النظر فى كلامه وعدم اعتبار قوله ولم يكن يستجرى أن يظهر كتبه التاريخية الا لمن يغلب على ظنه أنه لاينقل عنه مايعاب عليه ، وأما قول العلائى عن [دينه وورعه وتحريه فيما يقوله] فقــد كنت أعتقد ذلك وأقول عند هــذه الاشياء ربما اعتقدها دينا ومنها أمور أقطع بانه يعرف بأنها كذب وأقطع بانه لايختلقها وأقطع بانه يحب وضعها فى كتبه لتنشر وأقطع بانه يحب أن يعتقــد سامعها صحتها بغضا للمتحــدث فيه وتنفيراً للناس عنــه مع قلة معرفته بمــدلولات الألفاظ ومع اعتقاده (أن ذلك) مما يوجب نصر العقيدة التى يعتقدها هو حقاً ، ومع عدم ممارسته لعلوم الشريعةغيرأنى لماأكثرت بعدموته النظر فى كلامه عندالاحتياج الى النظر فيه توقفت فى تحريه فيما يقوله ولا أزيد عــلى هذا غير الاحالة عــلى كلامه » . الى آخر ماقال فليراجع باقى كلامه من أراد المزيد على مانقلنا .

وقال التاج أيضا فى طبقاته وهو يترجم لامام الحرمين مانصه : « وقدكان الذهبى لايدرى شرح البرهان ، ولاهذه الصناعة، ولكنه يسمع خرافات من طلبة الحنابلة فيعتقدهاحقا ويودعها تصانيفه » هذا قدرعقلية الذهبى وقدر تحريه عندصاحب الطبقات،ولعل القارى* يرى هذه العقلية من أسخف العقليات كيف لا وهى عقلية ترى الخرافات حقا تودع فى المصنفات ويبنى عليها مايتخذه عباد الله دينا ، ورجل هذا حاله أى قدر يكون قدره عند أولى النهى ، الذين عرفوا دخائله ولسنا نطيل النقل للقارى* فى شأن سقوط كلام هذا الرجل فى علماء الحنفية والمالكية والشافعية وهم قادة الأمــة وأدلاؤها إذا ادلهم ليل المشكلات وكفى القارى* فى هذا الرجل قول ابن السبكى السابق(والذى أدركنا عليه المشايخ النهى عن النظر فى كلامه وعدم اعتبار قوله) فان هــذا معناه القضاء على الرجل واسقاطه من عداد العلماء الذين يحترم قولهم،ليتأمل القارى*

طويلا فى قول التاج ابن السبكى السابق أيضـا (ولم يكن يستجرى أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أن لا ينقل عنه ما يعاب عليه) فأن هذا معناه أن الرجل كان يعلم حق العلم أنه قال فى تلك الكتب ما يوقن أنه ليس بحق ولذلك كان يحرص على أن لا يطلع الناس عليه لئلا يفتضح بأكاذيبه البعيدة مما عليه العلماء الذين يكتب عنهم، وأرجو وألح فى الرجاء أن لا يغفل القارئ عن قول صاحب الطبقات السابق فى هذا الرجل من أنه (كان قليل المعرفة بمدلولات الألفاظ) ومن من العقلاء يرضى أن يسقط نفسه فيعد من زمرة العلماء رجلا يصل به الجهل إلى درجة قلة المعرفة بمدلولات الألفاظ؟ كما أرجو القارىء أيضا وأشدد فى هذا الرجاء أن يلتفت لقول صاحب جمع الجوامع (إن الذهبى لم يمارس علوم الشريعة) ومن فقد رشـده وضاع صوابه حتى يستطيع أن يعد من العلماء رجلا لم يمارس الشريعة فليعلم حق العلم ليراعى حق الرعاية . ولا ينس القارىء أن ما تقدم شهادة تلميذ هو امام فهو أعرف بشيخه ولعل هـذا يكفى فى دفع ما ربما يقوله بعض المغرورين بالذهبى أو ينقله عن بعض المغرورين .

وقـد أشرت إلى حاله فى مواضع مما علقت به عـلى ذيول طبقات الحفاظ وزغل العلم .

ومما يزيدك بصيرة فى هذا الباب اجتراء الذهبى على حذف لفظ (إن صحت الحكاية عنه) من كلام البيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٣٠٣)عند ما نقل كلامه فى كتاب العلو (ص ١٢٦) فى صـدد نسبة القول بأن الله فى السماء ، إلى أبى حنيفة ليخيل الى السامع أن سند هذه الرواية لا مغمز فيه مع أن نوحا الجامع ربيب مقاتل بن سليمان المجسم ، فى السند هالك مثل زوج أمه ، وكذلك نعيم ابن حماد ربيب نوح وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين فى عداد المجسمة فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتج به لمذهبه؟ وليس بقليل ما ذكره الذهبى فى حقهما فى ميزان الاعتدال على أنه لو سبق التفاف نحو عشرة آلاف شخص حول بدعة امرأة أتت من ترمذ إلى الكوفة للدعوة إلى مذهب جهم لكان لهذا النبأ شأن عظيم فى كتب الأنباء والرواية ولما انفرد بمثل ذلك الخبر يحيى بن

يعلى المجهول عن نعيم بن حماد الهالك عن نوح الجامع لكل شىء غير الصدق
ولا كان انفرد أحمد بن جعفر بن نصر بن يحيي المذكور ولا أبو الشيخ بن
حيان صاحب كتاب العظمة الذى يحوى كل هائف وتالف وقد ضعفه بلديه
الحافظ العسال ، وقد أشار البيهقى بقوله (إن صحت الحكاية) إلى ما فى الرواية
من وجوه الخلل . وعند ما حذف الذهبى هذا اللفظ يظن من لا خبرة عنده
بالرجال أن الكون فى السماء ، قول فقيه الملة إمام شطر هذه الأمة بل ثلثيها فى
جميع القرون مع بطلان رواية ذلك عنه بالمرة . ولأبى حنيفة كلمة فى الفقه
الأبسط رواية أبى مطيع عنه وهى (من قال لا أعرف ربى فى السماء أو فى
الأرض كفر) وعلل الأصحاب ذلك بأن هذا القائل جوز المكان فى حقه تعالى
وهو كفر ؟ وما طبع فى الهند باسم شرح الفقه الاكبر للماتريدى إنما هو شرح
أبى الليث على الفقه الأبسط مع سقم النسخة الهندية، وبدار الكتب المصرية نسخة
خطية جيدة من شرح أبى الليث. وقد زاد أبو إسماعيل الهروى فى الفروق على
تلك الكلمة ما شاء من كيسه مما يوافق مذهبه فى التجسيم كذبا وزورا بسند مركب،
ونقل الذهبى فى كتاب العلو جملة ذلك بدون أن يذكر سند الهروى فى روايته تعمية
وترويجا للباطل، وكذا فعل الناظم فى غزوه ــ راجع شرح أبى الليث وشرح
البزدوى وإشارات المرام فى عبارات الامام للبياضى، ودفع الشبه للتقى الحصنى
وشرح الفقه الأكبر لعلى القارى فيما نقله عن ابن عبد السلام ولم يراقب الله من
زاد على الكلمة السابقة ما أشرنا إليه كما وقع فى بعض نسخ الكتاب المذكور من
عهد ذلك الهروى . وقد روى الذهبى فى كتاب العلو أيضاً عن الدارقطنى
الأبيات المعروفة عند المجسمة بسند يقول فيه أنبأنا أحمد بن سلامة عن يحيي
ابن بوش أنبأنا ابن كادش أنشدنا أبو طالب العشارى أنشدنا الدارقطنى :
حديث الشفاعة فى أحمد . إلى أحمد المصطفى نسنده الأبيات (وآخرها كما فى
بدائع الفوائد لابن القيم ٤ ـ ٣٩

فلا تنكروا أنه قاعد * ولا تجحدوا أنه يقعده

فأحمد بن سلامة الحنبلى شيخ الذهبى مات سنة ٦٧٨ والذهبى ابن خمس ،
ويحيي بن أسعد بن بوش الحنبلى الخباز المتوفى سنة ٥٩٣ وأحمد بن سلامة ابن
أربع كان أميا لايكتب ، وأبو العز بن كادش أحمد بن عبيد الله المتوفى سنة ٥٢٦

من أصحاب العشاري، اعترف بالوضع ويقال ثم تاب،راجع الميزان . وحكم مثله عند أهل النقد معروف ، وأبو طالب محمد بن على العشارى الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٢ مغفل يتلقن ما يلقن،وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعي كذبا، وكل ذلك باعتراف الذهبي نفسه في الميزان وغيره، فهل يصح عزو تلك الأبيات إلى الدارقطني بمثل هذا السند ؟ وقال الذهبي أيضا في العبر في ترجمة أبي يعلى الحنبلي : (صاحب التصانيف وفقيه العصر كان إماما لايدرك قراره ولايشق غباره وجميع الطائفة معترفون بفضله ومغترفون من بحره) .وأنت علمت حال أبي يعلى بما ذكره ابن الجوزى فى دفع الشبه ،وبما نقلناه عن كتبه فى هذا الكتاب وبما ذكره ابن الأثير فى الكامل فى حوادث سنة ٤٢٩ ، وترى الذهبي كثيراً ما يقول فى رد ما أخرجه الحاكم فى المستدرك فى فضائله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عليهم السلام : أظنه باطلا ، بدون ذكر أي حجة، وقد ذكر ابن الوردى فى تاريخه أنه آذى كثيراً من الأحياء بتدوين ما كان يسمعه من أحداث يجتمعون به . وفيما ذكرناه كفاية فى معرفة حال الذهبي نسأل الله السلامة ، ومع ذلك هو أهون شراً من الناظم وشيخه كما سبق،وله رسالة إلى ابن تيمية ينصحه فيها ويمنعه من المغالاة ،وسبق نشرها مع زغل العلم له . وترى الذهبي مع ثنائه البالغ فى حق ابن تيمية فى كثير من كتبه يقول عنه : « وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده وأنا مخالف له فى مسائل أصلية وفرعية اهـ كما فى الدرر الكامنة،ويقول عنه أيضا : إنه أطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها اهـ » نقله ابن رجب عنه فى طبقاته . ويقول عنه أيضاً فى زغل العلم (ص ١٧) . « وقد تعبت فى وزنه وتفتيشه حتى مللت فى سنين متطاولة ، فما وجدت الذي أخره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا الكبر والعجب وفرط الغرام فى رياسة المشيخة والازدراء بالكبار، فانظر كيف وبال الدعاوى ومحبة الظهور ... وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر،وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون ، فلا تكن فى ريب من ذلك اهـ » .

ويقول عنه أيضا فى (ص ٢٣) من زغل العلم : « ... وقد رأيت ما آل

قال : « إن المعطل بالعداوة معلن والمشركون أخف فى الـكفران » .
ما لمن يعتقد فى المسلمين هذا إلا السيف (١)

أمره إليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتفكير والتكذيب بحق وبباطل فقد كان قبل أن يدخل فى هذه الصناعة منوراً مضيئا على محياه سيما السلف ثم صار مظلما مكسوفا عليه قتمة عند خلائق من الناس ، ودجالا أفاكا كافرا عند أعدائه، ومبتدعا فاضلا محققا بارعا عند طوائف من عقلاء الفضلاء، وحامل راية الاسلام، وحامى حوزة الدين ومحيي السنة عند عموم عوام أصحابه اه » .
وهذه الـكلمات نقلها السخاوى عنه أيضا فى (الاعلان بالتوبيخ) ومن الخطأ الفاحش عزوها إلى (قمع المعارض) للسيوطى اغترارا بوضع رقم التعليق فى (القول الجلى) غلطا عند كلمة (قمع المعارض) مع تصحيف (زغل العلم) إلى (رجل العلم) بعد أسطر فى الطبعتين مع أن أصل التعليق كان على (زغل العلم) المصحف إلى (رجل العلم) كما نبهت على ذلك فيما علقته على الزغل المطبوع وإن لم ينفع تنبيهى عند أناس لايوقظهم من سباتهم العميق غير نفخة الصور ونسبة (زغل العلم) إلى الذهبى ليست بموضع ريبة أصلا، وهو من المخطوطات المحفوظة فى التيمورية بدار الكتب المصرية وسنأتى إن شاء الله تعالى فى آخر الكتاب بصورة رسالة الذهبى التى بعث بها إلى ابن تيمية ينصحه فى شواذه ويكفى ما ذكرناه هنا فى تبيين نظر الذهبى لابن تيمية مع أنه من أهل مذهبه المنخدعين به فنسجل للذهبى هـذه الحسنات كتسجيلنا لسيئاته المذكورة مراعاة للعدل فيما له وفيما عليه وايقاظا للمغترين به والله ولى الهداية .

(١) لأن ذلك زندقة مكشوفة ومروق ظاهر واصرار على اعتقاد الايمان كفرا قبحه الله كيف يعتقد فى المشركين أنهم أخف فى الـكفر من المؤمنين المنزهين والشيخ الامام المصنف رضى الله عنه رجل معروف بالورع البالغ واللسان العفيف والقول النزيه لاتكاد تسمع منه فى مصنفاته كلمة تشم منها رائحة الشدة ولينظر القارئ حاله هذا مع قوله فى ابن القيم (ماله الا السيف) انه ان فكر فى هذا قليلا علم العلم القاطع ان هذا الناظم بلغ فى كفره مبلغا لايجوز السكوت عليه ولا يحسن لمؤمن أن يغضى عنه ولا أن يتساهل فيه .

« فصل في أسبق الناس دخولا إلى الجنة » .

قال : « وروى ابن ماجه ان أولهم يصافحه (١) إله العرش ذو الاحسان فاروق دين الله » .

« فصل في عدد الجنات »

قال : « سبحان من غرست يداه (٢) جنة الفردوس ويداه أيضاً أتقنت لبنائها هي فى الجنان كآدم لكنما الجهمي ليس لديه من ذا الفضل شيء فهو ذو نكران » . إنما ينكر العضو والجارحة فان كنت أنت تثبتها فاعترف .

قال : « ولد عقوق عق والده ولم يثبت بذا فضلا على الشيطان » .

مايستحي يكذب على الناس

قال : « ولقد روى حقا ابو الدرداء ذاك عويمر أثراً عظيم الشان يهتز قلب العبد عند سماعه طربا بقدر حلاوة الايمان مامثله أبداً يقال برأيه فيه النزول (٣) ثلاث ساعات فاحداهن ينظر فى الكتاب الثانى يمحو ويثبت مايشاء

---

(١) قاتله الله حديث موضوع يستدل به وشأن هذا الخبر فى السقوط فوق أن يقال بين رجاله ضعيف بل بينهم ضعيف ومنكر الحديث وآخر قدرى خلا استحالة المتن وابن كثير اهون شراً من الناظم حيث انكره جداً فى جامع المسانيد (قال المنبجي الحنبلي فى اثبات المماسة) : قال ابن تيمية والمعروف عند أئمة اهل السنة وعلماء اهل الحديث انهم لا يمتنعون عن وصف الله بانه يمس ماشاء من خلقه بل يروون فى ذلك الآثار ويردون على من نفاه انتهى ذكره فى الاجوبة المصرية) . قاتله الله ما اجرأه على الله

(٢) خلق الله آدم بعناية خاصة وبدون سببية والد وأم وهذا المعنى المجازى يعقله كل من عنده ذوق العربية واما الخبر الذى يشير اليه الناظم ففى سنده ابن على زيد بن جدعان لايحتج به .

(٣) هذا الخبر الموقوف ليس بـ[illegible] عن أبي الدرداء فضلا عن ثبوت رفعه إليه صلى الله عليه وسلم . وفى سنده زيادة بن محمد الانصارى قال البخارى هو منكر الحديث وقال ابن حبان يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك ، نقله

بحكمة والساعة الأخرى الى عدن أهله هم صفوة الرحمن والساعة الاخرى، إلى هذه السماء يقول هل من تائب ندمان » .

الظاهر أنه ماساق أبوابا فى صفة الجنة إلا ليذكر هذا الحديث وأيضا: ليسكت الناس بسماع صفات الجنة فيقبلون على هذه القصيدة ويعكفون عليها فيفتنهم أسأل الله العافية ويحق له اسم الحشوى لأن الباطل محشو فى هذه القصيدة الحسناء .

قال : « وروى ابن ماجه مسنداً عن جابر بيناهم في عيشهم إذاً بنور ساطع رفعوا رؤسهم فرأوه نور الواحد وإذا بربهم تعالى فوقهم (١) قدجاء للتسليم وقال السلام عليكم جهراً ومصداقه سلام قولا من رب رحيم من رد ذا فعلى رسول الله رد » . الذي يحمله على محمل صحيح لايرده والذي يحمله على صفات الاجسام هو الذى يرد مايجب .

فصل في يوم المزيد(٢) .

قال « فيرون ربهم تعالى جهرة ويحاضر الرحمن واحدهم محاضرة الحبيب . يقول يابن فلان هل تذكر اليوم الذى قد كنت فيه مبارزاً بالذنب قالوا يحق لنا وقد كنا إذاً جلساء رب العرش » .

ابن الجوزى ، ولعلك علمت بذلك مبلغ قيمة مايحتج به هذا البجباج النهاج .

(١) قال الذهبي اسناده ضعيف وقال ابن الجوزى موضوع وقال العقيلى : أبو عاصم العباداني - فى سنده - منكر الحديث لا يتابع عليه . وأما فضل الرقاشي في السند فمن لا يكتب حديثه وبمثل هذا الخبر يحتج الناظم فى تكييف الرؤية .

(٢) جمع طرقه أبو بكر بن أبى داود ذلك الكذاب الزائغ وسبق بيان أن ابن عساكر ألف جزءاً فى توهين طرقه فتذكر . ولفظ الجلساء لم يقع إلا في بعض الطرق الواهية لحديث يوم المزيد ، راجع جزء ابن عساكر

فصل كله فيما للعبد عند ربه فى الآخرة ولو كان مفرداً بالتصنيف كان حسنا ، ولكن إدخاله فى قصيدة انتصب فيها للحكم بين الحشوى وخصومه وإسعار الحرب بينهم لأى معنى ؟.

فصل رجع فيه الى ما كان عليه مما فى نفسه وذكر خصومه وفصول معه ذكر فيها فرق المعادين له

فصل ختم به الكتاب فيه شيء يسير . وليكن هذا آخر كلامنا فى ذلك والله المستعان

قال المؤلف شرعت فيه يوم السبت الرابع والعشرين من صفر سنة ٧٤٩ وفرغت منه يوم السبت مستهل ربيع الأول من السنة (١)

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . حسبنا الله ونعم الوكيل .

« تم السيف الصقيل »

---

(١) فيكون تأليف السبكى لهذا الكتاب قبل وفاة ابن القيم بنحو سنتين هذا . وكنا وعدنا عند الكلام على الذهبى أن نأتى فى آخر الكتاب بصورة رسالة بعث بها الذهبى إلى ابن تيمية يحذره فيها عواقب إصراره على الشذوذ عن جمهور العلماء فى مسائل أصلية وفرعية وقد ظفرنا بها بخط التقى ابن قاضى شهبة منقولا عن خط البرهان بن جماعة المنقول من خط الحافظ أبى سعيد الصلاح العلائى المنسوخ من خط الشمس الذهبى نفسه، وخط التقى ابن قاضى شهبة معروف وتوجد كتب بخطه فى دار الكتب المصرية والخزانة الظاهرية بدمشق منها قطعة من طبقات الشافعية بدار الكتب المصرية، ومنها ما انتقاه من التاريخ الكبير للذهبى مما يتعلق بتراجم الشافعية بالخزانة الظاهرية ففى إمكان الباحث الذى لا يعرف خط ابن قاضى شهبة أن يتأكد من خطه بالمقارنة بين الصورة الزنكوغرافية المنشورة هنا . المأخوذة عن الرسالة المذكورة المحفوظة بدار الكتب المصرية وبين خطه المحفوظ فى الدار والخزانة المذكورتين وإلى تلك الرسالة أشار السخاوى حيث قال فى الإعلان بالتوبيخ : « ورأيته

له رسالة كتبها لابن تيمية هي في دفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة » . وذلك في صدد الدفاع عن الذهبي رداً على من ينسبه لفرط التعصب كما ذكرت في صدر الرسالة عند نشرها مع الزغل قبل سنين . وقبل الرسالة لا بد من ذكر مقدمة هنا ليكون القارئ على بينة من أمر ابن تيمية وهي أن ابن تيمية هذا ولد بحران ببيت علم من الحنابلة وقد أتى به والده الشيخ عبد الحليم مع ذويه من هناك إلى الشام خوفاً من المغول وكان أبوه رجلا هادئاً أكرمه علماء الشام ورجال الحكومة حتى ولوه عدة وظائف علمية مساعدة له ، وبعد أن مات والده ولوا ابن تيمية هذا وظائف والده بل حضروا درسه تشجيعاً له على المضي في وظائف والده وأثنوا عليه خيراً كما هو شأنهم مع كل ناشئ حقيق بالرعاية . وعطفهم هذا كان ناشئاً من مهاجرة ذويه من وجه المغول يصحبهم أحد بني العباس ـ وهو الذي تولى الخلافة بمصر فيما بعد ـ ومن وفاة والده بدون مال ولا تراث بحيث لو عين الآخرون في وظائفه للقي عياله البؤس والشقاء وكان في جملة المثنين عليه التاج الفزاري المعروف بالفركاح وابنه البرهان والجلال القزويني والكمال الزملكاني ومحمد بن الجريري الأنصاري والعلا القونوي وغيرهم ، لكن ثناء هؤلاء غر ابن تيمية ـ ولم ينتبه إلى الباعث على ثنائهم ـ فبدأ يذيع بدعاً بين حين وآخر وأهل العلم يتسامحون معه في الأوائل باعتبار أن تلك الكلمات ربما تكون فلتات لا ينطوي هو عليها ، لكن خاب ظنهم وعلموا أنه فاتن بالمعنى الصحيح فتخلوا عنه واحداً إثر واحد على توالى فتنه كما سبق . والذهبي كان من أشياعه ومتابعيه إلا في مسائل لكنه لما وجد أن فتنه تأخذ كل مأخذ ولم يبق معه سوى مقلدة الحشوية والمنخدعين به وهم شباب بدأ يسعى في تهدئة الفتنة ، مرة يكتب إلى أضداده لأجل أن يخففوا لهجتهم معه ـ كما فعل مع السبكي على رواية ابن رجب ولم نطلع على غير صدر الجواب على تقدير صحة ذلك الصدر ـ ومرة يكتب هذه الرسالة إلى ابن تيمية نفسه وها هي صورة الرسالة المذكورة مأخوذة من خط التقي ابن قاضي شهبة بالزنكوغراف :

بخط ابن قاضي شهبة

رسالة كتبها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية كتبتها
من خط قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة رحمه الله وكتبها هو من خط الشيخ الحافظ
أبي سعيد العلائي وهو نقلها من خط كاتبها الشيخ شمس الدين

الحمد لله على ذلتي يا رب ارحمني وأقلني عثرتي واحفظ علي إيماني واحزناه على قلة حزني
وا أسفاه على السنة وذهاب أهلها واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على
البكا واحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات
آه على وجود درهم حلال وأخ مونس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وتبا
لمن شغله عيوب الناس عن عيبه إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع
في عينك إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات
الناس مع علمك بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم قد أفضوا
إلى ما قدموا بلى أعرف أنك تقول لي لتنصر نفسك إنما الوقيعة في هؤلاء الذين
ما شموا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو جهاد بلى
والله عرفوا خيرا كثيرا مما إذا عمل به العبد فقد فاز وجهلوا شيئا كثيرا مما لا
يعنيهم ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه يا رجل بالله عليك كف عنا فإنك
محجاج [عليم] اللسان لا تقر ولا تنام إياكم والأغلوطات في الدين كره نبيك صلى الله عليه وسلم
المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق
عليم اللسان وكثرة الكلام بغير زلل تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام فكيف
إذا كان في عبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التي تعمي القلوب
والله قد صرنا ضحكة في الوجود فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية لنرد

فلما بين ليلتنا بارحة وبلغنا [illegible] تقتضي أن [illegible] في استقبال
الشمس بعد [illegible] أكثر [illegible] الاعلى [illegible] لا [illegible]
[illegible] الا [illegible]
[illegible] الصافي [illegible] الا [illegible]
[illegible]
[illegible] الصلاة [illegible]
[illegible]
الصاري [illegible] شكل [illegible] بالسما [illegible]
ما [illegible] بعدها [illegible] الا [illegible]
ذات عليل السلم والبرد باطولنا [illegible] الله [illegible]
[illegible] الا [illegible]
[illegible]
[illegible] فلله [illegible]
[illegible] الى [illegible] ونهاري الاخبار الى [illegible]
الابار الى كم [illegible] الرهان الى
من [illegible] كلامك [illegible] والله ما [illegible]
[illegible] الصغير [illegible] الاعلى [illegible]
بالتمام [illegible] الا [illegible]
[illegible] بالجبال [illegible]

من مدد البيت فما اطلب منه الا على ما لا اصل [illegible]
[illegible] فلما [illegible] الولد [illegible]
[illegible]
[illegible] واجاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] النبي [illegible]
[illegible] الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]
[illegible] الرسالة الذهبية [illegible]
باب [illegible] صحيح البخاري [illegible] الرسالة القدسية [illegible]
[illegible] بالعلم على الطريقة [illegible]
[illegible] السلطان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وهو مطلوب واخذا والترك الاول
باب السر في علم البلاغة اللهم اجعلنا [illegible]
[illegible]
[illegible] الكذب [illegible]
الوصف فلا تطول الكذب

ولا تخلو قراءة هذا الخط من بعض صعوبة على بعض القراء فاليك الرسالة بالحروف المعتادة مع عنوانها :

رسالة كتب [١] بها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية كتبتها [٢] من خط قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة رحمه الله وكتبها هو من خط الشيخ الحافظ أبي سعيد بن العلائي وهو كتبها من خط مرسلها الشيخ شمس الدين

الحمد لله على ذلتي . يا رب ارحمني وأقلني عثرتي . واحفظ على إيماني . واحزناه على قلة حزني، واأسفاه على السنة وذهاب أهلها . واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء . واحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات. آه على وجود درهم حلال وأخ مونس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس . وتبا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه. إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك ! . إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تذكروا موتاكم إلا بخير فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا) بلى اعرف أنك تقول لي لتنصر نفسك : انما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شموا رائحة الاسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو جهاد . بلى والله عرفوا خيراً كثيرا مما إذا عمل به العبد فقد فاز وجهلوا شيئا كثيرا مما لا يعنيهم ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه . يا رجل بالله عليك كف عنا فانك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام. إياكم والغلوطات في الدين كره نبيك صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤا وقال : (إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان) وكثرة الكلا بغير زلل تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام، فكيف إذ كان في عبارا اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التي تعمي القلوب . والله قد صرنا ضحـ في الوجود فالى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية لنرد عليها بعقولنا . يار

---

(١) بتضمين (بعث) (٢) والكاتب هو التقي ابن قاضي شهبة وقد ذكر طبقات الشافعية أنه اطلع على مجاميع وفوائد بخط البرهان بن جماعة

قد بلعت (سموم) الفلاسفة وتصنيفاتهم مرات . وكثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم وتمكن والله فى البدن . واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر وخشية بتذكر وصمت بتفكر . وآها لمجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة بلى عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة . كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب وجدّوا فى ذكر بدع كنا نعدها من أساس الضلال قد صارت هى محض السنة وأساس التوحيد ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون . وتعد النصارى مثلنا والله فى القلوب شكوك إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد . يا خيبة من اتبعك فانه معرض للزندقة والانحلال لاسيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليا شهوانيا . لكنه ينفعك ويجاهد عندك بيده ولسانه وفى الباطن عدو لك بحاله وقلبه . فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامى كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوى المكر أو ناشف صالح عديم الفهم فان لم تصدقنى ففتشهم وزنهم بالعدل . يامسلم أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك . الى كم تصادقها وتعادى الأخيار . الى كم تصادقها وتزدرى الأبرار . إلى كم تعظمها وتصغر العباد . الى متى تخالها وتمقت الزهاد . الى متى تمدح كلامك بكيفية لاتمدح — والله — بها أحاديث الصحيحين . ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل فى كل وقت تغير عليها بالتضعيف والاهدار أو بالتأويل والانكار أما آن لك أن ترعوى أما حان لك أن تتوب وتنيب أما أنت فى عشر السبعين وقد قرب الرحيل . بلى — والله — ماأذكر أنك تذكر الموت بل تزدرى بمن يذكر الموت فما أظنك تقبل على قولى ولا تصغى الى وعظى بل لك همة كبيرة فى نقض هذه الورقة بمجلدات وتقطع لى أذناب الكلام ولاتزال تنتصر حتى أقول : والبتة سكت . فاذا كان هذا حالك عندى وأنا الشفوق المحب الواد فكيف حالك عند أعدائك . وأعداؤك — والله — فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر . قد رضيت منك بأن تسبنى علانية وتنتفع بمقالتى سراً (فرحم الله امرءاً أهدى الى عيوبى) فانى كثير العيوب غزير الذنوب . الويل لى إن أنا لا أتوب ووافضيحتى من

علام الغيوب ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وهنا انتهت صورة رسالة الذهبي إلى ابن تيمية وفيها عبر بالغة . وليكن هذا آخر تكملة الرد على نونية ابن القيم وبها يكون ان شاء الله تعالى (تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم) ـ وقد عرف الناظم بابن القيم حيث كان أبوه قيم المدرسة الجوزية الحنبلية التى أنشأها محى الدين ابن الحافظ أبى الفرج ابن الجوزى الحنبلى بسوق القمح المعروفة اليوم بالبزورية بدمشق، والغالب أن يقال له ابن قيم الجوزية لئلا يلتبس بابن القيم الكبير المصرى الراوى عن الفخر الفارسى فانه معمر مقدم ، وبذلك يعلم أن من يقول عنه : (ابن القيم الجوزى) واهم وهما قبيحاً وإنما هو (ابن قيم الجوزية) كما قلنا ـ ويجد القارئ الكريم فى كتابنا هذا الرد على ابن تيمية كما يجد فيه الرد على ابن القيم باعتبار أن الثانى انما يردد صدى الأول فى أبحاثه كلها دون أن تكون له شخصية خاصة بل هو ظل الأول فى كل آرائه وجميع أهوائه فانتظمهما الرد ولعل فيما رددنا به عليهما كفاية للمنصف وقطعا لعذر كل متعسف . وأما من تعود أن يقول : (عنزة وإن طارت)

فليس خطابى معه والله يقول الحق ويهدى السبيل . وكان فراغى من اعادة النظر فى الكتاب بمنزلى فى آخر العباسية بمصر القاهرة ـ حرسها الله تعالى ـ ضحوة يوم الخميس المصادف لليوم الثالث من رجب سنة ١٣٥٦ وأسأل الله سبحانه أن ينفع به المسلمين وأن يجعله ذخراً لى يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إنه المجيب البر التواب الرحيم، وأنا الفقير إلى عفو الله ومسامحته «محمد زاهد بن الحسن بن على الكوثرى» خادم العلم بدار السلطنة العثمانية سابقا عفا الله عن سيئاته ورفع منزلته ومنازل ذويه فى الآخرة وأغدق عليه وعلى قرابته ومشايخه سحب رحمته ورضوانه وغفر لهم ولسائر المسلمين أجمعين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله صحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

